

كولن ولسون

ما بعد الحياة

ترجمة

محمد جلال عباس

تم تحميل الكتاب من المكتبة العربية :

www.TipsClub.com

قام بسحب الكتاب الأهم : محمد جلال

دار الآداب

كولن ولسن

ما بعد الحياة

ترجمة محمد جلال عباس

دار الآداب

أصوات في الرأس

دكتور آدم كرابتري Adam Crabtree طبيب نفسي يقيم ويعمل في تورنتو بكندا، بدأ يمارس عمله عام ١٩٦٦؛ ومثله مثل غالبية الأطباء النفسيين سرعان ما عرضت عليه حالات مرضى يسمعون أصواتاً في رؤوسهم.

نبيّن أخيراً أن مثل هذه الحالات ليست بالقليلة، وأصبح من المؤكد أن سماع الصوت لا يعتبر الآن نوعاً من أنواع الجنون. وبدأ الدكتور جوليان جاينز Julian Jaynes دراسة الهلوسة السمعية بعد أن خبرها بنفسه حينما كان مستقلاً على مضجعه فسمع من الهواء الذي فوق رأسه صوتاً يخاطبه. كان طبيعياً أن يقلق على حالته الصحية، ولكنه سرعان ما استراح حينما اكتشف أن نحو ١٠٪ من الناس مصابون بنوع من أنواع الهلوسة، وأن ثلث تلك الهلوسة تقريباً تتخذ شكل أطراف صوتية، فقد أخبرته ربة بيت شابة حالتها عادية بأنها تدخل في محادثة طويلة مع جدتها الراحلة كل يوم وهي تقوم بترتيب الأسرة.

بالطبع كان رأي جاينز أن تلك الحالات هي من قبيل الهلوسات، وظل آدم كرابتري يشاركه هذا الرأي زمناً إلى أن قابلته حالة أثارت فيه شكوكاً أساسية، هي حالة سيّدة تسمى سارة ورثنجتون كانت تحت العلاج عند زميلة له تسمى جيني، وبعد علاج أولي ناجح أصيبت سارة ورثنجتون بحالة اكتئاب دفعتها إلى محاولة الانتحار.

والتقى ثلاثتهم في مكتب كرابتري الذي بدأ يستطلع مشاكلها، فكان من بين ما طرحه من أسئلة سؤال عما إذا كانت تسمع في رأسها أصواتاً، فاعترفت بذلك. وطلب منها كرابتري أن تستلقي وتسترخي وتحاول قدر استطاعتها أن تتذكر ما يداخلها من أحاديث، وسرعان ما بدأ جسدها يرتعش، وصاحت قائلة: «آه...»

حرارة شديدة... أشعر بسخونة». وبينما هي تتحدث لاحظ الطبيب النفساني وزميلته تغيراً في صوتها. كانت سارة فاقدة الثقة في نفسها، ولكن شخصيتها الجديدة كانت تنطق بصوت ينم عن اعتياد ممارسة السلطة، وحينما سألوها عما تريد أن تفعله، أجابت من فورها: «أريد أن أساعد سارة»، فكان ذلك دليلاً واضحاً على أنها لم تكن آنذاك سارة ذاتها التي تتكلم. وسألوها عن اسمها فأجابت: «اسمي سارة جاكسون» معتبرة نفسها بذلك الجدة سارة. وشرح كرابرتري أنه هو وزميلته جيني يحاولان مساعدة سارة، ثم أخذ يسأل من خلالها الجدة سارة إذا كانت مستعدة للمساعدة من جانبها، فأجابت نعم. وانتهت بذلك الجلسة الأولى.

أحضرت الجدة بسرعة في الجلسة التالية واستمرت في حديثها عن حريق، ثم وصلت أثناء حديثها إلى مرحلة تحول مفاجيء. وسألت «أين جاكسون؟» وارتشع منها أن جاكسون هذا هو ابنها، وأن النار التي تشير إليها هي حريق حدث سنة ١٩١٠، وأن الجدة سارة جاكسون أسرع إلى المنزل بمجرد علمها بالحريق الذي شب في شارعها، وكانت قد تركت ابنها جاكسون البالغ من العمر سبع سنوات وحده بالمنزل. وجدت الحفي كله مشتعلًا. صحيح أن الجيران قد أخرجوا جاكسون ولكنها لم تكتشف ذلك إلا بعد ساعة أخرى كانت خلالها تجري في الطرقات كالمجنونة، وحرارة الحريق تكاد تخنقها. فانطلقت هذه الحادثة في أعماق مشاعرها.

وبناء على ما ذكرته الجدة استحوذت على الحفيدة سارة ورثجتون لترعاها حين كانت تعزف على البيانو فكلتاها مخبأتان الموسيقى. وسرعان ما تبين، رغم رغبتها في رعاية الحفيدة، أن سارة جاكسون نفسها كانت بحاجة إلى مساعدة، فقد امتلأت نفسها بشعور الأسى بسبب خطايا حياتها خاصة فيما يتعلق بسوء معاملتها لابنتها إليزابيث والدته سارة. فقد تحولت إليزابيث إلى فتاة عصائية غير سعيدة فأساءت بدورها معاملتها سارة، وأصبحت علاقة سارة بوالدتها صورة غريبة من علاقة إليزابيث بأمها سارة (الجدة)، فكان كل منهما يفضل الابن على الابنة وكل منهما يرى أن الذكور هم كل شيء وأن الإناث لا قيمة لهن. أدركت الجدة ذلك إدراكاً تاماً حينما ماتت، وذلك هو السبب الذي جعلها تشعر بأن من واجبها مساعدة حفيدتها. وبدلاً من أن تقدم يد العون تسببت في سوء حالتها حيث أصيبت سارة بالرعب والاضطراب من الأصوات التي تسمعها في داخلها، وأصبح اليأس يغمرها.

أما الآن، وقد انتقلت الجدة جاكسون إلى العالم المفتوح، فقد أصبحت الأمور أيسر، وأمكنها أن تقدم للطبيب النفسي معلومات قيّمة للغاية عن خلفيتها العائلية. ورغم أن سارة دهشت في أول الأمر حينما علمت بأن جدتها هي التي تتحدث من خلالها (أثناء الجلسات) إلا أنها أخذت تدرك تدريجياً كيف تتقبل ذلك، وبدأت تتعمق أكثر في تأمل مشكلاتها، وبذلك شفيت تماماً بعد انتهاء شهرين من العلاج. ولئن ظلت الجدة متواجدة باستحواذها فإن سارة أصبحت تفهم سبب ذلك، ولم تعد تخشى شيئاً، بل إن شعورها بتواجد جدتها، ولو بصورة غائمة، في خلفية حياتها، أدى في الحقيقة إلى إحساسها بالسكينة.

وربما يتفق معي القارئ في الانطباع الذي نعكسه هذه القصة، فحينما قرأت مخطوطة الكتاب الذي ألفه آدم كرايتري بعنوان «الرجل المتعدد»، رأيت حتمية وجود تفسير سيكولوجي خالص. عرفت سارة جدتها في طفولتها، وربما سمعت حكاية الحريق منها مباشرة، وربما أدركت مدى التشابه بين مشاكلها ومشاكل أمها، وأصبح عقلها الباطني بعيد حكايتها كمحاولة لتقبل تلك المشاكل الشخصية قبولاً عقلانياً.

ومع استمرارني في قراءة كتاب كرايتري (الذي أرسله لي الناشر لأكتب مقدمته) فقد زاد إدراكي بأن الكثير من تلك التفسيرات غير مقبول. إذ أنه يواصل فيه تقديم ثنائي حالات أخرى تولى علاجها. كل حالة منها تمثل نوعاً من أنواع الاستحواذ. وبعد أن قرأت الحالة الثالثة والرابعة، أخذ التفسير عن طريق العقل الباطني يبدو أمامي تفسيراً واهياً. وهناك حالة إحصائية اجتماعية تدعى سوزان، كانت تعاني من العجز عن ممارسة أي علاقة عادية مع أي رجل، وأدركت أن ذلك يرجع إلى شعور داخلي بالامتناع والازدراء لآبيها. كان ذلك إدراكاً صحيحاً، واستطاع كرايتري أن يخاطب أباهما - الذي مات في حادثة سيارة من خلالها - كما تحدث مع الجدة سارة. فعلم منه أنه كانت لديه رغبة جنسية عارمة في ابنته، فلما بلغت السادسة عشرة من عمرها حدث أن دخل إلى حجرتها خلسة بعد أن نامت، وأخذ يتحسس مواضع من جسمها فأدركت من اللاوعي ما يحدث، وعرفت رغبته الجنسية فيها، فعاملته بازدراء شديد وتصرفت بتبجح رغم أنها كانت تستمتع بذلك الجديد من الإحساسات التي اكتشفتها من طاقتها الجنسية، وأدى ذلك إلى شعورها بالخجل، وامتدّ الازدراء إلى علاقاتها مع أصدقائها الشبان حينما كانت تصاحبهم، مما كان يسبب إثارة المشاكل

معهم . وحينما مات أبوها في حادثة السيارة اتخذ من لاوعي ابنته ملجأ . فكانت تتألم بشدة من افتتاحها لها وتدخله في كل ممارساتها الجنسية . وتواجد الأب في داخلها ذات مرة غائماً في نعاسها ، ولم تكن تتبين شخصيته أو وضعه الحالي ، وحاول كرايتري بإصرار شديد أن يشرح لسوزان أن أباهما ميت بالفعل . وفي يوم من الأيام لم يظهر أبوها في الجلسة العلاجية ، فغمر سوزان شعور بالارتياح والتحرر .

وتحدث عن حالة أخرى مذهلة ولكنها خداعة ، هي حالة أستاذ جامعي يدعى آرث ، كان قد فشل في زواجه الأول . وكان على وشك عقد زواجه الثاني ، وأحس أنذاك بشعور عميق بالزهد في هذا الزواج . وارتبط ذلك الشعور بعواطف قوية منبثقة من داخلية وتخرج عليه بأصوات تعجب عليه وتنتقده هو والكثيرين ممن يعرفهم من الناس . وأدرك بصورة غائمة أن ذلك الصوت يشبه أمه التي كانت تعيش في ديترويت ، وتوصل بنفسه إلى تفسير معقول لذلك ، وهو أن الصوت يمثل الجانب السلبي من ذاته ، وأنه يحتوي في داخلية الكثير من أمه التي كانت شديدة الاستحواذ عليه .

اتبع كرايتري إجراءاته المعتادة ، فوضع الأستاذ آرث موضوع الاسترخاء العميق وبدأ من خلاله حواراً مع أمه التي كانت تسمى فيرونیکا . كانت فيرونیکا مستعدة للتحديث بكل التفاصيل عن علاقتها بابنها وعن الأسباب التي تجعلها لا تحبذ علاقاته الكثيرة مع الأصدقاء . أظهرت فيرونیکا على حقيقتها بلا مواربة بسذاجتها كشخصية إنسانية . . . وأوضحت أنها كانت ببساطة تعلم أنها أن الكثير ممن يثق فيهم ، بمن في ذلك زوجته المقبلة ، أغبياء وانتهازيون وغير جديرين بالاحترام .

وسألها كرايتري عما إذا كانت تعتقد في أن هذا التدخل لمصلحتها أو حتى لمصلحة ابنها ، فاعترفت أخيراً وكانت إجابتها بالنفي . كانت حياة فيرونیکا في مدينة ديترويت مضطربة منحلة . فأشار كرايتري عليها بأن توجه لشؤونها الخاصة المزيد من الاهتمام ، وأن تقلل من اهتمامها بشؤون ابنها ، لأن ذلك قد يساعد على تحسين أحوالها .

اكتشفت والدة آرث أثناء إحدى الجلسات أنها مصابة بورم سرطاني ، وأنها تحتاج إلى عملية جراحية ، ووافقت وهي تتحدث على لسان ولدها آرث ، على أن

ذلك ربما يرجع إلى أنها تسلب من نفسها الحيوية باستحواذها على ابنها. عند هذه النقطة بدأ صوت آرت الداخلي يجبو تدريجياً حتى اختفى تماماً من مسمعه، ولكن حدث آنذاك تغير واضح في أمه المتواجلة في ديترويت، فبعد أن كانت تمرّ بمرحلة انهيار بطيء، وابتعاد وجداني عن الحياة بدأت الحيوية تدبّ فيها من جديد، وبدأت تخرج لتكوين أصدقاء، ويبدو أنها اكتسبت الحكمة التي تقول باغتنام فرص جديدة في الحياة.

وبصر كرايتري على أن نظرتة إلى هذه الحالات ليست نظرة من يعتقد في ما هو خارق للعادة، بل إنه مجرد مراقب يسجّل الملاحظات عن كل حالة من الحالات التي تعرض عليه على أنها حالة استحواذ. ومن الواضح أن ليس هناك ما ينقض الفكرة التي تقول بأن كلاً من سوزان وسارة وآرت كانوا يصطنعون تلك الأصوات بأنفسهم، فالعقل الباطن قادر على ما يتجاوز ذلك العمل بكثير، ولكن تبقى حقيقة هامة هي أن معظم القراء سوف يشعرون بأن تلك الحالات، لو أخذت جملة فسوف ينشأ عنها انطباع غامر عن وجود شيء أكثر من الخداع اللاشعوري للنفس.

رجعت إلى دكتور جوليان جاينز لاتعرّف عما يقوله بشأن تلك الأصوات الخفية، فوجدت أنه يلخص نظريته في كتاب له بعنوان «أصل الوعي في حالة انهيار العقل الازدواجي (Bicameral mind)» الذي نشر عام ١٩٧٦، والعقل الازدواجي هو بساطة انقسام العقل إلى شطرين. ويقدم جاينز في هذا الكتاب نظرية غير عادية تقول بأن أسلافنا القدماء كانوا يسمعون الأصوات بصفة مستمرة، والسبب في ذلك - حسب رأي جاينز - هو أن الإنسان الأول كان يقتصر إلى معرفة ذاته بالمعنى الحديث هذه المعرفة. ويعتقد جاينز أن إنسان الكهوف من أسلافنا لم تكن لديه القدرة على تأمل نفسه من داخلها. فهو لا يحدث نفسه قائلاً: «فلا أفكر في كذا أو كذا...» ولأن أسلافنا كانوا يفتقدون الأنا الداخلية كانت أعينهم أشبه ما تكون بمصابيح السيارة تنجّه إلى الخارج مباشرة في اتجاه واحد دائم، فإذا ما صدر الأمر لأحدهم بأن يذهب ليبنى سدّاً على النهر فسيصعب عليه أن يتذكّر لماذا هو سائر ذهاباً وجيئة على شط النهر هكذا... وإنما يتأق شعوره بالغرض حينما يسمع صوت الزعيم وكأنه هابط على رأسه من الهواء، وقد يكرّر الصوت التعليقات نفسها.

فمن أين إذن يأتي ذلك الصوت؟ يذكر جاينز أنه يأتي من الجانب الأيمن من

الدماغ، لأن نظرية جاينز تعتمد لدرجة كبيرة على البحوث التي تمت في علم انقسام الدماغ، التي أحرزت تقدماً كبيراً خلال الخمسينات.

ولسبب ما لا يفهمه أحد حتى الآن ينقسم الدماغ فعلاً إلى شطرين متماثلين. كما لو كانت هناك مرآة تفصل بينهما (بل إن هناك رأياً يقول بأن أحد هذين الشطرين هو بمثابة قطعة غيار للآخر). أما الجزء العلوي من الدماغ والذي يقع تحت عظمة الجمجمة مباشرة، فإنه الجزء الذي يميز الإنسان، وذلك هو الذي يسمى المخ (Cerebrum) أو نصف الكرة المخية (Cerebral Hemisphere). وقد مر هذا الجزء بتطورات ملحوظة خلال النصف المليون سنة الأخير (وهي بمثابة طرفة عين في مجرى الزمان). وإذا أمكن كشف الجزء الأعلى من الجمجمة فإن شطري الدماغ سوف يبدو أن كفتين في الجوزة، ويتكون الجسر الموصل بينهما من شبكة من الأعصاب تسمى المجموع التقني (Corpus Callosum).

ولقد شاع منذ أكثر من قرن أن الجزء الأيسر من نصف الكرة المخية هو القسم الخاص باللغة والتفكير المنطقي، بينما يختص الجزء الأيمن بأغماط الصور والحدس. فالشطرن الأيمن مثلاً هو الذي يساعدنا على ترتيب الأرقام. أما الشطر الأيسر فيساعدنا في التعرف على وجه شخص معين. ويمكن القول بصفة عامة إن الشطر الأيسر علمي والشطر الأيمن فني. فالإنسان الذي يصاب الشطر الأيسر من دماغه بالمعطل ربما يجد صعوبة في الكلام ولكنه يستطيع أن يرسم صورة أو يدندن بنغم. أما إذا تعطل الشطر الأيمن فسيظل منطق الإنسان متكاملًا ومترابطًا ولكنه ربما لا يستطيع أن يرسم ولو شكل رجل في خطوط مبسطة.

والشيء الغريب هو أن الجسر الذي يوصل بين الشطرين، وهو المجموع التقني إذا ما أصابه التمزق (كما يحدث في بعض الأحيان لمنع الصرع)، فإن المريض يصبح من الناحية النظرية شخصيتين. حتى أن مريضاً بانفصال الدماغ قد يفتك فتحة سرواله بإحدى يديه ويفلقها باليد الأخرى. وهناك من يحاول، في لعبة تركيب الأجزاء، أن تتولى إحدى يديه التركيب وتتدخل الأخرى لفكها، فيضطر أن يضع يده الأخرى تحته ويجلس عليها. (وجدوا بنا أن نضيف هنا أن الشطر الأيمن من الدماغ هو الذي يتحكم في الجانب الأيسر من الجسم والعكس صحيح، وبذلك نكون أمام ظاهرة أخرى ما زال سببها غامضاً حتى الآن).

بيد أن أكثر الاكتشافات أهمية هو أن الشخص الذي تسميه (أنت) يعيش في الشطر الأيسر من الدماغ. أما الذي يعيش في الشطر الأيمن فهو آخر غريب. ولقد عرضت ذات مرة صورة عارية على فتاة مريضة بالانقسام الذهني لتتأمل إليها عن طريق الشطر الأيمن من الدماغ (أي بعينها اليسرى) فاحمرت خجلاً. ولما سئلت عن سبب شعورها بالخجل قالت: «لا أعلم».

ويعتقد جاينز أن تلك الأصوات الخفية (غير المحيرة) تأتي من ذلك الشخص الآخر الذي يتواجد في الشطر الأيمن. والذي يحدث هو أن الصوت يتردد في الشطر الأيسر من الدماغ وهو ذاك أنت - كما لو كان آتياً من مكبر الصوت.

وهناك اعتراض واضح على هذه النظرية، فإن جاينز نفسه ليس من المصابين بالانقسام الذهني، ومع ذلك فإنه يمر بهلوسة سمعية. وينطبق هذا أيضاً على مريض الدكتور آدم كرايتري. والإجابة المذهلة على ذلك هي أن كل فرد منا مصاب بدرجة من درجات الانقسام الذهني، وليس لكل فرد اتصال من قريب أو بعيد بأعماق تلك النفس الخفية. وحول ذلك ذكر موزارت يوماً أنه لاحظ النغمات تدخل في رأسه بكامل هيئتها. وواضح أنه يقصد بذلك أن النغمات تأتي من الجانب الأيسر للدماغ، وهو الأنا، منتقلة من النصف الثاني الذي يخلق النغمات والصور. وإذا كان موزارت هكذا مصاباً بالانقسام الذهني فلا بد أن بقية الناس مصابون به بالتأكيد.

وطبقاً لما ذكره جاينز، كانت الأصوات تسير بكامل هيئتها إلى الشطر الأيسر من أدمغة أسلافنا. ولقد زعموا، دون أن يبنوا الزعم على فهم واضح، أنها الأصوات الإلهية، أو صوت الإله، ولذا جاء في العهد القديم وفي الإلياذة أن الناس كانوا دائماً يتلقون خبراً ما ليفصلوه بواسطة أصوات مقدسة.

ولا يتصل هذا العنصر من نظرية جاينز بدرامتنا هذه، ولكن كل ما يهمنا منه هنا هو اعتقاده بأن الأصوات تأتي أصلاً إلى الجانب الأيمن من الدماغ، وأن الإنسان يسمع مثل تلك الأصوات منذ بداية البشرية. ولو كان ذلك حقاً فلا شك في أنه يفسر لنا بوضوح صوت جدة سارة، وصوت والد سوزان، وصوت والد آرت. وتبدو هذه الحالة الأخيرة في حقيقتها أكثر إقناعاً وقبولاً من الحالات الأخرى، وذلك لأن

هناك امرأة حية تعيش في ديترويت، وتستطيع بطريقة أو بأخرى أن تتسلل إلى أعماق رأس ولدها الذي يعيش بعيداً عنها في نورنتو.

انجبه جاينز إلى مناقشة الأصوات التي يسمعا المصابون بأمراض عقلية، فلاححت أمامه بعض شكوك، فأشار إلى أن معظم الحالات التي تناولها بالدراسة تتضمن نوعاً من الشيزوفرانيا أي الفصام. ويقول في ذلك: «إن المخاطبة والتهديد واللعنات والنقد والمشورة، غالباً ما تأتي في شكل بُحَل قصيرة، وقد تكون استحثاثاً أو تعزية أو نحيباً أو نخيراً، وقد تتراوح بين الهمس البسيط والصياح العاصف. وغالباً ما تتخذ تلك الأصوات شكلاً معيناً يتكرر، كالحديث البطيء أو الحديث بالمقاطع أو قد يأخذ شكل نغم أو إيقاعات، وأحياناً يكون الحديث بلغة أجنبية. وقد لا يكون الصوت واحداً في كل مرة، وفي هذه الحالة غالباً ما تكون قليلة في تنوعاتها، ولكن قد تكون كثيرة التعدد في حالات قليلة للغاية...».

أما عن الأصوات كما وصفها كاريتري، فإنها ليست جميعاً من قبيل الرثرة غير المفهومة، بل إنها مخاطبات واضحة مثل كلام أي شخص عادي. وينطبق ذلك على ربة البيت التي طالما كانت تتحدث مع جدتها وهي ترتب الأسرة. ولا يوجد سبب يدعو إلى القول بأن الأصوات الطيفية ليست كصوت الشخص العادي. ولكن يبدو حقاً أن أغلبها ليس كذلك.

يتأكد هذا في الدراسة التي قام بها عالم نفسي آخر هو دكتور ويلسون فان ديوسين Willson Van Dusen الذي كان يعمل في مستشفى الولاية بمدينة مندوسينو بكاليفورنيا. قضى فان ديوسين ستة عشر عاماً يستجّل ملاحظات عن آثار الهلوسة، وجمع نتائج تلك الملاحظات في فصل عنوانه «تواجد الأرواح في حالات الجنون» وذلك في كتابه الذي نشر بعنوان «تواجد العوالم الأخرى». وتعتبر النتائج التي توصل إليها أكثر إدهاشاً من تلك التي توصل إليها جوليان جاينز.

يوضح لنا فان ديوسين أن معظم المرضى الذين يهلوسون يفضلون أن يحتفظوا بخبراتهم لأنفسهم لأنهم يعلمون تمام العلم أنها قد تؤخذ كدليل على إصابتهم بالجنون. بيد أن إحدى المريضات كانت متعاونة فطلبت إلى الدكتور فان ديوسين أن

محاصص مع هلوستها، ففعل ذلك وبالطبع لم يحصل على إجابات مباشرة على
 مشته، وكان عليه أن يطلب من المريض أن نصف له بالتفصيل ما تسمعه وما تراه،
 ومع ذلك لم يكن هناك ما يمنع أو يوقف فان ديوسين عن محاطة هلوسته مباشرة،
 «على حد قوله» استطعت هذه الطريقة أن أحري حواراً طويلاً مع هلوستات
 مرضى، وسجنت كل أمثلي مع إجاباتها» ويمسك فان ديوسين مثل آدم كاستري
 «إن مهجي هو تحليل الظواهر، وعرضي الأوحده هو توصيف خبرات
 مريض بأعلى قدر من الدقة، وقد يلاحظ القارىء أني أتعامل مع الهلوستات على أنها
 حدث واقعة. كما هي في الواقع بالنسبة للمريض»

ومن النتائج الثالثة كما يذكر فان ديوسين، أن المرضى يشعرون كما لو أنهم عن قصد يعلم آخر
 «طبقة أخرى من الكائنات وأعلهم كان يعتقد أن الأشخاص المرءاء أحياء، وأن جميع المرضى
 كانوا يعارضون تسمية ذلك هلوسته».

نأتي الهلوسته بالنسبة لمعظم الأفراد بصورة مفاجئة، هناك امرأة كانت تعمل في حديقة،
 سمعت صوت رجل حمي بحاطها، ووصف رجل آخر أصواتاً عالية تصاحته ويسمها أثناء ركوبه
 حافلة كان أغلب المرضى يهرعون من الأصوات في أول الأمر ثم يعتادون على تلك الخبرة الجديدة
 بصفة ويصف كل المرضى الأصوات بأنها لا تخرج عن كونها أصواتاً عادية وكان كل ما يصفونه
 عما يحدث لهم لا يشبه بحال من الأحوال الطنون أو الخيالات، فإن ما يرونه يبدو لهم حقيقة واقعة
 مثال ذلك وصف أحد المرضى حالته بأن حياط القنوات الحوية أبفظوه في إحدى الليالي لاستدعائه
 بخدمة الوضوء، فصحا، وبينما هو ينس ثيابه لاحظ أن الشارات التي يحملونها لم تكن حقيقية،
 فذكر أنهم من عالم الكائنات الأخرى، واستجمع قصته ليصرب أحدهم على وجهه، فإذا به تصدم
 حائط وتخرج وذلك يدل على أنه لم يميزهم عن الأشخاص الحقيقيين إلا حينما رأى الإشارة «

ويدرك معظم المرضى بسرعة أن ما يحدث لهم لا يشاركهم فيه غيرهم، وهذا السبب قد يهيم
 بمرضى على الصمت وكثير منهم يعانون من المساب والتهديدات والاعتداءات التي تستمر بسوات
 من جانب أصوات يسمعونها دون أن يسموها من حولهم

ربى كان من أهم النتائج التي توصل إليها فان ديوسين علمه بأن مرضه قد
 يتراعى لهم أنهم يستمعون إلى نوعين متميزين من الأصوات، ويتحدث عن هذين
 النوعين على أن أحدهما صوت الطنمه العليا والثاني صوت الطنمه الدنيا

فالأصوات التي تأتي من الطبقة الدنيا تشبه ما يصيح به السكران في الحانات بقصد الإثارة
 والإعاقة عن سبل التسلية، وتدعوهم تلك الأصوات إلى القيام بأعمال مشبهة ثم توتج على مجرد
 التفكير في ذلك، فهي تبحث دائماً عن نقطة ضعف في الشخص مثال ذلك سمع رجل أصواتاً

استمرت تلومه لمدة ثلاث سنوات على اسداته ثلاث بسات . كان قد سلفها بالعمل ولكن تلك الأصوات ظلت تنادي الشخص بكل ما يمكن أن يتصوره من أسماء بديهة ، وتستحقه على فعل كل أنواع المواقف وتسلط ذاكرته ووعيه ، وتهده بالموت ، وتلاعب بكرامة المريض بكل الوسائل ، فمثلاً تعمر بأنها ستوقع به الكوارث في العدد ، وتهده بأن لها سلطة على إحدى الصحف اليومية ، وقد تدعوه إلى القيام بأفعال نافعه ، كأن تأمره برفع اليد اليمنى وإبقائها مرفوعة هكذا ثم تهرأ به وتعبطه إذا فعل ذلك ، أو تهده إذا لم يفعل .

ويسدو موصوح أن مثل هذه اهلوسات تأتي من «الطبقة الدنيا» وهي تشبه لحد كبير سنوك لأطفال الدين لا يجهدون ما يعملونه

فالعبارات والأفكار التي تستخدمها كائنات الطبقة الدنيا محدودة ، ولكنها تتميز بإصرارها على الهدم ، وهي تفتحم كل رلوة أو ركس خفي من خصوصيات الفرد ، وتستخدم كل نقطة ضعف فيه وفي اعتقاداته ، وتدعى لنفسها قوة خارقة ، وتقدم الوعود ثم تأمر على عقل المريض وقد تتكرر بعض تلك الأفكار العلية بلا نهاية . هناك صوت استمر أحد المرضى يسمعه على مدى شهور متعاقبة يقول له «هاي» وحاول المريض التعرف على المقصد من كلمة «هاي» هل هي «Hey» المعنى حشائش مجمعة أو «Hay» للتحية أو لعت الطر وحسب كنت أبحث مع مهندس وصغر نمداً عن القيام بأي عمليات حماية خلال العمليات البسيطة . يبدو أن أصوات الطبقة الدنيا لا تستطيع أن تبرر نفسها رغم ادعائها في أغلب الأحيان أنها تنتمي إلى مدينة بعيدة ، ولا تستطيع أن تقدم أكثر مما يسمعه المريض منها ويراه ويتذكره ، يبدو أن محبوسة في المستوى الأدنى من عقل المريض . . .

هكذا تعتبر الطبقة الدنيا «مصدر تعذيب» ولكن هناك نحو خمس حالات اهلوسة تنتمي إلى كائنات «الطبقة العليا» . ومن الواضح أن هذه تختص بمساعدة المريض ، وعالماً ما تكون الطبقة العليا أكثر رمزية وتمسكاً بالدين ، ومعينة وساعة ، وهي قادرة على الدخول مباشرة إلى أعماق ومشاعر المريض ، فهي بذلك تشبه الأعماط الأصلية Orchetypes كما عند جونغ ، بينما أصوات كائنات الطبقة الدنيا تشبه العير «Id» عند فرويد .

ويشير فان ديوسين إلى حالة عامل من عمال تركيب المواسير حبر هلوسة آتية من كائنات الطبقة العليا وهي امرأة جميلة تعرض عليه آلاف الرموز . ويذكر فان ديوسين «أن رؤية ذلك الرجل للمرأة تبيت فيها معرفة واسعة بالدين والأساطير بدرجة تتجاوز كثيراً حدود ونههم «ذلك الرجل» . وبعد أن أجرى فان ديوسين الحوار مع هذه اهلوسة الآتية من طبقة عليا استعصر منه عامل الأساييب عن أحد الموضوعات التي كانت موضوع حديث وكأنه يستفسر عن لغز غامض .

ويقرر فان ديوسين أنه علم من كائنات الطبقة العليا أن عرض كائنات الطبقة
هو نتهى للشخص بفاظ الصعف فيه، بينما عرض الطبقة العليا أو أحد
عرضها كما يبدو هو حماية الناس من الطبقة الدنيا

ويمكن تصوير التصاوت بحراب رجل كان يسمع الطبيعة الدنيا تجادل بعض الموت في كيميه
... من نفس الرجل ضوء في خلال الليل مثل الشمس، فعلم أنه من طبقة أخرى من لكائنات
... ضوء كان يحترم حرته فيراجع إذا ما شعر الرجل أنه من طبقة أخرى من الكائنات لأن الضوء
... يحرم حرته فيراجع إذا ما شعر الرجل بالخوف وعلى العكس من ذلك تماماً فإن الطبيعة الدنيا
عمن حد إرادته، وربما ساجده إذا ما لمست فيه الخوف وباندر ما تكلم تلك الطبقة العليا بينما بعد
... بصفة الدنيا تستطيع أن تواصل الكلام بلا نهاية

وبينما تكون كائنات الطبقة الدنيا غير متديّة أو حد الدين ويشتد عصها، د
حد، في ذكر ندين فإن الطبقة العليا كانت تدو دائماً موهوبة حساسة وحكيمة
ومديّة

ولقد ديوسين ملاحظة بالغة الأهمية عن الهلوسة، فمن الرعم من أنه لاحظ
كثير عن مدى السبب إلا أنه سرعان ما أدرك بعد أن مر عليه عشرون مريضاً أنه لا
حد حديد الذي يمكن أن نتعلمه، لأن الهلوسات كلها كانت متساوية ويبدو أن
حد الملاحظة في حد ذاتها مربكة، فأولاً قد يتوقع الإنسان أن توجد تنوعات مختلفة
من هلوسة تنوع البشر، مثال ذلك أما قد متوقع أن تكون هلوسة البيطريين محاطة
بمحيطات وهلوسة المهندسين عداً بمحاطة الآلات، وقد تكون هلوسة المستديين
محيرة سائنات والأشجار هم وهي تحدث إليهم وربما ترتبط هلوسة أماء المكتبات
محدثه بكتب، وهلوسة أطباء الأسنان بالتحدث مع أطقم الأسنان ولكن الحقيقة
... من هذه الأشياء لا وجود لها، فجميع الهلوسات النابعة من كائنات الطبقة الدنيا
مشابهة، وكذلك تلك الناجمة عن الطبيعة العليا، وقد يعي ذلك إما أن هناك تشابهاً
في جزء عقول التي تخلق هذه الهلوسات، أو أن هناك شيئاً أعرب من ذلك بكثير

ويميل فان ديوسين إلى الاعتقاد بأن هناك شيئاً أعرب، فمن خلال اهتماماته
... من ظهور المعاس وهي الأحلام والرؤى التي تمر بها أحياناً ونحن على حافة
... رجع إلى كتابات الكاتب السويدي المتدين الصوفي إيمانويل سويدسبرج
Emmanuel Swedenborg الذي أسلأت مذكراته عن الأحلام بمادة العلمية

الحمام لأيّ محلّ نفسيّ وإنه بعد أن قضى فترة ساجدة من حياته كمهندس وحيونوحي مرت به أزمة عقلية في سن الخامسة والستين من عام ١٧٤٤، تراءت له خلالها كوابيس رهيبة كأنّ تمسك به عجلة آلة من الآلات الصمّعة، أو أن يصاحبه امرأة فيجد في فرجها أسناناً تعص عليه، إلى غير ذلك وأخيراً رأى في المنام أنه يحاطب السيد المسيح، فترك العلم وتحول إلى دارس متفرغ للكتابات المقدّسة، وكانت نتيجة هذا التحول أن أصدر مجموعة من المؤلفات تتصمّن لاهوتياته، وأصبح واحداً من أكبر المؤثرين في الفكر الديني في عصره.

وبما جعل كتب سويدنبرج غير عادية أنه ادعى قيامه برؤية لسموات والجحيم بالفعل، وأنه قد دخل مع الملائكة ومع رجال الدين السابقين في جدل لاهوتي طويل، (وادعى أنه هو الذي حول مارتن لوتر بالفعل إلى لاهوته الخاص، ولكنه لم يستطع أن يفسح جون كالفين) وكان من السهل رفض ذلك كله باعتباره أوهام خداعة كمنتهين محضين، لكنه استطاع أن يقدم بعض الأدلة الرصينة على أنه كان على اتصال بالروح فقد طلعت ملكة السويد من سويدنبرج أن يبحث نتيجتها لشقيقها الراحل - ربي فعلت ذلك من قبل التهكم أو الدعابة، ولما حصر سويدنبرج حمل الاستقبال الثاني الذي أقدمته الملكة أبلغها ردّ التحية من شقيقها الراحل، وقال إنه يعتذر لأنه لم يردّ عن خطتها الأخير حيث أنه امتنع وحده الملكة وقالت تتعجب شديد. ولا أحد يعلم هذا الخطاب إلا الله وحده. كذلك طلعت أرملة السفير الهولندي الذي كان قد توفي أخيراً، من سويدنبرج أن يتصل بروحها الراحل بشأن فاتورة وصلت من صانع الذهب، وذكرت أنها تعتقد أن روحها قد سدّد الفاتورة وبعد أيام قليلة جاءها سويدنبرج وأخبرها بأنه تحدث مع روحها وأن الإيصال موحود في درج سرّي يمكنه ولم تكن أرملة السفير تعلم شيئاً عن هذا الدرج ولكنه كان المكان الفعلي الذي وجدت فيه الإيصال.

وقد وصف سويدنبرج أيضاً، شيء من الإسهاب، ما يحدث حينما تستحوذ الأرواح على أي إنسان ولقد دهش فان ديوسين من التشابه الكبير بين هذا الوصف وبين الهنوسات التي وصفها له مرصاه في مستشفى الولاية في مدومبيو. فردّ سويدنبرج أن الأرواح والملائكة قادرة على محاكاة الإنسان مباشرة، وذلك بالدخول بطريقة حميمة إلى جهازه السمعي، وبالتالي يكون تأثيره عليه من خلال السمع

وروى سويدسبرج وصفه قائلاً: «إن التحدث مع الأرواح في هذه الأيام نادراً ما
 يسمح لأنه خطر» ويعني هذا بوصف أنه قد أتى على الإنسان حين من المصير
 كان يستطيعه أن يجاطب الأرواح مباشرة والتفسير الذي يقدمه لب سويدسبرج
 ذلك، هو أن الأرواح لا تعلم في العادة «أها مع الإنسان» لوجود نوع من الحاجز
 بين كسوسها أو واقع تواجدها وبين وعي الإنسان ذاته فإذا استطاعت تلك الأرواح
 - تخترق ذلك الحاجز، أو سمح لها بذلك عن طريق إنسان يحاول الخوض في
 عمومها، فإنها تصبح مصدر إزعاج، «فالأرواح الشريرة تنظر إلى الإنسان نظرة
 عنصرية وكراهية شديدة، ولا تريد إلا أن تدمر جسده وروحه» ويشير سويدسبرج أيضاً
 إلى - الحاجز الذي يفصل بين الأرواح وبين وعي الإنسان قد يحطمه الناس الذين
 يشهدون في الخيالات لكي يعتمدوا بأنفسهم عن الملذات التي يستمتع بها الإنسان
 «صبي» ويعلق فان ديوسين على ذلك بقوله «إنه وصف جيد جداً لما سميته الآن
 بمصم أو الشيروهرابيا» (وعلياً أن تعلم أن الشيروهرابيا أو المصم لا يقصد بها
 مصم الشخصية بالمفهوم الحديث الخاطيء وإنما ببساطة الخروج عن الواقع)

ويذكر فان ديوسين أن كل ملاحظات سويدسبرج عن تأثير الأرواح الشريرة
 تتفق مع اكتشافاته، ويشير إلى أن بعض الفقرات التي أوردها سويدسبرج تتضمن
 وصفاً لخصائص «كائنات الطبقة الدنيا» مثل إصرارها على تحطيم الإنسان، وقدرتها على إثارة
 شرع أو أحداث الألف، وميلها إلى الإرهاب والتهديد والعش والكذب ومهارتها الفائقة
 في شكر كل هذه الخواص التي تميز «كائنات الطبقة الدنيا» كما يحس بها الموصي قد
 جاء وصفها بالذات في كتابات سويدسبرج وما زاد دهشة فان ديوسين أن تلك
 كائنات تكره الدين.

«ولو أن الأصوات التي يسمعها المريض هي مجرد ظهور اللاوعي عنه، فلن
 يكون لدى أي مبرر لأن أتوقع تأييدها أو عداها للدين، بيد أن كائنات الطبقة الدنيا
 يمكن أن يعتمد عليها لتسقط بأقصد التعليقات السديثة عن أي أوامر دينية» ويذكر
 سويدسبرج أيضاً أن كائنات الطبقة الدنيا تسلط باستخدام التفاهات والدعاية، وهذه
 نقطة أخرى من النقاط التي لاحظها فان ديوسين.

ومن لاحظ فان ديوسين كذلك أنه على الرغم من أن كائنات الطبقة الدنيا
 تدعي كونها أفراداً، إلا أنها نادراً ما تظهر أي شيء عن هويتها الشخصية، وقد

أوضح سويدبرج أن الذاكرة الشخصية تُنتزع منهم عند الموت، ولذلك تقتصر كائنات الطبقة الدنيا أن تعتمد على ذاكرة وفترات الشخص الذي ستحود عنه وهناك تشابه واضح للعبية بين أرواح سويدبرج وكائنات الطبقة الدنيا من حيث محاولة الاستحود على عصب من أعضاء المريض أو جزء من جسمه «ولكن كثير منها قد تُحد من أذان المريض مجالاً لها حتى يبدو أن الصمم يرداد عند المريض، وبظل صوت آخر يدي سبين عديده يعمل كي يأسر عين المريض فيمقدّها حدّة الإبصار» وعالماً ب تحول الاستحود على فرح الإنسان، «وقد وصفت سيده مريضة العلاقة الحسية بين وبين الروح الذي استحود عليها على أنها كانت أكثر إمتاعاً وأكثر عمقاً من الممارسة الجنسية المعتادة».

وهناك تشابه مدهش بين كائنات الطبقة العليا التي يصنعها المريض وبين ما يسميه سويدبرج «الملائكة»، إذ تتميز الملائكة بالحنان وحب المساعدة والحكمة ويرجع السبب في قلة كلامها إلى أن «العقل الداخلي» للإنسان لا يفكر بالكلمات ولكن يفكر في «أمور عممة تتضمن الكثير من الحزنات» أو باختصار يفكر ببصيرة حدسية نافذة، وهي وظيفة عقلية سليمة، أو هي بمعنى آخر «ملائكة تتحدث من خلال الشطر الأيمن من نصف الكرة الدماغية التي تفصل الرموز» يذكرنا هذا بمريض فان ديوسين عامل تركيب الأدب الذي كشف عن مئات الرموز العامة عن طريق بصائح كائنات الطبقة العليا من خلاله في مدى ساعة واحدة. ويذكر سويدبرج أيضاً أن أرواح كائنات الطبقة العليا قادرة على رؤية أرواح الطبقة الدنيا، ولكن العكس غير ممكن. وهذا يتفق مع الخبرات التي اكتسبها فان ديوسين.

ولقد كان فان ديوسين ميالاً للتعبير عن دهشته بشأن السبب الذي يجعل هلوسات الطبقة العليا أكثر بكثير من هلوسات الطبقة الدنيا (بحسب عدده) ويقدم سويدبرج تفسيراً لذلك بأن الملائكة تستحود على العمق الداخلي الأقصى في الإنسان وأن تدفقها ضمني، وعلى ذلك فهي ساطعة أقل ظهوراً من الأرواح العدوانية التي تريد أن تكتسب اعترافاً بتواجدها.

وهنا تتساءل ما فائدة كل هذا الكلام؟ بصر كل من كارستري وفان ديوسين على أنها محاولات العمل كمراقبين فحسب، ويفضدان بذلك صمماً أن باستطاعة نقاريء أن يجار لهم الأرواح أو العقل الباطن تفسيراً للظواهر بيد أننا لاحظ

قد ديومين يبل إلى التساؤل بدهشه عن السب الذي يجعل «كائنات الطيفه الديب»
تظهر عددها للدين، فكيف إذن يصر القصة التالية التي أوردها كاربري في كتبه؟
دُعيت إحدى معارفه وتدعى بات لقضاء عطلة نهاية الأسبوع في مزرعة يمتلكها جد
وحدة إحدى صديقاتها وتبين أن الخدين كاسا من هواء الخوص في لعوامص وفي
ذلك سر شعرت بات بالقلو من بعض أحواء المنزل مثل الطابق العلوي المروق
وفي بعد اقترح الخدان على بات أن تحاول القيام بكتابة تلفائية تسجل في بعض
مواقعها وفي اللحظة التي أمسكت فيها بات بالقلم استرحت يدها وشعرت كأنها في
حالة تشبه الاستغراق في نشوة أو غيبوبة، وأحسّت بحدريدها وذراعها، وبدأ لها وكأن
هذه امرأة من حلقها ذات وجه مثل وجه الدمية تلس رداء بعسجيا. وشعرت وكأن
قوى قد سلبت بواسطة تلك المرأة. ووحدة سطرت يدها بالقلم «البرايت ماريت
بروج موجودة هنا» (سبق أن ذكر مصيهاها اسم البرايت ماريت براوج أمامها)
وتبع هذه الكلمات رسالة مطولة نصت معلومات عن أن مسر براوج وروبرت
يرجعون صعوبة شديدة في بيعتها الجديدة التي تواجدا فيها، وببطء بدأت طاقتها
صعب حتى توقفت عن الكتابة، ولكنها أحست خلال بقية اليوم أنها غير متهاكة

وفي مساء اليوم نفسه عقدت جلسة أخرى فاصت فيها كيوتات مختلفة
استخدم أصابع بات التي تمسك بالقلم في الكتابة، وكانت الرسائل هذه المرة ذات
صع حش. وفي الجلسة الثالثة أحابت مسر براوج على سؤال طرح عليها: أين
سكن الآن؟ «سكن في كل مكان في لا مكان، نحن أنت وأنت نحن» وبعدها
حدث حذرهما

ثم تغير الخط إلى خط نوم، شقيق بات الراحل، وكانت الرسالة رسالة حب
وبربح، ولكنها عبرت عن شعورها بالتأثر فاجأتها صدقتها المصيفة صائحة «لم يكن
تست نوم، إنهم يتظاهرون بأنهم أي شخص» وهكذا أصبحت تعرف الكثير عن
كيوتات «الطيفه الدنيا» من الأرواح.

لاحظ أحد الخدين فيما بعد أن بعض الكيوتات قد احتضت من المنزل، إذ أن
مسر بات قد احتضت إليها تلك الكيوتات، وأصبحت بات في حالة اضطراب
«عنفدها بأنها استخدمت كإسهمحة لامتصاص القوى المشكوك فيها

ولما عادت بات إلى منزلها بدأت تسمع صوتاً في داخل رأسها، وأحسّت بأنها معرولة بصورة شاذة عن الواقع، فقد حاولت البرايت أن تستدرجها لمزيد من الكتابات التلفائية، ولكنها أدركت لو أنها فعلت ذلك فسوف تقوّي اسمهاك «سروح» بها، وقالت البرايت في إحدى رسائلها «نحن نريدك، وهذا رغبت لا سجدته لنا وسوف نسكن حجرتك في داخل جدرانها»

وأحسّها صديقها بأنها لو تجاهلت الصوت فربما تصعب، وأدركت هي أن الأمر ليس من السهولة بمكان، وحاولت أن تقرأ في إحدى الروايات شائعة مع تجاهلها للصوت، ولكن إحساسها بأن هناك شخصية أو كياناً كان يضغط على وجهها ويجعلها غير قادرة على التركيز وكانت تتعلّب في فراشها وتتحرك بقوة حتى أنها كانت تمحّص فراشها عدة مرات، ولكنها ظلت تشعر بأن معاناتها وتصلها هذه المعاناة كان هو الشيء الصحيح. بعد أيام بدأت تستعيد قدرتها على التركيز تدريجياً، وبدأ تأثير الكيوسات (كانت تشعر بوجود أكثر من واحدة) يختفي، وأخيراً أصبح لديها استطاع بأنها قادرة بالفعل على رؤية المرأة في ثوبها المسحّي تتراجع وتتحول إلى كتلة عائمة من اللون المسحّي ثم تستحيل إلى موجات حفيفة.

ربما كانت بات سهلة التأثر بالإيحاء، وربما أوحى عقدها الباطن تلك المرأة ذات الرداء المسحّي، ولكن لا بد من التسليم بأن هذين المسيرين عبر مقعيرين مثل التعبير الآخر بأن بات قد فتحت نفسها لإحدى كيوسات «الطفقة الدياء» وكان عليها أن تخلص نفسها منها بقدر استطاعتها إن وصف مثل هذه الأنواع من الاستحواذ مألوفة في كتب اللامعقول، ويذكر الباحث الأمريكي «لان موحان» كيف أنه في فترة من الزمن حصص هو نفسه للاستحواذ، ويحكى أنه اشترى لعبة معرفة الطابع لتسليّة صديق له في دور القاعة، ولكنه سرعان ما أصبح يتلقى كل أنواع الرسائل التي بد له أن بعضها يوصل له معلومات جديدة عليه لم يكن موحودة في عقله الباطن. مثال ذلك حينما أعلن المديع عن صحة الخبر، فأحسّت اللوحة أنها في الحقيقة ماتت بتأثر السم. وبعد عشرة أيام ثنت صحة ذلك (كان هناك تشكك في أن قتلها كان بسبب معرفتها الكثير عن مقتل جون كينيدي) نتيجة لهذا الإصدار تين لصوحان أن روحاً أطلقت على نفسها اسم «ناداء» (يعني لا شيء) - ويذكرها بإحساسات البرايت حينما أحسّت عن سؤالها على سكها قد «دخلت إلى أعماق «رأسه» وفي ذلك يقول «أصحت

سمع لصوت يكرّر نفس العبارات مراراً ومراتٍ بنفس طريقة كائنات الطبقة الدنيا
«وحينما سأل اللوحة عن ذلك، أجابته بحبر مائي: استحواذ».

وتولى أحد الأصدقاء العارفين مثل هذه الأمور ماعده فوجان، فقامت روح
أخرى بالاستحواذ على يده وجعلته يكتب رسالة «لكل منا روح وهو حي، وعينك
ألا تنفصل عن أرواح الموتى وأصبح وأصبحاً أن الروح أحدث تخرج الطقة التي
يدخل جسم فوجان وتدفع كل من «ناداء» والكيسونة الأخرى المعنية إلى الخارج من
قمة رأس فوجان:

شعرت بانتهاج بالغ وصحة جيدة بدأ عقلي يدخل في أفق ممتدة ليس لها حدود من زمان أو
مكان، ولأول مرة بدأت أشعر بالأشياء التي تدور في رؤوس الآخرين، ولشد ما أدهشني أنني بدأت
أشعر بالمستقبل من خلال نوع من الإدراك الممتد...»^(١).

مرة أخرى نستطيع هنا أن ندرك أن تقرير فوجان يبدو على اتصال وثيق بما ذكره
سويدنبرج عن الملائكة والأرواح فإن «ناداء» قد كررت العبارات نفسها مراراً ومراراً
كما تعمل كيونات الطبقة الدنيا دائماً، وعرفت نفسها أنها روجة الصابط البحري
باشوكيت ولاحظ فوجان من مظهرها أنها تعرض الاعتراف بأن زوجها حي وأنها
ميثة، فيبدو أن الكيسونة التي أخرجت ناداً من رأس فوجان كانت بمثابة ملاك من
ملائكة سويدنبرج.

لكن، ألا يمكن أن تكون كلتا الكيونتين من نتاج الشطر الأيمن من دماغ
فوجان جدير؟ إنه أمر ممكن تصوره، ولكن مرة أخرى، لا يبدو أن هناك تمييزاً بين
استعراضات الدماغ الأيمن وبين كيونات الطبقة الدنيا، فإن الدماغ الأيمن هو النفس
الخدسية، هو العصر الذي يتواجد فيها ويمدنا بالتأمل والإلهام، تماماً مثل الأنعم التي
تمشي في رأس الموسيقى مورات، ولقد كان لدى ناداً أشياء أخرى تعملها أفصل من
تكرار العبارات العبية نفسها مراراً ومراراً.

وباستطاعت رؤية العارق وأصبحاً في تلك الحالة الساقطة في مكان آخر وهي
قصة برادستر المدرس الأمريكي الذي يعيش في هلسدا وانفق أن نورط في حدة

Alan Vaigan: Patterns of Prophecy, 1973, P 4.

(١)

Access to Inner World, the story of Bradabestez (1938).

(٢)

إقامة صلة مع وداته الأخرى. بعد أن توفي طفله بالسرطان انعمس أستر وروحها في حالة من الانصمام، فكانت روجته تستلقي، لمدة ساعات على فراشها وتعمص عبيها تصارع الندم والإحباط. أما براد فقد كان يستلقي بحوارها ينتظر خروجها من ساتها الموحش، كي يهدي من روعها ويشجعها. كان يستلمي وهو في حالة نأب كامل ينتظر أدنى حركة تدل على أنها عائدته إلى وعيها العادي ومن الطبيعي في حالة رجل يستلقي على فراشه ساعات عديدة أن يساق إلى حالة استرخاء وفي يوم من الأيام بينما هو مستلق في هذه الحالة التي تجمع بين الاسترخاء والتأهب مر به شعور غريب بالتحرك الداخلي وتخلصه من جسمه وأحسن كما لو كان طافياً فوق فراشه ثم لاحظ نبضاً في عضلات ذراعه تريد التحرك، فأعطاها من عقله نصريجاً بالتحرك وطمأ في الهواء، وما لبث أن أصبح ذراعاه يتحركان حركات عشوائية وهو يسطر كالمخرج

وفي قاعة الطعام حيث تُقدّم وجبات حميئة، أصرحت يده ميلاً إلى اختيار الطعام بنفسها، وظل مدة أسابيع متعددة يسمح ليده بأن تختار الطعام الذي تفضله، ونادراً ما كانت تختار ما تريده لنفسه. ولاحظ بعدها أنه بدأ يفقد من وزنه ويصبح في حالة صحية أفضل من ذي قبل وفيما بعد استخدمت يده الأقلام والألوان فأدعت مجموعة رائعة من اللوحات كما قامت بداء بعمل تماثيل معدنية، وأحدثت نكتب أيضاً القصائد الشعرية التي تميزت بالوصوح والبلاغة اللغوية

الذي حدث هو أن ذات الشطر الأيمن من المخ بدأت تعز عن نفسها، ويمكن القول بأن العصور المسؤول عن اللاوعي في برلمان عقله قد استشر شجاعته لبدأ في بقاء الخطب وما يذكرها، أن علماء النفس يشيرون إلى الشطر الأيمن من المخ عن أنه الشطر غير السائد في معظمنا، وهو يتصرف مثل الروح المعلوب على أمرها والتي لا تخرج على إبداء رأيها، والتي علمتها ساعات الاسترخاء والهموم عند براد أن تتعلم على جعلها

دات يوم حينما أمسك براد القلم ليسمح ليده بأن تكتب، كتبت بحظ مختلف ثمداً عن حظه الأصلي، وأعلنت امرأة اسمها وقدمت نفسها تقديمًا مختصراً كان ردّ المعمل المباشر عند براد رفض قوي، فدفع الورقة من أمامه بعيداً، وتحدث بقوة قائلاً «أنا لست أكون ممن يطقون لأي شخص آخر سوى نفسي» فذهبت هذه المتصلة

وهي تعد ثلثة وهما يبدو لنا واضحاً أن هناك فرقاً بين صوت الشطر الأيمن من الملح
في متصل خارجي أو روح.

باحتمسار، سواء قلنا أم لم نقل، من الواضح أن هناك حالة من الانطباع الأولي
عن وجود كيانات غير ممتدة بمكسأ أن تتصل بها في ظل ظروف معينة.

ويصف سويدسرح مؤقفاً من الشك في هذه الأمور، ولطفر فيما قلناه من أمور
حرى إن آراءه بسيطة للغاية، فالإنسان، طفاً لما قاله، روح تسكن في جسد تماماً
مثل القائد الذي يجلس في السيارة عندما يموت الإنسان يترك جسده ويعاديه، ولكن
يصل باقياً متواحداً في شكل غير ممتد فعندما يتوقف ببص القلب تنقل الروح،
وهي لإنسان ذاته، إلى مستوى آخر من الوجود ويصف سويدسرح هذا المستوى
لاخر بشيء من التفصيل في كتابه الذي عنوانه «الحية والبار»

وأول طباع يؤذي إليه ذلك الرأي هو أنه رأي واضح السداجة، فمن عدم
شخصية شيء وتغير وتنطور على مدى الحياة. ويشير هـ ج ويلر إلى أن كل
حبة من الخلايا التي تتكون منها أجسامنا تتغير كل سبع سنوات، ومن ثم فإن
إنساناً حياً يبلغ الأربعين من عمره يكون مختلفاً تماماً عنه في سن الثلاثين أو
خمسين فضلاً عن ذلك قد تتغير الشخصية من خلال حادثة معينة، مثال ذلك من
يتلقى صدمة قوية على رأسه قد يتحول إلى شخصية أخرى وقد كتب أحد مشاهير
باحثين في حوارق العادات وهو البروفسور جون نيلور في كتابه عن «شكل العقل
نفس» يقول إننا نعرف الشخصية بأنها مجموع الإسهامات المختلفة التي تتألف من
محسوسات وحدات التحكم في الملح، وعلى ذلك فإن الرعم بأن الشخصية قد تبقى بعد
موت يشبه إلى حد كبير الرعم بأن المنزل سيقى بصورة ما بعد هدمه، أو قولنا إن
روح السقيمة تستمر حية بعد تفكيكها في حوص السمس. الواقع أن شخصيتي
معرض للتبدول حياً أتعب، وتنطفيء مثلها ينطفيء الضوء حياً أنام، وعلى ذلك فإن
مكرة التواجد بعد الموت تبدو صافية للمطلق.

نجد هذه الاعراضات كلها ملخصة بصورة جميلة في مقال برتراند راسل الذي
كس خلال العصر الثالث من هذا القرن تحت عنوان «هل سقى بعد الموت؟»^(١)

(١) نشر في كتاب «أسرار الحياة والموت» The Mysteries life and Death

فيقول إن الشخص ساطة عارة عن مجموعة من الأعراض العقلية والعادات، وإذا اعتقدت في الحياة بعد الموت فعلى أن تعتقد أن الذاكرة والعادات التي تكون الشخص أو الشخصيه سوف تنهى بصورة من الصور، وقد أتى به ذلك إلى أن يذكر بصرحة «أن الأمر عارة عن جدال غير عقلاني، ولكن العواطف هي التي تستب الاعتراف في حياة أخرى مستقبلية». ويواصل راسل حديثه قائلاً: «إن أحد الشعاع التي تشع عن الاعتراف بالقاء هو الإعجاب تفوق الإنسان»، ويقتبس من أسقف برمجهم قوله في هذا الموضوع إن الإنسان يعرف الحق والباطل وأنه قادر على بناء كنيسه وسميته وصنع الطائفة وحساب المسافة بين الأرض والشمس، فكيف إذن يستطيع الظن بأنه سيعي تماماً عند الموت؟

ويقول راسل إن هذا (في حقيقة الأمر) هراء عاطفي، وهو من نوع هراء اندي وقف في وجه جاليليو وبيوتن وغيرهما من عظماء العلم، حيث أرادوا أن يتعمقوا في بحث لكون، وكان قسيساً مثل أسقف برمجهم قد قل بأن يكون لا بد أن تسير في مدار دائري لأن الدائرة هي أصسط المساحات، وأن كل الأنواع لا بد وأن تكون ثابتة لأن الإله لا يهمل أن يخلق شيئاً غير محكم

على كل، يقول راسل، إن الفكرة الرفيعة عن الإنسان لا تتأق إلا حينها يفكر تفكيراً تجريدياً، والدول المنحصرة نفع نصف دحلها في قتل بعضها، ولنمكر في كل نبت الأهل التي ارتكبها الإنسان، فلو أن عالماً كان له عرض عديد فهل من المؤكد أن يكون ذلك العرض غرضاً شيطانياً؟

هذا الحدل من واقع الأمر جدل عاطفي وغير منطقي، مثله مثل ذلك الحدل الذي يسه راسل للأسقف، فإن لت الموضوع هو التأكد من أن الشخص أو الشخصية هي ساطة مجموعة من الأعراض العقلية والعادات، وحينئذ الشخصية تتعرض مع هذا، فإنني مضع تماماً بأن الشخص الذي ينظر بعيني هو شخص الطفل نفسه الذي فتح عييه على هذا العالم منذ نحو خمسين عاماً. حقاً إنه كان يفقد سيرة صميرة وأنا أقود سيارة صالون ثقيله، وحقاً أنه نبي ما كان يشعر به وهو طفل، إلا أن الشيء يحدث الآن، فاما أشعر بأننا الآن أساساً الأشخاص أنفسهم

بالإضافة إلى ذلك، لاحظت أن شخصيات أطفالنا بدأت تتكشف وهم صغار

حدث في الوقت الذي لم يكن لهم قدرة على شرب اللبن أنفسهم، ولو أن ما قلناه جون
س. ويرتراند راسل يصحح عن أن مصدر الشخصية هو وحدات التحكم الموجودة في
عقل، فلا بد وأن كلاً ما قد ولد بوحدات تحكم عادية مبررة

فوق ذلك، يمكننا متعة العاشر هكذا حتى نهاية اليوم دون أن يفسح راسل بأن
كلمات لشريه أكثر من مجرد مجموعة عن الأعراض العقلية والتجارب، ودون أن
يتم للأسف بأننا لسنا أرواحاً مخلدة بدلاً من ذلك لنظر إلى نوع آخر من الأدلة
تعتبر حيرة شخصية إن صعوبة مثل هذه الحكايات تكمن في أن معظمها غير
وإن لم يكن، ومن ثم فإن قبولك لها من عدمه يعتمد على سرعة تصديقك لها في
سيرة. وهذا هو ما يسميه ريبه هاير Renee Haynes بداية الانعكاس والواقع أن
مختلف من الأمر هو الذي الذي يشعر به بأنها تنق في الشخص المعين ولأحد على
سبيل المثال للحكاية التي رواها الكاتب المسرحي المعروف الفريد سوترو في ذكريته
في شهره عام ١٩٣٣ بعنوان «الأرواح السيطة والأرواح المشهورة» يقول سوترو إنه
قد مرت به في حياته كلها تجربة نفسانية واحدة كان في سيرته التي يفوقها سائقه في
مخرج ريبه حينما سمع بحبيب طفل، فطلب من السائق أن يتوقف، وقال له لسائق
به لا يسمع شيئاً مما سمعه، ولكن سوترو تتبع الصوت خلف بعض الأشجار ونزل
عن حمار لهر، وهناك وجد طفلة جميلة في الثالثة أو الرابعة من عمرها تبكي
تسحب وهي مبتلة وكان واضحاً أنها سقطت في الماء، فحملها وعاد بها إلى سيرته،
وهو يستطيع أن يوقف بكاءها ليعرف منها ما حدث، وسأها عن مكان سكنا وأشار لها
بحر لأمم فأومأت برأسها، ومضت السيارة ولم تقطع مسافة طويلة حتى وصلت إلى
ممر مرل صمهم وحينما دخلت السيارة اندفع نحوها رجل وامرأة لمقابلة سوترو،
رسلاً «هل لديك أي معلومات عن الفتاة؟» فأجاب «إنها في السيارة» وعاد إلى
سيرته ثم يجدها بداخلها، وسأل السائق «أين الفتاة الصغيرة؟» ولكن السائق ظل
صامتاً يجب، فادركه قائلاً «الفتاة التي أحضرتها إلى السيارة» فأجاب السائق «نعم
مخضرة أحدها للسيارة»

عاد بالسيارة إلى شطّ الهر فوجد جسد الطفلة ممتداً على بعد أقدام قليلة من

قصة غير عادية، لا شك أن معظم الناس يرفضونها ويعتبرونها مساهية للعقل،

غير أن هناك بعض الأحداث التي تؤيدها، فقد كان سوترو كاتباً مسرحياً مشهوراً في عصره، ومن المفروض أنه لا يقول كذباً لمجرد الهزل. ولكن هناك حقيقة أخرى هي أن تلك كانت البحرية النمساوية الوحيدة التي ذكر أنها صادقة

لم يكن الأمر كذلك، ويذكر سوترو أنه روى القصة لعدد من يشتغلون بالأمور النمساوية والعوامص كهواية، فسروها له تصرفات متعددة، ولكنه لم يجد من أي مهم التفسير الحقيقي الذي توصل إليه نفسه. كان واضحاً أنها عممية مقصودة لإظهار سذاجة من يؤمنون بالحياة بعد الموت

لوعرف ذلك لأمكسا أن بدأ بالنظر في أوجه الصعف التي تطوي عليها القصة هل يستطيع أي راكب سيارة أن يسمع أين طفل؟ ولو أنه سمعه فهل ينبع به الاهتمام أن يوقف السيارة للبحث عنه في الوقت الذي تعثر طهرة بك، الأطفال أمراً غير نادر الحدوث؟ وهل لم يسأله السائق متعجباً عما يفعل وهو يتحدث، من انقعد المجاور موتها سؤاله عن مكان السكر؟ وهل يمكن أن يخرج من الباب الأمامي من السيارة تاركاً الطفل في داخل السيارة؟

هذا هو نوع الأسئلة التي علينا أن نطرحها عن أي تجربة حارقة للعادة إذا ما أردنا أن نتجنب التسليم بها، وهو أمر معروف للباحثين الأوائل في جمعية لبحوث النمساوية حينما تكونت عام ١٨٨٢، فلقد رأوا أن من الضروري انتفت من الأمور من أكثر عدد ممكن من الناس وجعلهم يحملون اليقين على صدقهم وهذه الطريقة لا تكفي للتأكد من ريف القصة. بيد أنه في قليل من الحالات قد تجتمع اسدلائل المأخوذة من الأحداث وتأكيدات الشهود على أمور متشابهة. رويت قصة من هذا القبيل في محاصر جمعية البحوث النمساوية في الجزء الثامن عام ١٨٩٢، يمكن أن نحدد كما نرى يؤكد هذه الحصة. وقد رويت تلك القصة على سبب الأب ح ن برتراند الراعي الروتسني للكيسة بوللي على سهر السير، وأكدها أشخاص معيون كس برتراند في سويسرا على رأس مجموعة من الشباب في رحلة لتسكن حن يسمى تيتليس، وحينما أوشكوا على بلوغ القمة شعر برتراند بإعناء شديد بعمره عن مواصلة الصعود، فطلب إلى بقية الجماعة الذين يقودهم دليل أن يواصلوا الصعود بدونه وأن يصحبوه عند نزولهم.

حسب وقدمائي معلقان فوق محذر خطير، وظهري مستند إلى صحرة صحمة كالنقعد الوتر،
 - ذلك الحرف لعدم وجود الجليد عليه، ولأنه يواجه منظراً جيلاً من جبال الألب بمنطقه برز
 - كبرت في حبيبي لعافتي تبع، أحدثت إحداها وأشعلتها بعود ثقاب شعرت بأني أسعد من كل
 - حار ثم شعرت فجأة بصريه عاصفة من السكينة المحيطة، ورغم أن عود الثقاب ظل مشتعلًا
 - حتى حرق إصبعي، فإني لم أتمكن من إلقائه. كان عقلي آنذاك في حالة صفاء تام وسلامة، ولكن
 - جسمي كان حائراً فاقد القوة، عليهم الحركة كالصحرة، ولم يكن لدي أي مبرر لنظر بأني في حالة
 - عدم شوح ونو تحركت لسقطت إلى القاع، وإذا لم أتحرك فسوف أصبح في عدد لاموات خلال
 - عشرين أو ثلاثين دقيقة. بعثت بدعاء إلى الله وعرفت أن أدرس في هدوء عملية الموت. فجمدت
 - صديدي في أول الأمر، شيئاً فشيئاً وصلى الموت إلى ركنتي ومرفقي. لم يكن إحساساً مؤلماً بل
 - سر في العقل شعور بالارتياح التام. ولكن حينما شمل الموت كل جسمي شعرت برأسي شديد
 - - وده. وبدأ لي كأن كيمشيت نعتصر قلبي لتتزع حياتي. لم يسبق لي أن شعرت بمثل ذلك الألم المروع
 - حتى من لحظة أو دقيقة وفارقتي الحياة حينئذ فكرت: «حسن جداً، أصبحت في عدد لاموات،
 - صحت مثل كرة في الهواء. بالونة ما زالت مرتبطة بالأرض بسوق من الخيط المطاطي، وأنا أصعد
 - - عن واستمر في الصعود، ما أغرب ما أرى. أرى أكثر من ذي قبل وأنا ميت. أين جسدي
 - - - وعرفت إلى أسفل فدهشت حينما تعرفت على علالي وقلت لنفسي: «عجيباً هذا هو جسدي
 - - - كب أسكنه وأسكنه «أنا»، كما لو أن المعطف هو الجسد وكما لو أن الجسد كان هو الروح! ما
 - - - شيء ذلك الشيء الذي هو الجسد. شاحب للعناية، ملون بلون أررق باهت يحمل سيجارة بين
 - - - شعب وعود ثقاب بين إصبعيه. . حسن أرجو ألا أذعن أبداً. . إنها خرقة بالية قدرة. آه! لو أن
 - - - بر. ومعي مقص لقطع الخيط الذي ما زال يربطني إلى تلك الخرقة البالية! حينما يعود دغافتي
 - - - سرب ينظرون إليّ ويقولون: «هات الأستاد، ما أتمس هؤلاء الأصدقاء، إنهم صغار لا يعرفون أنني لم
 - - - كن من حياً مثلاً أنا الآن، والدليل على ذلك هو أنني أرى الدليل بوجههم إلى اليمين بينما قد وعدي
 - - - - يحدهم إلى اليسار. كان المفروض أن يكون في آخر الجبل. ولكنه الآن ليس في أوله ولا آخره،
 - - - به وحيد بعيد عن الجبل. والآن يظن الدليل أنني لا أراه، احتسى خلف الشباب، وهو الآن يشرب
 - - - من راحة الحاديرا التي كانت معي. حسن، لتستمر أيها المسكين. إنني أمل ألا يشرب جسدي
 - - - شيئاً بعد الآن. آه هناك يسرق جزء من الدجاجة. هنا استمر يا صديقي القديم التهم الدجاجة
 - - - كنها. د أردت فربي أمل إلا بأكل جسدي البائس مرة أخرى؛ ولم أشعر بدهشة أو عيب، ذكرت
 - - - حمدن دون موازية وقلت «هالو. إن روجني داهية إلى لوسرن، أخبرني أنها قد تذهب عدداً أو بعد
 - - - عدهم خمسة أمام فندق لوسرن. وداعاً يا روجني إنني ميت. » كان كل ما يؤسفني أنني لم
 - - - أستطيع أن أقطع الخيط. سافرت بلا طائل خلال عوالم حيلة حتى لم يصبح لهذه الأرض معنى. إنني
 - - - رعب في شيبين فقط. أن أتأكد من عدم عودتي إلى الأرض وأن أكتشف جسدي الحديد الخليل الذي
 - - - لا يشعر بالإعياء. لن أكون سعيداً لأن الخيط لم يقطع، حتى بعد أن استنق وأصبح ربيعاً عما كان،
 - - - ولم يصبح جسدي المأمول ظاهر المنظرات المأهولة

فجأة جاءت صدعة أوهت تصاعدي، وأحسبت كأن شخصاً ما سحب النول إلى أسفل

حررت حرراً لا يمكن تديره. كان الدليل قد اكتشف الأمر، وطبق على جسدي العلاج المعروف لمثل هذه الحالة، وهو أن بذلك جسدي بالتحل، كان الأمر عامصاً ماله لي، وأذكر فقط أن كل شيء بدا لي عامصاً، وأحسست باردواء شديد للدليل الذي كان يتظر مني حرراً حسناً حينما ألهمني أنه صنع الأعاصير لم أشعر من قبل بمثل هذه المضايقة القوية، وفلت أخيراً للدليل المسكين «أنت عبي، وعاملتي كعبي، حينما كان جسدي مربصاً صطاه» لماذا لم تقطع الخيط؟ قال الخيط! أي خيط؟ كنت تقريباً في عداد الأموات؟

- ميب! في عداد الأموات! لا بل كنت أقل موتاً منك الآن. وليس أدل على ذلك من أنني رأيتك تصعد إلى قمة جبل تبتليس من الجبال من يبا وعدتني أن تصعد من الويسر فأبدي الرجل دهشة قبل أن يرد علي قائلاً: الآن تقول كان ليلاً، ولم يكن هناك خطر الانزلاق من عليه.

- تقول ذلك لأسك ظلت أنني كنت بعيداً عنكم، لقد دعت من الجبال الأربع كلها سمحت لأثنين من الشباب أن يتركوا الجبل، فمن ما العمي إذن؟ إنه أنت ولسب أنا. ولأن سادتي رجاجة المادير لأرى إذا ما كانت ما زالت ملانة.

كان ذلك معاحة جعلته يبعد يديه عن جسدي، وسقط على الأرض وهو يقول لنفسه بصوت واضح هل ساروا وراما؟ لا، لا يمكن والآن لراياه، أم أنه كان يرب من حلال لخل؟ هل جسده ميت والذي يعلمني بما فعلته هو شبحه؟

قلت له بصراحة «أه، علسقط ولتظر إلى ما شاء ذلك أن ينظر، ولنقدم في ممراتك الضعيفة، ولكنك لن نستطيع أن نثبت أن دجاجتي لم يكن لها رحلان اثنا، لأنك سرقب إحداهما! كان هذا كثيراً على ذلك الرجل الطيب، فوقف على قدميه وأصرع كل ما تخنونه صرته وهو يتمتم بالاعتراف، ثم هرب من أمامي.

هذه وتغير ملاحظة برتراند بأن روحته قد عادت لوسرل مسكرة يوماً كاملاً على أن مقررراً، مما يؤكد أنه كان صادقاً.

في حانة مثل هذه، لا توجد لديها تأكيدات من الأشخاص المعيين، ولكن لديها أيضاً ظاهرة مستحيلة تتمثل في معرفة برتراند بوجهه الدليل في الوقت الذي كان يجلس فيه وظهره نحوه، ولش كان قد أخطأ في ظنه أنه قد مرّ بتجربة الموت، فلا بد وأنه قد مرّ بتجربة عريية تتمثل في الإدراك من حلال نوبة حسنة فائقة.

وفي هذا التقرير عدة نقاط هامة، إحداها الخيط الذي أراد برتراند أن يقطعه، فهو لم يشرح ما الذي كان يقصده بهذا الخيط الذي كثيراً ما يذكر في التقارير التي سميها تجارب التواحد خارج الجسد (O B E) التي كان فيها الأشخاص يطمعون

ح ح حسادهم بينها مشعرون تأهم بظرون إلى أسفل فيرون أحسادهم الطبيعية وهم
 م صوع من الحل أو الخبط اللامع . ونقطة أخرى جديرة بالذكر هي قلعة برتراند
 من ش ش ش كانت تحدث في مكان آخر، مثل ما كان يصعله الدليل، واستعداد
 ح ح ح لوسون وغير ذلك مرة أخرى يذكر أن مثل هذه الأمور يكرر شرحها
 من ح ح كل من يرعمون أنهم مرّوا شجرة التواجد خارج الحسد وهناك نقطة ثالثة
 ح ح ح لإشارة إليها هي شعور برتراند بالارتياح وهو خارج جسده، وما استتبع ذلك
 من شعور بالتردد أو عدم الرغبة في العودة إلى الحسد، وهي ظاهرة أخرى مأثورة في
 ، بات تلك التحارب

كل هذا، يثير قصة برتراند عن تلك القصة التي استدعها الفريد سوترو، ذلك أن
 ح ح ح سوترو يعتبر من ذلك النوع الذي ينصوّره من يعرفون القليل عن البحوث
 ح ح ح وأنها من قبل حكايات الأشباح، ولكنها في الواقع خلاف ذلك، وهذه
 ح ح ح من آلاف الروايات والتقارير الواردة في الكتب السويدية لجمعية البحوث
 ح ح ح، أو مثيلاتها في أوروبا وأمريكا، لوحدها أن الأشباح لا تجلس على شواطئ
 ح ح ح على بعد ياردات قليلة من الأحسام العارقة وتصدر أصواتاً مرعجة تعلو لدرجة
 ح ح ح مسموعة في داخل السيارة رغم دوران محركاتها وهي لا تسمح لأنفسها أن
 ح ح ح أو تؤخذ إلى خارج المزار التي تعيش فيها فظهورها المظلي كما تصفها
 ح ح ح في التقارير تبدو فيها كأشخاص حقيقيين كانت هناك امرأة جالسة تقرأ
 ح ح ح عبيها في شجرة عمود طويل القائمة بحيف القوام، وحسبما دققت النظر فيه
 ح ح ح عبيها كعصا الكبر، كان يبدو عليه الهياج، وفي يده لفة ورق لم يجدها حينها
 ح ح ح، وبك حرج من باب كان أحد مصراعيه مفتوحاً لم تشعر بأي تهديد لأنها
 ح ح ح أن عمها قد أن ليراها ثم تلفت في الريد بعد ذلك خطاً من والدها،
 ح ح ح إليها فيه أن تذهب لترى عمها الذي كان مريضاً في فراش الموت ولما ذهبت
 ح ح ح أنه قد مات في مساء اليوم السابق في الوقت الذي رآته فيه بحجرتها وعثر
 ح ح ح ورقة تحت وساده الرجل، واستنتجت من ذلك أنه كان يريد أن يعبر وصيته
 ح ح ح، ولكن الموت فاجأه هذه الرواية مأخوذة من أحد المجلدات القديمة
 ح ح ح البحوث السويدية تحت عنوان «حالات الأحياء» كان قد سطرها بعض
 ح ح ح المؤسسين وهم حوري Gurney ومايرر Mayers وبودمور Podmer (الجزء
 ح ح ح ص ٥٥٩) وهي حكاية تسير أساساً النمط الذي عليه مثبات الروايات

المشابهة (يبلغ حجم الكتاب أكثر من ألف صفحة) وحكاية الأسقف برنارد أيضاً
سائر هذا النوع ومثلها في ذلك مثل مئات التقارير عن الموت القريب أو نجارب ما
بعد الموت.

وبالإمكان دائماً أن نعثر على ثغرات في الروايات الفردية، مثال ذلك حالة العم
كبير التي قدمها الميجور تيلور إلى جمعية الحوث النفسية ذكر فيها أن السيدة «ل»
التي سجلت هذه الحالة ترعب في إحياء اسمها عن أقاربها المصريين، ربما لأن الموضوع
كده من ختلاق تلك السيدة أو من إبداع الميجور تيلور، أو ربما كان اختلاقاً من
مؤلفي الكتاب لعرض معين. غير أنه وحدث بعد ذلك الكثير من الحالات في كتاب
وحالات الأحياء، يبدو موضوع ما بينها من تشابه أساسي ويبدو أنها جميعاً حالات
مرعومة.

أخيراً هناك ما هو أكثر إقناعاً من الحدل حول ما قدمه سويدسرح من آراء عن
الحياة بعد الموت. فهناك أدلة كثيرة مماثلة تؤيده في مئات من لتقارير المكتوبة عن
الحياة بعد الموت تعرض لما السط منه الذي يتمثل بصفة عامة في أنه بعد مرور
للإنسان بتجربة الموت التي قد يصحبها إحساس بالألم أو الاحتراق يأتي الشعور
بالتحرر. وفي كثير من الحالات يشعر الإنسان بأنه بهوي في حندق عميق يرى في
نهيته النور، ثم يجد نفسه يطير إلى جسده، وعادة ما تصطب هذه الحانة شعوراً
بأمن عميق وارتياح معين لوقوع هذا الوحد الطبيعي. وقد يجد للشخص أنه من
المستحيل قول فكرة موته، ويجاول أن يتحدث إلى أناس آخرين، فهم يتجاهلونه
رغم أن تلك انكائنات تبدو أحياناً مدركة له. وهو يجاول أن يلصقهم ويمر بيده من
خلعهم. وفي مرات متكررة من حوادث وتجربة الموت، يقابل الشخص الميت أساساً
من أقاربه ماتوا قبله، وهذا يحدث فقط في حالة الحمي الشديدة، وقد يقابل الشخص
في إدراك أنه لم يعد حياً، وفي تلك الحالة قد يظل محموساً في الأرض أو روحاً مرتبطة
بالأرض إلى الأبد.

ولعل الاعتراض الواضح أحد على حالة النفس برتراند كدليل على الحياة بعد
الموت عدم وجود دليل يثبت أنه قد مر بالفعل بتجربة الموت. ربما مئت به حالة شبيهة
بالحلم أو الرؤيا، حتى علمه بالمحالفات التي ارتكها الدليل لا تعتبر إثباتاً واضحاً على
حوصه تجربة الموت، فربما كانت نوعاً من رؤيا الاستشفاف. بيد أن حالات أخرى

عديدة قامت فيها الأرواح الوسيطة بإملاء رسائل ترغم أنها قد عادت من الموت، عدم ها حالة مودحيه منها من سجلات أحد الباحثين المحدثين هو الدكتور روبرت كروكل Dr Robert Crokall تتعلق بوفاة الدكتور كارل بوفوتي أحد ملائيد العام لفساي الفريد أدلر، فقد رأت صدقته جريت شرودر Grete Schroder في مامها بوفوتي قبل وفاته بيومين ليلة عيد الفصح عام ١٩٦٥، وأعلنت أنها علمت بقرب موت بوفوتي، وحيثما تحقق الحلم تأثرت جريت بشدة للرحلة أنها ذهبت إلى أحد لوسطه لتستشيره رعم أنها لم تكن تؤمن بهذه الأمور من قبل، وكتب الوسيط رسالة موت بوفوتي بالكتابة التلقائية بخط يد معين نصرفت جريت شرودر على أنه خط بوفوتي نفسه.

وصف بوفوتي كيف أنه أثناء عيد للربيع كان يفصيه في مرله الريمي، وافق عن الخروج إلى سرهة مع بعض أصدقائه، فشعر بالمرض، مدة من الزمن، وكان يشك إذا كان سيسقطهم في تلك الرحلة أم لا:

مع ذلك أجبرت نفسي على الذهاب معهم، ثم شعرت بأنني متحرر وفي صحة جيدة، وأحدث نفس يعمق في هواء المساء الذي وكنت في حالة أسعد عما كنت عليه لمدة طويلة كيف كان ذلك؟ بعد أدهشي أنني أصبحت لا أواجه أي مشكلات، ولم أكن متعباً أو ضيق النفس

تلفت نحو أصحابي وإذا بر أنظر إلى أسفل فأرى جسدي على الأرض وأصدقائي في حالة من يأس يستعدون طيباً ويحاولون الحصول على سيارة تحملني إلى المنزل، ولكني كنت صحيحاً، لا شعر بأي ألم، ولم أستطع تفهم ما يحدث وانجهت إلى أسفل ونحست قلب الجسم الملقى على الأرض حقاً - لقد توقفت البص - وكنت ميتاً! لكنني ما زلت حياً مع أصدقائي انكلم، غير أنهم لا يروني ولا يرقون علي. فغضبت منهم وتركهم.

وظل كلني يسبح وشر أنبا حرياً لا يعرف إلى أي واحد منا يذهب، إذ كان يراي في مكانين في وقت واحد واقفاً ومستلقياً على الأرض

وحيثما انتهت كل الرسيمات ووضعت جثتي في التابوت لمحت من أن المية قد واهتي، ولكنني استطعت الاعتراف بالحقيقة أنني مثل أستاذي الفريد أدلر لم أكن أؤمن بالحياة الأخرى أو بما بعد حياة، فذهبت إلى أعلى التل حيث تسكن حريت، وكانت جالسة بمفردها، وقد بدا أنها غير مستعدة، ويبدو أنها لم تسمعي هي الأخرى.

ولم يعد هناك يد من الاعتراف بالحقيقة فحيثما فعلت ذلك رأيت أنني تأتي لتحتي، بدرعهم معوحتين لي تخبرني أنني انتقلت إلى العالم الآخر - لم يكن ذلك بالكلمات طبعاً، لأن الكلمات شيء

يتمني إلى الأرض فقط، ومع ذلك لم أدرك عوارضها، وظننت أنني في حلم وظن هذا الاعتماد عمدي مدة طويلة، قاومت الحقيقة وأصبحت بالغ التعاسة»

من السهل أن تؤيد برتراند راسل في عدم ثقته في مثل هذه لرهيب، فيبدو أنها مثل التفكير المأمول وهي أيضاً تتعارض مع افتراضاتنا المسببة على لتعمل، فمثلاً يصف نفسه وهو تنفس بحرق في هواء المساء النقي، فهل يتنفس الميت مثل الحي ليحتو الأوكسيجين إلى ثاني أوكسيد الكربون؟ والمفروض أنه وجد نفسه في ملابسه الكاملة وهو يقف بجانب جسده ولو أنه وجد نفسه فجأة عارياً تماماً فربما كان قد لاحظ سرعة أن شيئاً غريباً يحدث، فهل يعني ذلك أن ملابس سوف تبقى عيب بعد الموت أيضاً؟ يبدو أن الرواية بكل أسف غير مقبولة من ناحية الحقائق، فهو أنه وصف دوامة الأصواء الملونة أو الشعور بامتداد التموجات التي ترح على سطح لبحيرة فربما كان الأمر أكثر قبولاً ولعل هذا الموضوع العادي الكامل الذي هو محاولته لتحسس نفس قلبه وعصه من أصدقائه يبدو كما لو كان من ابتكار شخص ضعيف الخيال.

أمام هذه الاعتراضات، عليا أن نضع تحت أعيننا الحقيقة البسيطة بأن هناك لكثير جداً من التقارير الخاصة بتحرية الموت، وهي تسير تقريباً على النمط نفسه، فأني علم قد يسلم بأن ذلك يجعل المراهين أكثر إقناعاً، فإذا عاد بتجار يحكي أنه تعرض لحادثة غرق سميت ووصل إلى جزيرة بها سكان لهم شعر أحمر وديول صويلة فربما كان من الأسلم افتراض أنه إما كاذب أو أنه كان يعاني من هذيان ارتعاشي. أما إذا قرر مئات البحارة مرورهم بالجزيرة نفسها خلال سنوات عديدة فقد يكون من العبد ألا نولي ما يروون عايه خاصة وتقديراً دقيقاً، فقد يكون من ورائها شيء حتى لو كان تأمرأ من جانب البحارة، بالطريقة نفسها حينما يأتي تقرير ورء تقرير من أداس تعرضوا لخطر مصاحي، ويذكرون في رواياتهم عبارة واحدة «وترأت كل حياتي أمام عيني»، فربما يبدو ذلك وكأن العقل قد تعرض بصورة غريبة للدكريات سريعة لتداعي شكل إلى شطتها لخطات التعرض للموت. قد يفكر الدين يعتصدون في الحصة الأخرى أن العرض من هذه الميكانيكية هو تذكير الشخص بهويته حتى لا يدخل في لعالم الآخر وهو في حالة التأس، أما المشككون فيطرون إلى ذلك على أنه ظاهرة

طسعية، ربما تكون نتيجة لزياده في إفراز الإنريسالين، أو لعص التصرع الكهربى الذى يصحب الحالة الطارئة. بيد أنه نظراً لكثرة عدد الحكايات التى رددت هذا الإحساس فإن هناك اتجاهأ أكثر ضعفاً يرفضها باعتبارها نوعاً من حكايات العجائز

فهل يعنى ذلك أن برتراند راسل قد عمد إلى إعمال الحقائق حيساً وصف ما يسبب الاعتقاد فى حياة مستقبلية بأنها ليست مراعم عقلانية بل عاطفيه؟ ليس ضرورياً أن يكون برتراند راسل قد فعل ذلك، بل علينا أن نعرف بأن العالم مبدى بملايين الحقائق، وأن لكل شخص أن يختار ما يهمنه، حتى كبار المفكرين لا يستطيعون أبداً أن يملؤ فى معرفة تتجاوز حراً شيئاً من كل الحقائق المتعلقة بالعالم الذى يعيشون فيه. ولقد كرس راسل حياته لمحاولة إقامة الحقائق الأساسية عن المطلق ورياضيات، ولا يحق لأحد أن يلومه فى أنه لم يكن عبأ للاستطلاع عن وجود حياة أخرى أو «حياة بعد الحياة» وفى سوء عدم وجود الدافع إلى الاستطلاع بصعب عيب أن يومه عن الخلاصة التى عبر عنها بعبارة «حيماً نموت فإنك ميت بالفعل»

هذا، ويستحق راسل أن ينظر إليه نظرة باقطة حول الطبيعة الصحلة التى مبرت مراعمه من السبب فى اعتقاد الناس بوجود حياة أخرى، فهو يسلم بعدم وجود براهين علمية عن وجود حياة بعد الموت، وبذلك فلا بد أن يكون تفكيراً فى رعة مأمولة. أما عن الاعتراض على أنه فشل فى تقدير الحقائق فقد يجيب على هذا بأنه ليس لديه وقت. ولكن لو تقدم إليه شخص بالحقائق القوية الثالثة ليرهن على وجود حياة بعد الموت، فقد يكون مستعداً للاقتناع بها.

والحقيقة البسيطة هى أن هذه ليست الطريقة التى نقيم بها الحق، فلا يمكنى أن أقرر أن الشخص صادق لأن لى برهاناً دامعاً قوياً، ولكنى أقرر على أساس عدد كبير من التحارب التى مر بها هذا الشخص وتتجمع فى النهاية كتجمع الخريبات لنعطينى صورة شاملة عن شخصيته. ويمكن مفاظه ذلك بالصورة التى تظهر فى الصحف، فحينما ينظر إليها من خلال عدسة مكبرة نجدها تتحول إلى مجموعات من البقط السوداء والرمادية، ولا يستطيع من ينظر إلى هذه النقاط، كل على حدة، أن يكو صورة حقيقية لوحه معروف. والشئ الغريب ها هو أننا حينما ينظر إلى الصورة عن بعد معين تتلاشى البقط، وحينئذ نعرف على الوجه بل وبرى التعبيرات

في انعيبي. فلو أننا نظرنا إلى الصورة نفسها من خلال عدسة مكبرة فمن المستحيل أن نرى كيف أن النقط تخلق ذلك التعبير

ينطق ذلك كله على المشاكل المتعلقة بحوارق العادات، ولقد مررت في تجربة من هذا القبيل منذ نصح سوات حيا كنت أكتب كتاباً عن «لشعح المرعج» الذي جاء ذكره في سجلات العصور^(٥) إذ جاءني الناشر السابق لكتبي وسألني عما أكتب في ذلك الوقت، وكنت عائداً من هوري من مونتر فراكنت حيث كنت أحمق في حالة شعح يظهر في صورة راهب أسود وبدأت أحكي له عن الموضوع فقال لي «بأنأكيد أنك لا تؤمن حقاً بمثل هذه الأمور»، وأحد ينير كل أنواع الاعتراضات المعتادة لكون الروايات عبر دقيقة أو أنها من قبيل عتث الأطفال واصطراصات رلرلية، وشهود كذبيين. ففدنت له كل اعتراض بأن وصفت حالة أخرى لا يطبق عليها الاعتراض. ففكر من هوره في اعتراضات أخرى جديدة، وبعد نصف ساعة أو يريد من لمناقشة أدركت أنه لن يعير رأيه مهما قلت. فعلى حد إدركه تعتبر الأشباح والعماريات بقايا سيئة من حرافات العصور الوسطى، وهذا كل ما يتعلق بها. وكنت كل حالة من الحالات التي شرحتها له بمثابة نقطة من نقاط صورة لصحيحة، فهو ينظر في تلك النقط من خلال عدسته المكبرة، فلا يرى أي شيء. ولقد قصيت عدة أشهر في دراسة مئات الحالات المروية منذ عهد روما القديمة إلى لندن الحديثة ومن هربا العصور الوسطى إلى البرازيل في عصرنا هذا، فتوصلت إلى التعرف على كل الخوص الرئيسية المميزة للعماريات، وتبيئت أن من الواضح أنه لم تتغير أو بحتصار يتكون منها نمط أو نموذج واحد، ولش لم يعكف صديقي داك لأسابيع قليلة على دراسة مثل هذه الحالات فسيطّل معتقداً أن كل حالة منها نوع من الوهم أو الخداع، ولو أنني قلت له ذلك من أول الأمر فلربما شعر بأني أفرض عليه رأياً خاصاً

اقتنع صاحبي تماماً بأن قدراته على التعليل لا تغل جودة عن قدرتي، ولكن الذي لم يستطع رؤيته هو أن التعليل، كي يكون فعالاً، لا بد وأن يتناول مدى واسعاً

(٥) «لشعح المرعج» دراسة في الوهم اللئير. Poltergeist Study in destructive Haunting.

من حقائق، فيدون حقائق يعتمد عليها العمل، فإن أقوى معقول المسطرة في العالم
سوف تدور في فراع

هذا ولا يعبر هذا كتاب محاولة لإفهام أحد ناز الحبة بعد الموت حقيقة قائمة
بل به مسطرة محاولة تقديم الحقائق بصورة منظمة، وسيكون عارضا في النهاية في
وصح يسمح له بأن يقرر بنفسه.

٢ علم المستشف

حيثما أفتح عيني في الصباح اعتبر نفسي أنظر إلى العالم بعينه الذي تنظر إليه أنت حيثما تفتح عيني، وربما كان هذا بعمامة رعباً معقولاً ولكنه يعمي عن بعض الاختلافات هامة بيني وبين رفقائي من الكائنات البشرية.

وصل تشارلز داروين إلى تيرادي لمويجو على ظهر السفينة بينجيل في ديسمبر عام ١٨٣٢، فأصابته الدهشة حيث رأى السكان الوطنيين ممثلين بارعين، فرغم أنهم لم يكونوا يعرفون الإنجليزية، فقد استطاعوا ترديد جمل كاملة بالسرة الإنجليزية، كما كانت لديهم القدرة على أن يشاركوا في أعيات البحر حيثما يجلسون حول النار مع تجارة السفينة بينجيل. لقد استعملوا قدراتهم البسيطة في ترديد كل كلمة بعد لحظة من بطق لسحارة الإنجليزية بها في أعياتهم وفي ذلك قال داروين إن الطريقة التي كانوا يتصرفون بها قليلاً لم تكن تعبر وكانت مثيرة للضحك حقاً كما قال بدهشة بالغة: «كيف يمكن شرح هذه الموهبة؟ هل هي حصيلة ما أحسنوا التدريب عليه من عادات الإدراك والحس الدقيق الذي يشترك فيه كل من يعيشون في هذه المرحلة من السذاجة عندما نقارنهم بمن طال عليهم عصر التحضر؟»

هذا يكون داروين في الخط الصحيح، ولكن عاداته الإنجليزية الرئيسية في التفكير جعلته غير قادر على أن يتعمق في قلب الموضوع، كما فعل عالم الحيوان ليال واتسون Lyall Watson الذي جاء بعده واستطاع أن يتمهم الأمر.

إن القمر يعيش في عادات انتوري الكثيفة حيث لا يمكن للإنسان أن يرى أي شيء من بعد بدهشة أن يرى الوعل على بعد صغير الحجم حيثما يذهب لأول مرة إلى السهل المسطح فهي طعمة رص العبة يعتبر الصوت أهم من البصر ومن ثم فإن تجارب القمر تجعل لحواس الخيلة هذه تريباً عتفاً ويكون بذلك ظاهرة مستقلة

أو بمعنى آخر تمييز ثقافة الأرقام بأنها ثقافة سمعية لا بصرية، أما في ثقافتنا فإن الرؤية أهم عندما من السمع، إذ لا يستطيع قاطر المدينة ملاحظة التدفق المستمر للأصوات التي تتردد في أذنيه، ولكن عليه أن يلاحظ الحافلات لكي لا تصدمه أما السائق فلا بد أن يوجه الاهتمام كله للأصوات، لأن الأصوات قد تعني وجود حيوان بري خطير أو عدو ولو أن داروين استطاع أن يدخل في رؤوس سكان تيرادي لميجو مرة شعر بالناس كما لو كان ينظر من خلال عيني إنسان من المريخ مثلاً

ولقد ذكر عالم النفس وليام جيمس النقطة نفسها في مقاله اهام بعنوان «أسواق معية من العمى في الجنس البشري»، فأوضح أننا نميل إلى العناء بالنسبة للأشياء التي لا تهتم، فهي بسيطة (غير متواجدة) ولما كان كل ما مهتماً بأشياء مختلفة، فكل ما يرى عنداً مختلفاً، فالرجل الذي يجلس في الحافلة أو في داخل نفق يظن أنه محاط بأحريين من بني حسه، وفي الحقيقة هو في وسط أحريين من سكان الكهوف أو المريخ أو الرهرة أو أساء تيرادي لميجو أو البتاجوبيين أو عشرات غيرهم من لقبايل الخارجية.

ومن بين المتحصرين من الجنس الشري هناك نوع تختلف طريقة الرؤية عندهم مثل أساء تيرادي لميجو، وهؤلاء هم الذين يطلق عليهم اسم المستشعنين أو المستشعريين، وهم أكثر شيوعاً مما قد يتوقعه الكثير، من ثم حينها يصف لنا المريض انفسه تجربة مر بها على أنه يأخذها كقصبة مسلمة فسوف يدهش الآخرون ويظنون إليها على أنها حل أو نوع من الانفعال الأبله وفيما يلي وصف لإحدى التجارب.

بحررد وصلنا إلى أوكلاهاسون خرجت مع روجي لتلقي نظره على آخر لحظات الغروب إذ كانت إحدى الأميات التي يمك فيها العالم كله بأنماطه فالمستشع يدوي خلال متدرجة بين وبين شمس العارية، وفوقه السماء غريبة مخمرة ودهية مثل ماء الجليد، ومحاة وبدون سابق بدار حرقني الخيال لعائق عبر حاجر أصبحت معه لا أنظر إلى الطبيعة بل أصحب الطبيعة تنظر بي، ولم يمحها ما ترى كان إحساساً غريباً فيه إدلال كما لو أن هناك عدداً لا يحصى من المحتوقات اسلمه تترجع أمام عروبا، وصدمي شيء كاللكمة، فالأشجار الصغيرة التي تنهها الريح في الأفق بدت وكأنها تنحي متمدة عن في اشتمرار، فهمست لروجي قائلة «ماذا سمعت؟ إسم يمشرون من، لا يمكن أن تعطل هكذا»

لم يصحك روجي مني، بل كان يشعر هو الآخر كدحيل، فقلت «هل سقف هكذا في سكون ومصر موقفاً بأننا جئنا كاصدقاء بروح طيبة ونطلب إليهم بامتنان أن نمشي في هدوء فوق

سحيرة؟ وفكرت كذلك في الأيام الماضية حينما كانت الأرواح تربط نفسها ببساطه مع الطبيعة عن طريق السحر القديم الذي يستلهم فيه خشب البلوط والرماد والشوك

إني أكتب هذا من واقع التجربة، وليس كباحثة، فليس هناك داع لأن أحوص في شروح منسقة مثل الادعاء الداني بوقوع الحزن المدهش التي أدت إلى التماس الاعتذار كما مثل الطائر لماثي الذي يعرف بجذابه ملامسا سطح الماء، ونحوم حولها كل الكائنات المرئية وغير المرئية كوحدة وحدة تنحصها

ويبدو أنني سمعت همس ارتياحهم حينما توصلوا إلى قرار جماعي بأننا لسنا خطرين أو متوحشين، وكان في ذلك قبول لاعتذارنا وأصبح لنا أن نعدم ودخل في ذلك الوقت م. براود مكري أي ظن في غربة تحرك الأشجار التي تمزجها الريح وتميلها نحونا في ود وصداقة

«كان لهذه التجربة معقباتها غير المتوقعة، فبعد عدة أيام كنت أقف وحدي صاحبا في البعدة أطر إلى البحيرة وأسطر الخطابات، ولا أفكر في شيء سوى سكانها غير المرئيين، ثم عانيت من عروه اقتنحت نفسي، كانت عروه مبهجة، شيث أشبه بأطفال أشقياء، حركة صغار غير مرئيين يطوفون بالبعدة ويصيحون «هانو» ويدعوني لأشركهم معهم كانت ريارتهم هذه عادية في لحظة من اللحظات، ثم أخذ عقلي المحلل يعمل، وفجأة لم يعد لهم وجود بالنسبة لي، والآن ليس لدي أي فكرة عما إذا كنت آنذاك أحاطب «أشياء لها كينونة فعلية أم لا»...

لو أن هذه الرواية أوحى بالظن أن صاحبها مصانة بمرص نفسي حميف مثل شخصية مدام أركاتي في رواية سويل كوارد التي مثلتها مسرحيت روشرفورد لكنت الرواية في نظري حذاعا، هلقد كانت صاحبة الرواية رورالين هايوود طول حياتها عضوا في جمعية البحوث المسائية، وهي سيّدة ذات عقلية فذة، ومستواها في البحوث يبع درحة من الدقة تفوق به أكثر الساحين تشككاً. وفي الحقيقة كانت تنظر إلى تجاربها الخاصة نظرة تشكك وعدم ثقة فحينما كانت تكتب عن مسائل البحوث المسائية مثل كتابها «الخاصة السادسة»، كانت تملك بالمطوية، مما جعلها تبدو أقرب إلى برتراندراسل، ولكن في سيرتها الذاتية «الخلية اللاتائية» نجد أنها تبنت أسلوباً أكثر دانية وشخصية في وصف لتجاربها التي مرت بها، وكانت نتيجة ذلك أن نظرتها كانت من أكثر النظرات إقناعاً عن التأمل في العرائث الخاصة بعالم الاستشفاف في تيرادي لويجو

ومن الجدير بنا هنا أن نلاحظ تعليقها الذي قالت فيه «... ثم أخذ عقلي

لحلل يعمل وصحاة لم يعد لهم وجود نالسة لي. فمن الواضح أنها تكلم عن
 لفرق بين التحليل والحدس، وهو الفرق بين الشطر الأيمن والشطر الأيسر من ملح
 وهذا بدوره يوحي لنا بأن المريض النفسي أشبه ما يكون بمان مثل مورارت اندي طلت
 الانعام تسير في راسه غير معلنه (وقال الملحن سانت مانتز أيضاً إنه لكي يلحن، ما كان عليه
 إلا أن يهت)، فالرجل المنحصر والمرأة المنحصرة قد تطورا لديهما الشطر الأيسر من ملح حتى
 أصبح سائداً ومسطراً على الشطر الأيمن، وإن مريضه نفسيه مثل روراليد هابود أقرب
 إلى أسلاف الذين عاشوا منذ عشرة آلاف سنة (أو إذا صح قول حوليان حابير أقرب من ذلك
 بكثير)

وحديثاً بما أبصراً أن يدقق النظر في تطور القرارات النفسية لدى
 روراليد هابود، لأن ذلك يمسك من أن يرى أنها في حقيقة أمرها لا تختلف كثيراً عن
 بقية، ولهذا السبب فلا بد من وجود قرارات مارالت كامة في كل ما

فلقد ولدت روراليد في منزل مثالي في أواخر العصر العيسوري، وقد لا يشك في أنها كانت
 مريضة نفسياً حتى قاربت من الصبح، ويبدو أنها كانت تزعج من ذلك أنها كت مجرد حيالات،
 وكنت في ذلك تقول - حدث ذلك بمجرد أن عدنا من الحد، وكنت قد بلغت الثالثة عشرة من
 عمري - اذالك أدركت أنني في بعض الأحيان وبطريقة لا شعورية كنت أشعر بموجودات غير كامة في
 أماكن ممية، بعضها يبدو مسجها حريماً، وكب أحس لو أنني ستطيع أن أراه لأصحت أقبل
 عصية مما أن به - كان أحدها موجوداً في حجرة يومي بمنزل حندي الذي يطل على دارفور، والحجرة
 صغيرة مبهجة أثناء النهار، وتطل على الحبوب، حوائطها مغطاة بورق مرقي مزق بشرائط زرقاء اللون
 ورهور قرمزية، فإذا حل الليل أصبحت الحجرة مملوءة تماماً، يشاركني فيها شخص غامض حمي، لم أعرف
 من هو ذلك لشخص، وبو أعربت به الكبار لذكرت لي أنني أو حالي كل عن حدة أنها قد شاهدت عحوراً
 شطاه واقفة إلى جانب الفراش..

وتوقف كل تطور معرفي من قدراتها النفسية في من الساعة عشرة حيس
 اشترت من إحدى المكتبات نسخة من كتاب أيرست هايكل Ernest Haeckel والعصر
 الكون - كان هايكل فيلسوفاً قديماً، وكان كتابه عنزة عن تقرير رائق عن اكتشافات
 العلوم الحديثة ومن أكثر الكتب انتشاراً خلال السنوات الأولى من القرن العشرين،
 فهو تناول بالدراسة تطور الجسم وتطور العقل وتطور الكون في ضوء البيولوجيا
 الحديثة وعلم الملك الحديث، ويحاول الكاتب فيه إثبات عدم وجود شيء يسمى إلهاً
 شخصياً، وإن الإرادة الحرة وهم وإن الحياة بعد الموت من أكبر الخرافات

أصبحت روزاليند بالتمرق:

«مسكينه أمي، فلم تكن هناك تلك القبيلة التي كان لها تأثيرها المدمر على الإطار الذي شكلت في داخلي حياة نسها ليس هناك إله، والخيال أحوله ووهم ليست له فائدة إلا في تعديل فكرة أن الكون اليه بلا روح يدور حول نفسه ويسمر في الدوران إلى الأبد بلا هدف وفي تلك الليلة أحدث انظر إلى المحوم من نافذة حجرتي وكنت عالماً ما اسمع إلى تروس العجلات تصحك مع بعضها وهي تسير تحت السجوم، وصاح بي كل أمل في أن أجد مركزاً لأي شيء، وأصبح ولدي بكل حكمتهما يعيشان في جنة المعطين

بدأت بعد ذلك مباشرة حرب سنة ١٩١٤، وأصبحت روزاليند ممرضة، وساورها أول شك في وجود إدراك حسي فوق العادة حينما كانت جالسة في حجرة مع امرأة فاقدة الوعي تقرأ قصة الأخوة كارامازوف. وبينما هي تقرأ الفصل الذي يحتوي على المناقشة بين إيمان والشیطان، إذا بالسيدة المريضة تقوم جالسة وتشير بأصبعها إلى أسفل الفراش، وبدأت تتكلم مع شيطان. ربما كان ذلك مجرد صدفة، ولكن يبدو وكأنه نوع من التخاطر.

وبعد أسابيع قليلة جلست ترقب رجلاً يهدي من شدة المرض، وكان واضحاً أنه لا يعلم بوجودها. ومجأة مرت بها تجربة كأن أمراً يصدر من داخلها يقول «فكري به في هدوء» وتذكرت حالة التخاطر السابقة فقررت أن تحاول، وهوراً راح الرجل في يوم هدي، وحينما أنت ممرضة أخرى لتوقظه فيما بعد، وأراحت الستائر ظنت أنه مراد نائماً، وحينما أنت رئيسة الممرضات للمرة الثالثة توقظه لم تتمكن.

ثم فجأة توقف الهديان والارتعاد، ونظر بعيون هادئة متأملة، وكان واضحاً أنه رجل متعلم وقال بهدوء. «لا فائدة من التركيز أكثر من ذلك، أيتها الممرضة أيا لن أقم ثانية» واحتفى به الرجل المفكر وعأوده الهديان المؤلم فكرت فيما لو أن الموت يأتي هكذا هل يكون أكثر مشاعة مما تصورته ولكن فجأة أصاء وجهه وصاح قائلاً «إنها أب. وبدأ وكأنه ينظر إلى شخص يعرفه وقد غمرته السعادة ولكني لم أر ذلك الشخص وواصل المريض صياحه - «وهذا جديد - آه إله السور. مور. مور.»

ما سجلته روزاليند هنا هو في الحقيقة تجربة موت عادية في الفراش وفي عام ١٩٦٠ أرسل الدكتور كارليس أوريس Karlis Osis الذي يعمل في مؤسسة ما وراء السيكولوجيا سيويورك آلاف الاستبيانات إلى الممرضات يسأل عن رؤية مرضاهم في

فراش الموت، واكتشف في عدد كبير من الحالات أن الدين يسيرون يعتقدون أنهم يرون أئمة سكرات الموت الراحلين من أفارهم وكان السير وليام داريت رئيس جمعية لبحوث المصابه قد اكتشف بالمعمل نفس الشيء حينما كان يجمع المادة لكتابه «رؤى سكرات الموت».

وانعرب في الأمر أن هذه التجربة لم تؤدّ إلى انهيار الشك الذي كان قد ملأ روراليد هايوود مما اكتسبه من كتاب هايكل عن لعن الكون، ولا الخبرات لعديده بأوامر جعلتها تتحد العديد من القرارات غير العقلانية فحينما كان أحد الخوود على وشك الموت من حمى البول الأسود التي يشن الأطباء من علاجها جاءتها «الأوامر» بأن تسأله عن أفضل ما يجته في الدنيا، فأجابها قائلاً «وردة حمراء يا أختاه» وسمعت من نفسها وعداً بأن تحقق مطلبه في اليوم التالي كان من الواضح أن هذه الحالة نوع من المستحيل وهي في مستشفي بمقدونيا، ولقد أرسلت مع حامل البريد رسالة إلى عاصمة اليونان تطلب الوردة الحمراء، ووصلتها باقة منها من المدير اليوناني، فشفي المحدي الذي كان يعاني سكرات الموت حينما يكون الانسان حزيناً عادة ما يعجز عن النوم، ولكن «الأوامر» أحررتها بأن تقدم الدواء المسكن بنفسها، فركبت دواء سيء الطعم قدر إمكانها بمرح عدد من العقاقير بصورة عشوائية، وأصافت للمريح ملقعة كبيرة من الملح وكان لهذا الدواء أثره الفعال، وبعدها لم يعاني الرجل من مشكلات في النوم وحينما رفض شخص مدمر ما يقدم له من عداء، جاءتها الأوامر تحبره بأن تصبغه «صايفيه» . صايفيه بشدة وكان ذلك صد طبيعتها، وبكها بعت الأوامر، وأحيراً أحد بتأوه ويقول «سأكل أي شيء»، «إذا انتعدت عني»، وبدأ يأكل بصورة عادية

يمكنا أن نمر معظم هذه الأمثلة طبعاً في ضوء العقل الباطن لكن هناك أمثلة أخرى في كتابها يصعب تفسيرها، فهي تحكي كيف كانت على وشك إعلاق ممرها لمدة شهر لتقصي إجابة مستصف الصنف، فجاءتها الأوامر تحبرها بصورة إعلاق المحبس الرئيسي للمياه لأن الأبواب سوف تنفجر، وحينما أحررت روجها بذلك شرح لها كل الأسباب الضية التي لا تجعل الأبواب تنفجر، ولكنها بدلاً من أن تعترض على ما قاله أعطت محتاجاً احتياطياً للنساء لاستعماله في حالة انفجار الأبواب، فشرح لها النساء أيضاً لماذا لا تنفجر الأبواب في بوليه وبعد مدة قصيرة انفجرت الأبواب، وتمكن النساء من القيام بالإصلاحات اللازمة لأن معه المفتاح الاحتياطي هما يصعب

تماماً تفسير «الأوامر» في ضوء منظور اللاوعي وبخاصة ما يتعلق بإصرارها على أن كل ما يتعلق بالسباكة هو من مسؤولياتها الخاصة.

هناك أمثلة أخرى في كتاب «الخلية اللامتناهية» تجعل الاحتمالات عالية بأن لديها موهبة المعرفة المسبقة أو القدرة على رؤية المستقبل. ومن الواضح أنها موهبة لا يتحتم تواجدها بهذه البساطة. فالسنة لمواهب نفسانية أخرى مثل التخاطر والاستشفاف والوساطة والحركة النفسانية يمكن أن يجد لها تفسيرات على درجات متفاوتة من العلمية، ولكن بالنسبة للمعرفة المسبقة بالمستقبل فلا توجد تفسيرات ممكنة، فهي ببساطة عبر مسطوية وصافية للعقل، أو هي باحتصار مستحيلة، لأن المستقبل لم يأت بعد. وعلى ذلك فإن كتاب روراليد هايوود به أمثلة كثيرة للمعرفة المسبقة بالمستقبل أعلمها يعترف إلى التفسيرات العقلانية على سبيل المثال تحكي لنا كيف أن زوجها قابل أحد المخترعين المعروف بأنه عاجز عن تسويق اختراعه، وكان زوجها آنذاك يشتغل بالأعمال التجارية، فعرض عليه أن يتولى الأمر نيابة عنه. وحينما أخبرها بالموضوع رأت أنها فكرة ممتازة، حتى أخبرها زوجها باسم الرجل، فحينئذ ضمرتها «موجة من العور والرهنة» وقالت: «لا تفعل» لا نعتقد أي صفقة مع ذلك الرجل، وأصر زوجها على أن الوقت قد فات وأنه لا يستطيع التراجع عن الصفقة، واستمر فيها وبعد فترة قصيرة عشهما الرجل ففرض عليه واتحر وهو في الحجر.

كان تفسيرها لذلك هو أن زوجها يعلم في اللاشعور بأن الرجل عشاش، وأنها تلقت ذلك عن طريق التخاطر وبطراً لأنها أعطت أمثلة كثيرة توصح فيها أن زوجها له قدرات نفسانية أصبح من الواضح أن رفضه لرجائها وإصراره على أن يشارك ذلك العشاش في عمل تجاري أمر شاذ.

وتذكر المثال التالي من المواهب النفسية لزوجها:

حدث أن صدمت سيارة ليمورين كبيرة سيارتنا الصغيرة ودفعتها فوق الرصيف نحو أحد أصدقاء الإنارة فقال بهدوء «حس ما حدث، فلا بد لي أن أغير العجلة، ونخرج من السيارة وقال: «تماماً كما فكرت» وهم بنمير العجلة»

والتفسير المعقول هنا هو الصدفة، ولكن ذلك لا ينطبق على الأمثلة الأخرى التي ذكرتها عن قدرات ابنها الأصغر، فحينما جاء من إنجلترا إلى أمريكا ليقتني مع والدته عطلة الصيف أخبرها بأنه يعرف بالفعل القرية التي يسكن فيها لأنه رآها في منامه. وقالت له أمه «إذا كنت تعرف بالفعل فعليك أن توجهها في الطريق إلى البحر»، وفعلاً

وجهيها في الطريق إلى الشاطئ، ثم شق طريقه وسط المظلات الشمسية إلى مطلتهم، فلما سأله «كيف عرفت أنها مظلتنا؟» أحاب «رأيت في منامي الرسم الذي عليها».

وتوافق روراليند هايوود على أن ذلك ربما يكون تحملاً، ولكن ماذا عن الحادثة العارضة التالية؟

دات يوم رأيت ابني الأصغر يبحث عن اسم شارع في خريطة لندن، لأنه - كما أخبرني - يعرف أنه حينما يخرج سوف يسأله أحد عن مكانه وهو لا يعرف - وفعلاً وقع ما رآه مسبقاً خلال ساعة من رؤيته.

إذا دققنا النظر هنا في شرح أقصى ما كانت تأتي به المصادفة أو أي تحمّل معقد مع شخص غريب، فسوف يبدو لنا أنه التفسير الوحيد لوجود نوع من الاحتمال الغريب، وأن حادث معرفة الابن مسبقاً بما وقع بالفعل هو أنه تلقى «ذاكرة المستقبل» بطريقة ما. ويكون تفسير توقعها للشر من ذلك الرجل الذي سمعت اسمه من زوجها هو أنها تعرفت على أنه هو الرجل الذي عشقهم بالفعل ومن الواضح أن ذلك يتعرض كلية مع بطرنا إلى الرمان على أنه شيء يتدفق ويسير في اتجاه واحد، ولكن التجارب الإنسانية عالياً ما كانت تدل على ذلك متعارضة مع اتجاهاتها المكابية، ومن القوايين الأساسية في علم أن يستحيل على أي شخص أن يتواجد في مكانين في وقت واحد، وكانت روراليند هايوود أيضاً قادرة على أن تعارض ذلك من التحرة الشخصية لتانية

في إحدى الليالي الحارة كان روبي مائناً في أمام سبها كنت بجانبه انقلب في الفراش معرض قلقة ومستعصمة تماماً، وأخيراً أصبح لا احتمال الأمان الرائد عن الحد، وفكرت فائنة وأنا لا أحتمل ذلك، سوف أوقفه لهذا جيمي».

وقبل أن أعود هذه الفكرة الإنسانية حدث لي شيء غريب، انقسمت إلى قسمين أحدهما ذاتي التي في رداء يومي القرمري تواصل أربهاها وهي فوق وسادتها المظفرة، ولكن الأخرى كانت ترتدي رداء طويلاً أبيض اللون واسع الذيل تمتد إلى جوار الفراش في هدوء وبلا حراك تنظر إلى الخارج متأملة. كانت تلك الآن ذات الرداء الأبيض مثلي تماماً وأنا في الرداء القرمري. كنت واعية في كلا المكانين في نفس الوقت، وأذكر تماماً ذاتي في الرداء الأبيض تنظر إلى أسفل برفق جانب الفراش الذي كنت متلقية فيه كالتمثال أمام ذاتي، وأفكر كذلك في ذاتي العية اللهاء ذات الرداء القرمري المرتفعة فوق وسادتها، وقالت ذاتي ذات الرداء الأبيض لذاتي ذات الرداء القرمري بأرءاء ويرود، «إن سوكك مشين، لا تكوفي أناية فلما الحد، أنت تعلمين أنه متعب للغاية».

وكانت ذاتي ذات الرداء القرمري مثل الحيوان الشاب يكون كليه من شهوات، وم يكن يههما

م - كذا - روح التمس متعباً أم لا - واندهعت لرد عليها بعنف: «سوف أفعل ما أشاء، ولن
سعيي يقتضي أنها التمتع المرمية البيضاء» كانت الدات القرمزية شديدة العنف لأنها تعلم أن
دات البيضاء أقوى منها وأنها قادرة على إيقافها

وبعد دقيقة أو دقيقتين شعرت بعدم وجود تحول، وانجست داتي البيضاء صورة أخرى مع داتي
البيضاء في جسم واحد، وبعد ذلك الوقت سكتنا معاً مثل الزيت والماء - وجاء ادراكي متأخراً، لا
أستطيع أن أربط نفسي بداتي البيضاء وفق إدراكي وأرقب دون شعور، وتلك نقطة
هم، تلك لرعبات والرعاب التي تسبب لكل دواتي القرمزية أن تترشح مرتعشة.

في حالة توهم القاريء بأن هذه التجربة تعلب عليها القرمزية أكثر من الحقيقة
فربما نوصّل ذكر حالة امرأة حدثت لها حالة انقسام بعد وضعها لقطعة، إحداهما
سمرت مستقلة في الفراش بينما الأخرى كانت تقف بجانبه، وحينما سئلت عن رأي
كثير من هاتين الداتين في الأخرى أجابت قائلة: «كلمات داتي الخارجية تنظر إلى داتي
مستقلة في الفراش باشمئزاز خال من أي عواطف».

وه تؤدّ مثل هذه التجارب إلى رعمة التعصبات الأساسية التي تشرتها
رو. بيد هايوود من هايكل بطريقة ليس لها مبرر، فوجود التحاظر والاستشعار لا
يعرض في حد ذاته مع الاتجاه المادي، بل أن تجارب الروية المستقلة ليست تحدياً
سواءً بل ولكنها قد تثبت أن رؤيتنا للرسم أشبه ما تكون بطريق دي اتجاه واحد قد
تكون فيه خطأ ما، إلا أن حقيقة الرمان تكون مطلقة وعلمية كرايا الحالي فيها

وتفحص تعصب روراليد هايوود أحياناً نتيجة تجربتين تتعلقان بالانقسام
صهري بالوقت، أولاهما وقعت في واشنطن العاصمة عام ١٩٣٠ حينما كان هريك
روح روراليد يعمل بالسلك السياسي هناك وكانا يلتقيان في أغلب المحلات مع
سيدة جذابة اسمها جوليا. وفي يوم من الأيام طلبت تلك السيدة فحاة من
روراليد أن تقرأ لها الكف، فقد كانت تهوى ذلك، وحينما أهدت روراليد جوليا
حدث نفسها تقول في حزن عميق: «لن تجدي ما تبحثين عنه أبداً في هذا العالم
هل تجديه؟» فردت عليها السيدة جوليا بأسى: «لا».

وبعد بضعة أسابيع قدمت جوليا إلى روراليد هايوود صورة صغيرة لها وكانت
عن وشك الرحيل إلى بيرو وجاءت الأوامر إلى روراليد تخبرها بأن لذلك أهمية كبيرة وفي
رحلة إلى بيرو اصطدمت الطائرة بجبال الانديز ولم ينج منها أحد.

وحدثت روراليد أن اسم جوليا ثبت في رأسها وأحد يتكرر المرة تلو الأخرى.

وبعد يومين كتبت خطاب تعزية إلى والدتي جوليا، ثم استلقت على مقعد لتستريح، وحقاً سقطت لوحة خشبية مية محصورة من فيا من الحائط، ولكنها لم تتحطم، حتى حيطها المعلقة به كان سليماً وكان المسار ثانياً في الحائط. «كنت واقفة بحور مكتبي أحاول إيجاد تفسير لهذا اللعز فلمحت عيني الخطاب الذي كنت قد كتبه إلى ولدي جوليا، وفي تلك اللحظة سمعت جوليا تتكلم بعبارات غير واضحة تقول «لا ترسلني هذا الخطاب السيء بل اذهبي إلى أمي الآن، فوراً، واطلبي منه أن تكف عن التحيز من فورها، لأنني سعيدة ولا أستطيع احتمال ذلك»

وهكذا انتابني تردد في تمكيري فأنا روجة دبلوماسي سريظي، ولو أنني ذهبت لتوصيل رسالة آتية من إنسان ميت فربما يؤدي ذلك إلى بساءة سمعتي وكنت وكلما ترددت زادت جوليا إصراراً في حديثها... وأخيراً..

ومع شعوري بكل أنواع العناء تحيطي ركبت سيارتي وذهبت، وما راد الموقف تعقيداً أنني لم أكن أصم شيئاً عن عادات أبناء الولايات الجنوبية الأمريكيين في ظروف سوداء، وجمعتي جهلي أظن أن وسنة جوليا سوف تتصرف كما أنصرف أنا في مثل هذه الظروف، ولو كان الأمر كذلك فدون التدخل وطلب وقف الأحرار البائعة لن يكون له مكان، لكنني حين وصلت إلى مرها وحدثت جميع الشائير مسدلة، وقابلني في البهو مجموعة من السيدات باديئات «الأسى يتحدثن في همس وشبهن الغربان في ثيابهن السوداء، وسألتهن: «هل يحكي رزية مسر هوارد؟»

وكنت المفاجأة أن رددن علي «بالطبع لا يمكن، إنها في فراشها انتحيت» بهذا انحنيت امشككة، وقلت في إصرار: «لا بد لي أن أراها». وبعد احتجاجات كثيرة أخضعتني إلى حجرتها في سديق العلوي، وهناك وجدت امرأة مسكينة وحيدة جالسة في الظلام فوق فراشها والأسى العميق ينعها، وظننت أنها راغبة في ذلك، وألقتها الرسالة وظني أنها لن تقلها بل ستفرضها في حنون، ولكن عن العكس أصاء وجهها وهي تقول «أعرف ذلك أعرف أنها تكره هذا، وأن لا أريده، سوف أقوم وأوقف ذلك الحداد من فوري»

كان لامنتجاتها السريعة تأثير عريب عني، فمنذ تلك اللحظة احصى وجود جوي بالنسبة لي، كما أنني لم أفكر في الأمر إلا على أنه شيء عادي

حدثت التجربة الثانية لاتصال روراليد هايوود بالموق بعد ذلك بعشرين عاماً في لندن فقد مات صديق قديم يدعى فيقيان أوسرن بعد مرض طويل، وقرب نهيته عبر عن المرارة من فكرة الموت الذي يقضي على الإنسان كالشمعة ولا يبقى له أثر من بعده

وبعد عشرة أيام ذهبت لأخذ لوحة ربية من رسمه كان قد أوصى بها لي، وربما كان من المناسب أن أذكر هنا أنني كنت مسرعة لموعد آخر كتب متلهفة عليه، ولم أكن متلهفة على موعد فيميان هذا، وبسبب أنا أسارع إلى حصرته لأبحث عن اللوحة فوجئت بصعقة أدات رأسي، وكانت من النوع الذي أسميته رائحة الموت ولا أدري بالضبط إذا كان ذلك طبعياً أم أنه نوع من الحساسية تأتي على هامش، وإن كان القاريء لن يتفهم سهولة ما أقصده من ذلك ثم استدعت نحو فيميان نفسه بسرود عظيم وحيوية بالغة، واستحدثت شدة بخوه كما يجري الأسفل إلى أحضان صديق له في الشارع ثم دخلت في تجربة يصعب وصفها دون أن نبدو سطحية غير ذات معنى أو بالغة في دراميتها فكيف حدث مع جوليا شعرت بأن فيميان يبحث رسالة إلى داخل عقلي، فأعصبت عيني ووقفت ساكنة لأنفسي بوصف أكثر أوصلي في عمود شديده أن أفصل تعبير عما يشعر به هو الاندماج وأن لأقوال التي سمعها تقول إن الهلاك يأتي مع الموت أقوال حاطة، فعل العكس من ذلك أصبح لأن في مدى واسع وحرية وفرصة تتجاوز كل الأحلام، كان تركيزه كله لا عقل أنه أصبح حباً محسب بل على الفرصة المدهشة التي واثته بالامتداد الواسع . .

وقفت ساكنة خطوات قليلة مدركة تماماً ذلك الناقص الصارح بين رائحة الموت وقوة حياة فيميان، كما لو كان شيئاً مختلفين تماماً ثم تذكرت واجبي وقلت له وهذا مذهش، ولكنك لم تقدم لي أي دليل، ماذا أقول لجمعية البحوث النفسية؟

(أود أن أوضح للقاريء أن تعمدني الصورية في وصف اتصال جوليا لي قد أوضحت استمالي بكلمة "لانت"، فهي بعيدة كل البعد عن المعنى الحقيقي في هذا النوع الخيمي من الإدراك الانمادي، إذ كان الشعور في هذه الحالة كما لو أن جيلبرت موري ذكر عن طريق تجربته بمخاطبه نوعاً من الحسية المشتركة) وكانت إجابة فيميان على تساؤلي فوراً وحاسمة: "لا أستطيع أن أقدم الدليل، فإنكم تعتقون إلى المفاهيم الخاصة بهذه الأحوال، وكل ما أستطيعه هو أن أقدم لك صوراً شعرية

هناك في البعد التاسع من فوق، رأيت ميوي الداخلية جناحين أبيضين كبيرين يرفرفان في السماء الزرقاء اللامتناهية، وإن بدت من أول وهلة أنها صورة فيكتورية مبالغ فيها، إلا أنها في حقيقة الأمر مناسبة تماماً للتعبير عن المحال والفرصة والحرية التي شعرت أنني اندمجت فيها لحظات محدودة، ولأن كان ذلك للحظات معدودة فسرعان ما أصبحت إدراكاً كاملاً لأنني لا أستطيع أن أستمسك بحالة الاندماج التي يشغلها اندماجي في فيميان وكان عليّ أن أقول من موري بشيء من "نعم" و"سلاماً" . يجب أن انفصل الآن

ثم سقطت إلى أسفل الخجرة الخالية وعادني الشعور برائحة الموت.

وأصافت روزاليند أنها مرت بتجارب أخرى من الاتصال بالموت، ولكنها كانت تتلشى بسرعة بخلاف اتصالها مع جوليا وفيميان، ولن أذكر منها شيئاً صريحاً سببت الملل للقاريء. ويكفي أن يذكر أن روزاليند أضافت قولها:

كنت جميعها تشترك في شيء أو شيئين إما شعور بمرور وقتي من جانب الميت، أو حتى لي

القيام بعمل معين، وهذه الحالات تختلف عن تجرّيق مع الظاهرة التي تعرف باسم النش (Haunting) التي مهما كانت أساسها ينقصها الشعور بالضرورة

معنى آخر كانت تجارب الاتصال مع حديثي الموت ترجع إلى رغبة الإنسان الراحل في «عمل اتصال»، وما حدث هو أن روراليند هايوود كانت «منفتحة» بدرجة كافية لتلقي اتصالاتهم.

تدولت تجارب روراليند شيء من التعصيل لأنها مهمة لتحقيق من أن تجارب المستشف ليست سلسلة من الأحداث الغامضة التي تنتاب الإنسان في حياته اليومية، ولكنها جزء من نمط بل هي النسيج الأساسي لذلك النمط. حقاً إن روراليند هايوود لا تعتبر من ذوي المواهب العسائية الخاصة إذ بمقارنتها بأمثال داييل ديجلاس هوم Daniel Dunglas Home أو أبوسابيا بالادينو Eusapia Palladino أو حتى مفيس جيرر كرواسيت Gerard Croiset أو روبرت كراكل Robert Cracknel - بمقارنتها هؤلاء لا يعتبر بمكانتها، فهي توصف بأنها حالة عسائية جميلة تستحق للدراسة، فهي ربة بيت عادية، سيدة من الطبقة المتوسطة العليا، إدواردية تشترك مع طيفتها في كل قيمها وتعتقد في أن كونها ذات حالة عسائية أمر يسيء إلى سمعتها، وهذا ليس كانت دليلاً تبحث عن تفسيرات أخرى لما يمر بها من تجارب، مثال ذلك توقعها لشر عند سماعها اسم العشاش، فهي تميل إلى أن تعبر عن الدهشة على أن ذلك نوع من التخاطر مع روحها، وتميل أيضاً إلى اعتبار ذلك اعتقاداً بدائياً، وتعبر عن الدهشة من أن ذلك الاسم قد يربطها بصلة العش عن طريق التخاطر، ثم تعترف آسفة بأن ذلك مستحيل لأنه كان اسماً مرعوماً. وهي مستعدة لأن تنقش التفسير الوصع - الذي ربما كان أيضاً تفسيراً عجيباً - بأنها تعرفت على اسم العشاش لأن الخدعة كانت إلى حد ما قد وقعت بالعمل أو بمعنى آخر كانت تجربتها مثلاً لما أسماه دكتور حود (Goad) «التورط الذي لا جدال فيه عن الرمس» ورغم تجاربها العديدة في الاستشف كانت روراليند هايوود شخصاً ممن يودون الاعتقاد في الارتياب المؤكد في أي شيء، إذ كانت لها انجماها فيكتورية تجعلها في صف النسق والترتيب

هناك طبعاً تفسير آخر لمعرفتها المسبقة التي لا يقل عدم استعدادها لاستقبالها عما هو، وهي المعلومات التي كانت «تأتيها من الأرواح» مع ذلك ذكرت روراليند فكاهة عما جعلها مستعدة لمواجهة ذلك في الاسم الأول للحرب العالمية الثانية

حاولت استخدام لوحه استطلاع الخط التي تتكون من مؤشر يحركه مشعل اللعبة بأصابعه وتصف دائرة من البطاقات تحتوي على حروف أبجدية، وحيثما طلب منها صديق أن تعرض له اللوحة قررت أن تستعد أن يملي عليها عقلها الباطن برسالة وذلك بأن تجلس تحت المائدة وأصابعها على المؤشر فوق رأسها. وقرأ الطيب رسالة، وأخبرها بأن شخصاً يدعى جورج يحذر فرانك ويطلب منه أن يفقد سيارته بحرص شديد خلال اليومين التاليين. فرانك هو زوجها، وجورج هو شقيق زوجها الذي قتل منذ مدة طويلة، ولم يكن ذلك الطيب يعلم بأن فرانك هو جورج روزاليد هابوود. هنا تشرح لنا روزاليد بأنها تشكك في الحياة بعد الموت (رغم أن تجربتها في واشنطن مع جوليا تعطيها مثلاً آخر على أنها مترددة في الانضمام إلى المتشككين)، وأنها تتعجب من أن عقلها الباطن كان يحبرها إلى ذلك الاعتقاد. نقلت لرسالة إلى زوجها بتردد شديد، وفي اليوم التالي أخبرها بأنه إذا لم يكن قد قاد سيارته بحرص شديد كما طلبت منه لتعرض لثلاثة حوادث خطيرة.

وعن الرغم من أن التفسير بالروح قد يقدم لنا بديلاً مقبولاً عن المعرفة المسقة بأحداث المستقبل بالنسبة لحالة العشاش، على اعتبار أن الروح الصديقة تعلم بأنه عشش، إلا أن ذلك لم يسجج في تفسير الكيفية التي علم بها جورج مقدماً أن فرانك معرض لخطر ثلاثة حوادث خلال الثماني والأربعين ساعة المقبلة. وهنا على مثل تجربة بها الأصفر الذي علم مسبقاً بأن شخصاً ما سوف يسأله عن شارع معين، لا بد أن يفسر الأمر على أساس نظرية حواد عن «التورط الرمي الذي لا جدال فيه».

وهنا تسأل، هل بالإمكان أحد تجارب روزاليد هابوود ككل لاستساق نموذج قد يساعد على تقديم تفسير أساسي؟

تقدم لنا بنفسها مفتاحاً هاماً لذلك، إذ يبدو أنها كانت تنظر إلى الجمال بتشكك غير عادي. فلقد قصت طموحتها في الهدى، وتصف والدها وهو يشير إلى الثلوج على قمم الجبال ويقول

«انظروا يا أطفال... هناك ثلوج»

وهذا مدة طويلة لا تراها لأنها لم تكن تنظر إلى أعلى بل بدرجة كافية، وأخيراً رأته شامخاً وسط أسس البرقاع. جبل كاشعوبها أعلى حل في العالم، فته يضاء لامعة ولا يستطيع أن أعبر عما

هرى وأنى عالماً من وراء التلال، كان موعاً من الريح التي تهب بالروح على كائن هو مجرد طفل،
ولست فيه شيئاً فلم يعد شيئاً طفولياً بعد ذلك

وحسباً عادت إلى اسحلترا طالما نكت حياً كانت تتذكر تلك التلال وبعد مصي
سوات، وفي أثناء حفل عشاء، كانت تجلس إلى جوار أحد رواد جبال التت،
وحولت أن تحمره بمعنى التلال عندها، وبعد لحظة من سكون قال كدمتين مبرنهما من
بين كل ما سمعت هما عبارة «تلك الموجودات».

حاء إدراكها «للموجودات الأخرى الصغرى» لأول مرة بعد عودتها من الهد،
مثل تواجد السيدة العجوز في حجرة نومها بمنزل جدها.

وتصف عدداً من تجاربها مع الخيال، ولكن صدقها الواضح في ذلك الوصف
يجمع توهم أنها صبيغة جمالية، مثال ذلك وصفها كيف أنها بعد استمعت إلى مقطوعة
«للحن المسطح» لشوبان مرت سوع من الملوحة عن وجود هو كبير من الممر مستطيل
الشكل مطلي الحدران وجانبه الشرقي مفتوح على السماء في الليل سحومها وتذكر أن
روحها لمسها براحة يده على ظهرها لمسها حميفة أعادتها إلى الأرض بقوة كما لو كان
شيء قد ركلها.

تذكرها هذه التحارب بحادثة وقعت لكاهن هيدوكي حديث يدعى
رما كريسنا، كان في أحد أيام طفولته يمر حفلاً مروراً بالأرر ويحمل صحفاً به أرر،
فصوحى به سرب من طيور المربوق الأبيض يمر فوقه كسحابة كثيفة سوداء، فعمره
شعور بالغ بالخياخيل جعله يسقط معشياً عليه، وتطايير الأرر في كل مكان. وبها بعد
أصبح راماكريسنا يتعرض في حياته لوبات من السكرات الإلهية التي تسمى سامهادي
بشفرق أثناءها في نشوة قد يفقد معها الوعي.

ولعل التعليق الواضح على مثل هذه التحارب هو أن وقوعها قد لا يكون مأساً
في مكان مثل ميدان بيكاديلي. وهنا نعود إلى نظرية حولين جايير عن العقل المردوح
الرؤية، إذ يعتقد جايير أن الإنسان المتحضر لم يعد مردوح العقل كما كان يسمع
أصوات الألهة، فالحياة أصبحت على درجة من الخطورة والتعقيد جعلت الاهتمام
الرئيسي للإنسان يتركز في أن يحافظ على وعيه بها. ويرغم جايير أن ذلك الاستماع إلى
أصوات الألهة كان يحدث حتى عام ١٢٠٠ قبل الميلاد بعد وقوع العديد من
الكوارث في حوض البحر المتوسط مثل تفجر بركان سانوريبي الذي دمر احصارة

الاعرقية، وعرو الربر المحربين الذين عرفوا باسم شعوب البحار ويدو بالتاكيد أن في ذلك الكفاية للدلالة على اعتقاد حاسن في أن ذلك قد بدأ بعد فترة من تعرض تاريخ البشرية لفترات القسوة لأول مرة^(١).

وحق لو قلنا جدلاً اعتقاد جابز بأن الانسان الذي استخدم الحصار في بناء مأواه وباء الأهرام كان يعتقد إلى «الوعي بالذات» فيبدو لنا واضحاً أنه كان يحق في اعتقاده هذا بالنسبة لفترة من تاريخ الحصار اضطر فيها الانسان أن يصحح حاصماً بشرط الأيسر من الملح بمعنى أنه العى عن عمد الوعي الرقيق الدقيق لحيوان وللطفل ونمى بلا رحمة وظرته إلى العمل، وقد يقول لها إن الانسان القديم كان يظر إلى الكون من خلال نوع من المطار المكر الذي يظهر له الآفاق البعيدة، ثم ظهرت مشاكل بقاء متزايدة فاضطرته لخلق أداة أقرب شهاً بالمحهر أو مطار الساعات الذي يمكنه من التركيز على رؤية الخريبات المتناهية في الصغر، وكانت النتيجة أنه أصبح عبر واع بالآفاق البعيدة

حقاً ما زال الانسان أهلاً لهذا الإدراك الأوسع، إلا أن ذلك يقتصر على خطوات معينة من الاسترحاء العميق، ولو حدث ذلك فيبدو أن شطري الملح الأيمن والأيسر يدعجان فيمر الانسان بشعور من الأمان والسكينة، ويصحح الاحساس كله حبراً ونكر لا بد للانسان الحديث أن يبدأ بإدراكات الشطر الأيسر من الملح - وهو الذات لصيقة الوعي ماء، وربما كان أسلماً القدامى يدخلون مباشرة في «الوعي الكوي» بمجرد الاسترحاء.

نتيجة هذه التطورات الحدرية يتميز الانسان الحديث بارتفاع «عتبة الخيال»، واعتبة لها اصطلاح نصاري يعني مقدار ما يتطله الأمر من دوافع لاستشارة إدراكات شخص ما فالانسان ذو المدخل الصوصائي العالي يستطيع أن يتجاهل صوصاء الخلة التي تؤدي بإسان أكثر حساسية إلى الخون والانسان الذي ترتفع عنده عتبة الألم يستطيع أن يقلل حشو الصوص بدون أي مخدر والمدخل المحمص نحو الخيال عدد راماكريشنا يعني أي نوع من الخيال قد يوصله إلى درجة الشوة وبالنسبة لسكان لندن قد يكون ذلك غير مرغوب فيه تماماً مثل الاسهال المرمز

أما عن روراليد هايوود فقد كانت نتاج الحصار البريطانية التي تتميز بالتحكم

(١) انظر كتابي عن التاريخ الإجمالي للجسر الشري الفصل الثاني Criminal History of Mankind. Chapter 2

وكرامية العواطف، والالترام بصط النفس الحديدي مثل هذه الصفات تستلزم عادة عتة عالية من الخيال، فالانجليري يصحح بأه من الناحية لفية غير حساس وفي حالتها يمكن أن ترى أنها كانت مختلفة عن ذلك، وأنها قد رطبت بحربها بفسادة الأولى «سرياح الأرواح» التي هت على «الكائن الطفل» من جبل كاسيسحويجا ولمست فيها شيئاً يقطاً».

ربما لا يكون للمس زوجها بعد سماعها لحن شومان أو الصدمة التي مرت بها متجاوزة كل درجات الاثارة أي معنى، وربما يلاحظ معظم الناس نفس الشيء إذا ما استيقظوا من هاش السوم أو من العفوة، والمتصف بين السوم واليقظة يبدأ بحالة هلوسة نعاسية، وأي صوت ولو صوت إغلاق الباب يؤدي إلى نوع من التوميص داخل المح فيسبب إحساساً بما يشبه الانحار وتصف لنا روراليد هايوود أيضاً كيف أنها حاولت في صبيحة يوم من الأيام أن تمارس نوعاً من قراءة الأفكار بالتحديق وهي في حالة من الاسترخاء العميق وحاولت الاتصال بعقل شخص آخر بالمرور ووصفت شعورها بأنه «حالة من التحول العظيم إلى مرحلة الدخول إلى التدبير» ثم تمزق الأمن بواسطة «صربات عاصفة مؤلمة تصادمت مباشرة في داخل». واستمرت الصربات، ثم شعرت بأنها تعود إلى حالتها الطبيعية وكان زوجها آذاك يذق اللب يقول لها إن طعام الإفطار جاهز ومن مدخل حساسيتها المحفص سمعت كن دقة وكأنها معجار قبلة وتواصل تأملها فيها إذا كان ذلك هو السبب في حظورة إيقاف «الوسيط من حانة الأدماح». فالمعروف أنها قد تكون ساء في توقف القلب

واستطاع راماكريشنا بعد أول تجاربه مع السامادهي أو «الشوة لإلهية» أن يعرف كمية التوصل إلى هذه الحالة إرادياً، فما كان عليه إلا أن يسمع اسم كريشنا أو كالي حتى يدخل في السكر الإلهية، ويلاحظ أن هناك شيئاً مقادلاً هذا إذا ما تجرب الاسان بعق مع مقطوعة موسيقية يستمع إليها، فالأنعام الأولى من مقطوعة تريستان أو الأنعام الافتتاحية لسيمفونية بروكنر تستثير عند السامع إحساسات بدعة في الدماغ تتعها فيض معاني من الامتاع وهي لا تخرج من الناحية النفسية عن كونها غطاء معتاداً مثل كلب سافلوف الذي يمرر اللعاب حينما يستمع إلى صوت الخرس وانهم هو أنه بمجرد أن يدرك المح الخدعة أو على حد قول آخر الطريق إلى الشوة، فيصبح قادراً على تكرارها بإرادته. ويستلزم ذلك فعلاً إرادياً معباً هو التركيز المتعمد

على مصدر المتعة، فإذا ما اسمعت إلى الموسيقى وأنت تقرأ في صحيفة يومية أو تفكر في أي شيء آخر، فلي يكون العمل أقل قوة، ولكن إذا ما تعاون الملح والمثير فيكون هناك استرخاء يتبعه اتصال بالمصدر الداخلي للمتعة.

وبذلك بدأ في الظهور بطريقة عن الحساسية الحسية على الحواس البلي - حينها استرخي بعمق، وكان أحداً قد فتح الفاصل بين شطري الملح فيحوها إلى عرفة واحدة، وأمر بالحساس الحسود العلي كما لو أصبحت فجأة قادراً على النفس، وأحسن باتصال الأشياء، فلا بد أن كل فرد قد مر بموقف التسرع أو الدهشة ولكنه يمثل في أن يلاحظ أن هذه المواقف نطل تتعمق وتتسلل حتى تتحرر حالة الدهشة ويبدأ الشعور بالألم في الظهور إن التسرع والنوتر يرفع عنه الحساسية، ويقوم في نفس الوقت جداراً من رجاء بيتا وبين الواقع وفي حالة النظرة الموحدة بتلاشي ذلك الحائط ويبدو كل شيء كأنه واقع

وليس من شك في أن القطط والكلاب تكون دائماً في هذه الحالة، إذ أنها تفكر إلى القوة التي تدعم التركيب، ويبدو أن هناك احتمالاً قوياً بأن أسلافنا من سكان الكهوف الذين عاشوا منذ نحو أربعين ألف عام كانوا يقصون معظم وقتهم في هذه الحالة حينها اكتشفت رسوم الحيوانات على جدران كهوف إسان كرومايون استنتج العلماء أن أسلافنا كانوا يقصون الأمسيات بقطعة من الفحم أو أكسيد الحديد الأحمر، ثم تبيّن تدريجياً أن ذلك لا يعتبر أقدم مثال تطبق عليه عبارة «المر للسر» بل أنه من أجل السحر إن الكاهن هو الذي رسم الثور والعرال لأن الرجال كانوا على وشك الخروج للصيد في اليوم التالي، والمفروض أن الرسوم عملت لتربط بين عقول الصيادين وبين الصيد السمين مع عتة حساسيتها العالية للعبية يدولنا أن الفكرة ماضية للعقل، أمّا بالنسبة للإنسان البدائي فلا بد أنها كانت مسألة معقولة مثلها تماماً مثل البحث عن الماء. وبالإضافة إلى ذلك هناك براهين تدل على أن مثل ذلك السحر كان له معنوله ولقد وصف السير ارثر جريميل الذي كان صديقاً سامياً في جرر جيلبرت، كيف أن البداء الموروث على حنازير البحر قد أقام بالمعمل صبة عقلية مع تلك الخنازير فجعلها تسبح نحو الشاطئ وهي في حالة أشبه ما تكون بحالة السكره فيمكن للوطيين أن يعوضوا في الماء ويقتلوها^١. كما أن ماسويل كوردون -

Arther Grimble, Patterns of Island (Chap. 6).

ريوس الذي اختطفه هود الإمرون من وطنه بيرو عام ١٩١٢ وعاش عدة سنوات معهم قد وصف سحر الصيد وأكد أن له أثراً فعالاً^(١).

وبطراً لأن الإنسان هو الذي صنع التعقيدات الحصارية أصبح عليه أن يطور مركبات العقل لتتمشى معها، فضع العقل الموحد النظرة وحلت محله الصيغة الجديدة التي يتكون فيها العقل من شطرين أو عرفتتين، فيه عرفة الخلووس إلى اليسار، بيد أن من الخطأ أن يعتقد أن العقل الموحد النظرة قد صاع بغير رجعة، بل يمكن إذا أردنا أن نعمد إلى حصص عنة الحساسية ولقد قدم لنا حيم كور بيت صبياد المهور المعروف في كتابه عن آكلات الإنسان في بلاد كوماون وصفاً للطريقة التي أمكن بها تطوير حساسيته للأدغال مما جعله يعرف بالحدس المجرد الوقت الذي يكون السم فيه مستلقياً في انتظاره (والمفروض أنه طور هذه القدرة حينما كان يقوم بصيد المهور). وعمته حافظته على نفسه أن يخصص من عنة الحساسية، وبذلك يشقى الأندر بالخطر من الشطر الأيمن من فمه، ورأبها بوصوح فيما سبق كيف قامت رور ليد هـ يوود بتطوير قدرة مماثلة وتم لها ذلك مصادفة من خلال حساسيتها بالتواحد في التلال، وهي ترعم أيضاً أنها طورت صلات تخاطبية مع زوجها لأنه كان قليل الكلام بينما هي في حاجة مستمرة طيلة حياتها للقيام بالاتصالات.

ولعل أعرب فصل في كتابها «الخلية اللاشعورية» فصل بعنوان الماء، تقدم فيه تأييداً هاماً للنظرية البدائية الخاصة بالقوى الصافية للخطر الأيمن من المح فالعناء هو حساس مرهف تسمعه بدرجات متفاوتة طول الوقت (ويرداد في بعض الأوقات عن الأخرى) وهي تصفه عن النحو التالي

هو نوع من الدبذبات الداخلية شـ الصوتية، أقرب شيء يقاس عليها هو الصوتاء التي تسمع في عمارة البحر حينما تضعها على الأذن، أو ربما كانت كهوئ الدوائر الذي يسمعه عن بعد ربما يد ذلك للأحريين طيناً في الأذن، ولكنه بالنسبة لمن مر بالتجربة يبدو له أنه لا يسمع بالأذن، ولا يعرف للصوت مكاناً، بل هو بالأحرى مثل الصوت يسود الخواكله، وإن كان إدراكه ينضج في إصدار قوس واسع فوق وخلف الرأس ولا أستطيع أن أشرح ما أفصده بدقة، فلا يبدو أنه يرن خلال الفضاء الخارجي ولكنه بعيد وعميق في الداخل، وربما تكون كلمة الخدية أو حصر الحدود هي أنسب ما يعبر عنه فإذا ما صحت شكوكي التي أعامرها، فلن يكون هناك حد فاصل بين الحس العادي وظاهرة الحس الفائق.

ويبدو أن ذلك الصوت، طبقاً لما يذكر الملحن الموسيقي جون كيدج John

F. Bruce Lamb. Vizard of the Upper Amazon, 1971

(١)

Cage هو الصوصاء التي يحدتها على الجهار العصبي والتي يمكن سماعها في ظروف الخمر من الكامل من الحسية، مثل ما في داي الداخلي الحقيقة، يبدو أنه في تلك الحالة قد يكون نفس الشيء، ونرغم روزاليد هايوود أن الأمر يختلف، فالمرّة الوحيدة التي فشل فيها في الاستماع أثناء تواجدها في حالة صمت مائد حبيبا كانت تنظر العطار لبلا في موهامسر، ندي مغير من أعمى عظام الانفاق في لندن، والذي لا بد، إذا ما كانت نظرية الأعصاب صحيحة أن يكون الصوت واضحاً فيه ولكن: -

كان الأمر أكثر وضوحاً في بعض الأماكن عما في أماكن أخرى، وبخاصة في العديبات الهادئة أو في بحيرات أو على الجبال، وكلها أماكن طبيعية لم يصرها الانسان ويتصع الصوت أيضاً في أماكن مثل الكنيسة، ومكة الكلبة من الأماكن التي يصر فيها التكبير والتكرير بعض المدى مسير طويلة، وقد يرن الصوت في حجرة عادية يكون التكبير بداخلها متواصلاً

وتضيف روزاليد أنه «رغم أن الغناء يبدو مختلفاً باختلاف أصله الطاهري فإني لا أستطيع أن أكون فكرة عن موضع الاختلاف، ولكن يمكنني فقط أن أقول إن أغاني الجبال توصل إلى النفس جواً مختلفاً عما توصله أغاني الكنائس، تماماً مثلما يصدر عن الممارجو مختلف عما توصله العاصفة...»

وتوصل كلامها عن عواء الكنائس فنقول «استمعت إلى معيات المسيحية في العديد من الكنائس الهادئة الخالية فوجدت أنها في بعض الحالات قد تمر من فوقك في تجربة أكثر تركيزاً، كما لو كانت - وأكرر كما لو كانت - قوة داخلية تنساب من العالم الآخر»

كانت روزاليد تشرح العواء لمهندس شاب عل أمل أن تصدمه، فرد عليها مهدوء شديد «أجل - أنا أسمع ذلك أيضاً، في بعض الأماكن التي بها عواطف قوية». هذا التعليق أهمية كبيرة، ففي عام ١٩٠٨ خرج السير أوليفر لودج وهو أشهر أعصاب جمعية البحوث الصناعية آنذاك رأي هام هو أن الأشباح قد تكون نوعاً من الأشرطة المسجلة «كما لو أمكن تسجيل العواطف الحياثة على مادة دون أن ندرك ذلك التسجيل».

لأخذ مثلاً مرلاً مسكوباً بالأشباح، فيه إحدى الحجرات هي المسرح الذي يظهر فيه شبح حادث محزن من الماضي فعل أساس نظرية الكشف النفسي،

(١) «الكشف النفسي هو القدرة على إدراك ناربج شيء عن طريق منه أو مسكه مألوف أو في حالة الخمر هو استعمار بعض الأحداث التي وقعت في تلك الخمره انظر كتاب مؤلف بعنوان The psychic Detectives. 1984 المعبرون النفسيون

تكون صورة الحادثه الأصلية قد اسطعت مجاراً كالصورة في المحيط المادي ها وليس هذا فحسب بل وفي الأثير نسب عمق الانفعالات التي أحس بها أصحابها، ثم يتعرض بعد ذلك شخص معين لتأثير هלוسة تتصل بثل ذلك الاسطماع تلك هي النظرية التي تمت صياغتها كي تقرر الشعور الذي يحسه الشخص عند دخوله إلى حجرة معينة بأن هناك كياناً غريباً في تلك الحجرة^(١).

وعبارة «ليس هذا فحسب بل وفي الأثير» قد يطر إليها على أنها صيغة مبالغه، ولكن الحقيقة أن هذه النظرية تعتبر حتى النصف الثاني من القرن العشرين من أشهر النظريات التي عرفت عن طبيعة ظهور العوامص ولقد توصل الراحل ليشيريدج T C Lethbridge الذي أشرت إلى إسهاماته في مكان آخر^(٢) إلى نوع من الظهور الشحي يسمى «العول» هو نوع من الأحاسيس المروعة وصفها لودج بأنها إحساس بشريط مسجل في نوع من المحاك الكهربي، وكان مقتنعاً بأن هناك أنواعاً مختلفة من المجالات ترتبط بالعمات والحد والامكان المفتوحة وهذا يتم مع ملاحظته روراليد هايوود عن العناء وب، على ما ذكره ليشيريدج ربما كانت هناك بعض الدبدبات الكهربائية التي تلتقط ويترصد أنها لا تستطيع الوصول إلى أعماق مثل عمق محطة النطق في هامستيد أو الأماكن التي تعزل عنها بطريقة أو بأخرى

ولو لم يكن للنظرية قيمة، وأمكن تسجيل المشاعر والحالات الذهنية (أو مجاهها) على مادة معينة فقد نجد في ذلك تفسيراً لما لاحظته روراليد عن وجود أنواع مختلفة من نعاء في كل من المكتبات الجامعية والكنائس نتيجة لاختلاف الذبدبات. ومن المدهش أنها لاحظت وجود «قوة داخلية» نسب من هياكل الكيسة لأن لكانس المسيحية كثيراً ما كانت نبى فوق مواقع عبادات وثنية، إذ كانت هناك تعليقات من القاتيكود في العصور الوسطى بضرورة بناء الكنائس في مثل تلك المواقع. وسوف يستوثق أي باحث متعمق من أن المجال المحيط بالمواقع القديمة مثل الأحجار التي يبنى بها أسوار أو حوائط للمعابد كانت عادة قوية، والكنائس المسيحية مثلها مثل تلك المواقع الوثنية القديمة نشأ لتواجه الشر وعالماً ما يكون الهيكل أو المدح فيها في نهاية الخاب الشرقي، ولعل ما استشعرته روراليد هايوود مساماً من الهيكل رما كان باديء ذي بدء هو النوصية التي من أجلها احتير الموقع

(١) لودج الإنسان والكون (١٩٠٨) 1908 Ludge, Man and the Universe.

(٢) حفايا الحيلة (١٩٨٧) من الفصل الرابع. Mysteries, 1978, Chapters 1 to 4.

وطبقاً لهذه النظرية «نظرية التواجد الأصغر» لم يكن الذي استشعرته روراليد هايوود في حجرة السوم عزول جذها سيئة عجوراً، إنما شريط مسجل عن حادثة قديمة، (ويعتقد ليثريدح أن التسجيل عالباً ما يكون مرثياً كما يمكن الشعور به خاصة بالنسبة للمتحمقين المدفنين)

هكذا، رغم ما كان لهذا التصير من صدى علمي طيب إلا أنه مارال فاشلاً في تفسير الكثير من تجارب روراليد هايوود، فمن الواضح تماماً أنه حينما مرت روراليد بتجربتها مع حوبا ومع فيفيد لم تشعر بأنها تأخذ عن جهاز تسجيل، وأن تجربتها هي وروحها عندما كانا في دورتموند قد شعرا فيها بسوحود علاقات بينها وبين كائنات طبيعية غير مرئية وليست نوعاً من المجال الكهربائي فكيف إذن تقرر نظرية عتة لحاسة الاستشعافية ما يتعلق بالتعرض للانقسام إلى شخصيتين؟

فيما يتعلق بهذه النقطة الأخيرة بمكسا الرجوع إلى كتاب ح. ن. م. نيريل صديق روراليد الذي كتبه عن شخصية الانسان وأصبح من أهم المراجع الكلاسيكية عن بحوث النفسية (كنت هذا الكتاب في منزلها، وبعت فيه كيف حدث لك حينما كانت وحيدة بالمرل أثناء الحرب، فانتها الأوامر بأن نكتب إلى نيريل نطلب منه أن يتقل إلى لندن، وقبل الدعوة بشعب رغم كل ما فيها من مخالعات) ولقد أشار نيريل أيضاً إلى حكاية انقسامها (إن لم يذكر اسمها) ثم واصل الإشارة إلى حالات مماثلة، فهناك حالة مسر ويدليت (وهي سيدة ويتريد كومبي نالت المصابة بشبه غلغم) والتي كانت وسيطاً للكتابة التلقائية، وتلفت في أغسطس سنة ١٩١٣ خطاباً من سير أوليفر لودج به مرفقات عديدة. وببسا كانت على وشك إحراج تلك المرفقات مرت بها حالة «كصرية قاصية راعدة تدعوي ألا أفعل ذلك». وببسا هي مترددة تفكر في أن تتعلّب على هذا الشعور اشطرت إلى قسمين «العقل رقم ١ الذي يحمل جسمها فقامت وسارت عبر الحجرة إلى الباب، ولكن العقل رقم ٢ الذي كان هود في أو الأنا كم أعرفها) فلم يستطع أن يدرك لماذا أنا هناك» وجعلها العقل رقم ١ تعيد الخطاب إلى لظروف وتسرع نحو حجرة روحها وتسلمه الخطاب (وكان لعدم قراءتها للمرفقات دلالتها هامة)

ويذكر نيريل أيضاً حالة جندي في المحباً أثناء الحرب العالمية الأولى، كان في حالة تجمد وبأس، وفجأة اشطر ووجد نفسه خارج جسمه الأرضي، الذي وصل

السر نحو رفيق له، قرر فيما بعد أنه يحدث معه طويلاً بمصاحبة وطرافة كما لو كان حالماً في راحة تامة أمام النار.

والحالة الثالثة التي ذكرها تتعلق بالسر أوكلاند جريس أستاذ التشريح في دنبر، وفيها شبه كسر بحالة القس برنارد التي أشرنا إليها في الفصل الأول. ويشرح جريس كيف بدأ يشعر بحرص شديد نتيجة لإصابته بالتهاب معوي، وحيثما حاول طلب المساعدة بالهاتف وجد نفسه عاجزاً عن الحركة، وبينما هو جالس في مكانه «أحد الوعي عندي ينصل عن وعي آخر كان أيضاً هو نفسي» وأسماهما الوعي أ ووعي ب «كان الوعي ب ملحفاً بجسمي الجالس عن المقعد» بينما كان الوعي أ ملحفاً بداته (وعلياً أن يلاحظ هذا أنه قال ملحفاً بداني وليس منائلاً معه)

ليس بد ب حالي «صحية سوء»، وكذا قلبي ينصل بدلا من ب يندق أيقب أن الوعي بداني اندي يسمي جسدي بد يظهر علامات بد على أنه مركب، بمعنى أنه مكون من برأس والقلب والاحشاء، وصيحت هذه المكونات أكثر بعداً، وبد الوعي ب يتكثف سم بدأ الوعي أ الذي هو الآن مخرج نفاث من جسدي

ومعاًة أصبح مدركاً أن باستطاعته أن يرى كل المنزل والحديقة، ثم الأشياء الموحودة في لندن واسكتلندة، وعلق على ذلك تعليقاً عربياً بأنه شعر وكأنه أصبح الآن متحرراً في البعد الزماني والمكاني، بينما كان «الأب» بصورة ما يسوي «هنا» بالطريقة المعتادة للمكان المجسم ذي الأبعاد الثلاثة الذي اعتدناه في حيات اليومية، أو بمعنى آخر يبدو أنه أصبح «أعلى» درجة من درجات التحسيد من العالم الطبيعي هذه الملاحظة يمكنها تفسير التجربة التي مر بها الآن فوجان بمعرفة الساقطة التي أدركها حينها «ترك» جسمه، وهي التي أشرنا إليها في الفصل الأول.

اكتشفت حالة جريس بعد ذلك بدقائق قليلة، فأخذ حصة كاهور قوية، وبدأ قلبه يندق مرة أخرى وكما حدث بالنسة للقس برنارد سكر «معصب شديد» لأنه عاد إلى جسده فقد أحس بأنه بدأ يتهمهم (حيثما شرح جريس هذه التجربة التي مر بها في محاضرة ألقاها بالجمعية الطبية الملكية حيث رعم بأنه كان له صديق يثق في كلماته، ولكنه اكتشف فيما بعد أنها كلماته هي) وأكد أن التجربة بعد انتهائها لم تتلاش مثلاً يتلاشي الحلم.

وهناك فرق واضح بين التجربة التي مر بها جريس وتلك التي مر بها القس

برتراند في ثينليس، فحيثما مر برتراند بتجربة الاتصال كانت ذاته الواعية تنظر إلى أسفل إلى جسمه لفارق الحياة، ويبدو أن ذلك هو الذي يحدث لأي مساحيق يمر الأسن بتجربة الخروج من الجسد، ذلك أن جريس مثله مثل روزاليد هايوود قد مر بتجربة «الوعي انقسم» فأصبح مشطراً إلى شخصين كلاهما واعٍ، وهو شيء يصعب تصوره، إذ يمكن فقط أن نتخيل الوعي موجوداً في مكان واحد في وقت واحد، ولكن روزاليد هايوود أحرزت تيريل بما يلي: «كنت بالتأكيد وسطاً بين كليهما، وفي نفس الوقت واعية في كلا المكانين، ولم يكن هناك أي إحساس بوجود شخصية ثالثة «مي» تربط بين الاثنين».

ويمكن توضيح هذه النقطة بذكر حالة أخرى أشار إليها تيريل، وهي مثال أكثر مطابقاً على تجربة الخروج من الجسد. في خلال حرب السور دخل السيد الكسندر أوجستون مستشفى بومفورتين وهو يعاني من حمى التيفوئيد وقال عن هذيان الحمى «يبدو أن الجسم والروح ثنائي فقد كنت واعياً بأن الجسم شيء غير فعال ككتلة تتعثر بجور الباب، كان هذا الجسم يتمي لي ولكني لم أكن أنا» وتحدث عن نفسه لعقيدة على أنها تركت الجسم وأحدثت تتجول «أرى ظلاً أسود يتحول ببطء» حتى شعر بأنه عاد بسرعة إلى جسمه، كان كما لو أنه شيء يوصف بالتوهم أو الهذيان، لكن هذا لا يفسر الحادثة التالية:

رأيت بساطة جراحاً مسكيناً، أكن أعلم بوجوده، وكان في قسم آخر متصل من المستشفى، وقد اشتد عليه المرض وتأوه ثم مات، ورأيتهم يغطون جسده ويحمله برفق على نقالة وبعد ذلك، حيثما أحرزت المفرضات بما رأيت أخبروني بأن كل ذلك قد حدث فعلاً...

غير أن أوجستون لم يكن يشعر بأي نوع من «ازدواج الوعي» مثل روزاليد هايوود وجريس، فقد طاف المستشفى بينما كانت الحثة مسجاة في الفراش. وينطبق هذا على معظم الحالات. ولقد أصدرت الدكتورة سيليا حرين رئيسة معهد اسفورد لبحوث التنمية الطبيعية بدءاً عاماً سنة ١٩٦٦ للتعرف على حالات التواجد خارج الجسد، وتلقت أكثر من أربعمائة رد على مدائها، ثم نشرت نتائج دراستها الإحصائية عن تجارب التواجد خارج الجسد عام ١٩٦٨ وتبين أن الشخص في معظم الحالات كان يجد نفسه خارج جسده الطبيعي، وعادة ما ينظر إلى جسده من أعلى، كما كان هناك شعور بالانفصال الكامل كما لو أن الجسم يتمي إلى شخص آخر.

يبدو أن أول حالة في ذلك الكتاب هو أن الأمر أكثر تعقيداً من انفصال الجسم والروح كانت إحدى بادلات المحلات تسير متجهة إلى مرها بعد ثني عشر ساعة من التواجد في مقر العمل، وكانت في حالة إرهاق شديد وفجأة وجدت نفسها تنظر إلى أسفل لترى جسمها المائي الذي كان يسير في الشارع، وقالت في نفسها وهي تفكر «إذن هكذا أظهر أمام الآخرين» ويبدو من ذلك أن جسمها الطبيعي كان مدركاً لذاته وهناك موضوع آخر عن شخص انفصل أثناء مرضه وقال «كنت أشعر أن شخصي الأعلى مسترح ومرتاح ولكنه واعٍ تماماً بما تعانيه «داني لأخرى» . وهذا يوحى بموضوع بأن هناك وعياً مزدوجاً ويبدو أن معظم المراجع العادية تكشف لنا عن وجود اتفاق أساس معين حول تجارب التواجد خارج الجسم، وتدل تلك الأفكار المشتركة على أن تلك التجارب جميعها تتضمن انفصال الجسم الطبيعي عن يسمى الجسم النحوي (Astral Body) وفي ذلك كتب نيلسون ستيوارت C Nilson Stewart ما يلي:

ظلت الفكرة الشائعة لدى قرون عديدة أن الإنسان يتكون من عنصرين أحدهما الروح أو النفس التي تأتي من عند الله، والجسم المادي الذي يتكون من لحم ودم، ولكن بعض فلاسفة وأصحاب نظريات العوالم رأوا أن لكل إنسان عنصراً ثالثاً هو الجسم النحوي أو الذي يسمى أحياناً المورني، وهو صورة طبق الأصل من الجسم المكون من لحم ودم، ولكنه من مادة رقيقة.

ومن المسلم به أن هذا يماثل تلك العقائد المشوشة عن اللامعقول، ومن السهل أن نتهم لماذا يفضل الكثير من الباحثين المترممين مثل أنتوني فلو Antony Flew ووست D J West أن يعتبروا الجسم النحوي نوعاً من الأحيائية، وهناك آخرون مثل البروفسور جمان ليرميت Jean L'Ermite الذي يعمل في كلية الطب بباريس وغيره مستعدون للقول بصحة تجارب التواجد خارج الجسم ولكنهم يعتبرونها نوعاً من الهلوسة أو خدعة يمارسها العقل الباطن على حمار الاستشعار عندما . ولكننا نجد أن بعض الحالات مثل حالة السيد الكسندر أوجستون تثير تساؤلات كيف يمكن لأي إنسان يعاني من الهلوسة أن يحصل على معلومات دقيقة عن شيء يحدث في مكان آخر كمريض يموت في جرة آخر من المستشفى؟ إن أي شخص يجارف ويحاول فحص الدلائل والبراهين ربما سينتهي إلى الموافقة - مثل ما فعلت سيليا جرين - على أن تجربة

(١) . جمع كتاب الإنسان والأسطورة والسحر (1972 - 73) Man Myth and Magic

التوحد حارح الحسد لا تخرج عن كونها وهماً، ولذا فربما يكون للجسم الوهمي وجود

تصبح المشكلة أمامنا إذن هي التوصل إلى نظرية تفسر كيف أن رور بيند هيوود وسير أوكلاتد حيريس استطاعا أن يبرراتجربة الوعي المردوح، وكيف أن الحدي الذي أشد إليه تيريل استطاع أن يواصل الحديث عن رميله بينما كان وعيه ينظر إلى نفسه (جسده من أعلى) ولم تنجح حتى أفصل دوائر المعارف الخاصة بالعوامص واللامعقول أن تقدم تفسيراً لذلك.

ومن بين القلائل الذين يدرسون العوامص واستطاعوا تقديم نظريات مقبولة شاملة رودلف شتاير Rudolf Steiner مؤسس حركة الحكمة الاساية، وسوف نتناول آراءه عن الحياة بعد الموت فيما بعد. وربما يعارض شتاير أن يعتبره البعض من اللامعقولين لأنه يعتبر نفسه عالماً، إذ كان تدريسه الأساسي في العلوم والرياضيات

ويرى شتاير أن للإنسان أربعة مكونات الجسم والجسم الأثيري والجسم النجمي أو الوهمي والذات، فحسبها ينام الإنسان ينقسم إلى قسمين فيفصل الجسم الوهمي والذات عن الجسم الطبيعي والأثيري.

وتستحق هذه الآراء بعض الدراسة الدقيقة، فطبقاً لما ذكره شتاير يتعلم الجسم الأثيري (الذي يسمى أحياناً السمة Aura) في داخل الجسم الطبيعي، وقد يتولى هندسة الإنسان، ويقول إن كل الأعضاء الطبيعية تحافظ على تكوينها وشكلها بواسطة تيارات وحركات «الجسم الأثيري»

وتعطي كلمة «تيارات» مدحلاً مهماً، فبعد القرن الثامن عشر حينما اكتشف جلماني أن ساق الصفدع المينة تركل حينما يمرر خلالها تيار كهربى والمعروف أن البشر في بعض الحالات يكونون بمثابة أجهزة أو آلات كهربية، ففي كل مرة تقوم فيها بعملية التعكير يصدر المخ تيارات كهربية.

ومن الأمور المحيرة للعناية عن المادة الحية تماسكها مع بعضها، وهذه النقطة قد أثبتت في القرن التاسع عشر على يد البيولوجي الشاب المسمى هانز دريش Hans Driesch، فقد انتظر دريش حتى انصمت بيضة قفد البحر الملقحة، ثم قتل أحد النصفين باستخدام أداة ساحنة وتوقع أن يعمو النصف الثاني فيكون نصف قفد بحري، ولكن لشده دهشته وجد ذلك النصف قد نما إلى قفد كامل ولكن نصف

الحجم المعتاد لقنعد البحر ثم حاول أن يجمع بيصتين معاً، فكانت النتيجة خروج قنعد واحد في صعب حجم القنعد العادي. فمن الواضح أن هناك قوة عملت بشاغل على هذا التشكيل الكامل وحتى ذلك الوقت كان المعتقد أن الرحم يحتوي على الكثير من الحزبات المرقمة مثل حزبات الأثاث التي تركبها نفسك، وهكذا أدت تجرب دريش إلى تقديم صورة جديدة مذهشة أشبه ما تكون بإعطاء قطع الدولاب المجزأة لقرم صعب ليركبها

وعلى الجانب الآخر من المحيط الأطلسي اهتم أستاذ التشريح هارولد سالكسون بير Harold Saxon Burr بالنتائج التي توصل إليها دريش وبخاصة فكرة تشكيل المحال أو المخطط، وأشار بير إلى أن جين الضمعد يتوحد في محلول قنوي تتحلل فيه الخلايا وتتحول إلى شيء يشبه الكيس المليء بقطع الرحام، ونكر إذا وصفت في محلول حمضي خفيف التركيز فإنها تتجمع مع بعضها ليعود تكوين الحبيبات. قرن بير بين هذا وبين ما يحدث حينما نمسك بقصيب معاطبي تحت فرج من الورق عليه برادة حديد، فإن برادة الحديد تتحد شكلاً غمطياً يسير مع خطوط المجال المعاطبي وقام بير ورميله نورثروب F.S.C Northrop بتوصيل فلتامتر حساس بأشجار وبأجنة أنواع مختلفة من الأحياء، فبين حدوث تغيرات فصلية في مجال كهربى ضعيف يوجد في جميع المحلوقات، وهذا هو القوة التي تشكل الحياة مثل القرم الذي يأتي ليركب الدولاب الكبير. وهكذا نجد أن ملاحظة شتاينر عن وجود جسم الأثري يهندس الجسم الطبيعي وعن الأعضاء التي تحافظ على شكلها من خلال تيارات ذلك الجسم الأثري تعتبر وصفاً علمياً دقيقاً. وبطراً لأن شتاينر كتب هذه الكلمات سنة ١٩١٠ في كتابه إطلار عام لعلم العوامص أو اللامعقول، وبطراً لأن ذلك جاء قبل أن يبدأ بير ورميله نورثروب بتجاربهما في جامعة بيل نصف قرن، فقد أصبح لزاماً علينا أن نسم بأنه قد كشف عن مقدمة علمية هامة.

بيد أنه طبقاً لما قاله شتاينر يتكون الكائن الشري أو الإنسان فقط من الجسم الطبيعي المتناسك بواسطة الجسم الأثري الذي ربما يكون بمعه آخرى سائاً، وفي الحقيقة يصح الإنسان أثناء النوم نوعاً من السات وحينما يستيقظ يضاف الوعي إلى تركيبه، ويعتبر الوعي حسب رأي شتاينر هو الجسم النجمي أو السوراي، أو على الأقل يكون هذا الجسم هو المؤثر الأهم في الإنسان، ولما يشترك الإنسان مع السات في وجود الجسم الأثري فإنه يشترك مع الحيوان في وجود الجسم النجمي أو السوراي

ويقول شتاير إن هناك عنصراً آخر في الإنسان أهم من كل ذلك، فيما تقوم به الحيوانات على عليها بواسطة إحساساتها بالحرارة والرودة والجوع والعطش والسرور والألم، أما الإنسان فإنه قادر على أن يطور مطالبه ورغباته متجاوزاً كل ذلك ومن الأمثلة التي تدل على هذا التجاوز اهتمام الإنسان بالرياضيات التي من الواضح أن ليس لها أي صلة بالشهوات الطبيعية (حافظ شتاير على اهتمامه بالرياضيات خلال كل فترات حياته) ذلك الاختيار ذو المستوى الرفيع هو الذي يسمى عند الإنسان «الذات»، والذات كما يقول شتاير هي مبدأ الاستمرارية، فالنفس الحيوانية تسي سرعة وبسهولة (مثلاً كلما نلاحظ أننا ننسى الآلام ومتاعب المرض الطبيعي بسرعة) والذات تحاول أن توتر عنصر الدوام في حياة الإنسان.

تثير هذه الملاحظات في فكر أي شخص ذكي شيئاً ما، فقد قال بينثه ذات مرة إن باستطاعتنا أن نسأل الأبقار عن سر سعادتها، ولكن لن يكون لذلك معنى لأنها قد نسي السؤال قبل أن تشرع في الإجابة عليه، إذ ليس لديها استمرارية في الوعي. وتناول هـ ح ويلر نفس النقطة في كتابه «تجربة في السيرة الشخصية» يذكر أنه منذ بداية الرمان ومعظم المخلوقات تقف صده، ولذا أصبحت حياتها كلها صراعاً ضد الظروف، أما الآن ولأول مرة في التاريخ يمكنك أن تقول للإنسان نعم نعم إنك تكسب عيشك وتعول الأسرة وتحب وتكره، ولكن ماذا تفعل؟ يطق هذا على كل إنسان بدءاً من العالم الطبيعي إلى الفنان، ومن عالم الرياضيات إلى المفكر الديني فبعد تلك الخلفيات عن حياتهم وسدومهم أن يعيشوا فقط، عددن لن يرفعوا في الانتحار.

هكذا نجد أن التقسيم الرباعي الذي قدمه شتاير مقبول عملياً على ثلاثة مستويات المستوى الطبيعي (وهذا واضح) والمستوى الأثيري ومستوى الذات، وإذا ما أردنا بمكنا القول بأن تقسيم شتاير الرباعي متفق مع العقل على جميع مستوياته

هناك نظام آخر للعوامل فيه تشابه كبير مع نظام شتاير هو نظام «الكاهونا» في حور هاواي كما وصفه الأنثروبولوجي ماكس فريدم لونغ Max Freedom Long في كتابه بعنوان «قاسون الهوا الديني» فالكاهونا (كهنة ديانة هوا) يعتقدون في أن الإنسان يتكون من جسم طبيعي وثلاثة أرواح أو أنفس هي النفس الدنيا أو الكيان العريري بالاسان وترتبط بصورة ما مع اللاوعي عند فرويد، والنفس المتوسطة وهي

لذات الواعية للانسان أو روح الحياة اليومية، والثالثة هي النفس، لعب لأها أعلى بكثير من الوعي لدرجة أن اللاوعي يتواجد أسفلها، وفصلاً عن ذلك فإن النفس الدنيا والنفس الوسطى يترجان، ولذا يعتقد الانسان بأنها شيء واحد.

من الواضح أن النفس الدنيا تشبه كثيراً الجسم الأثيري عند شتاير فهي تتسلل بعمق بين خلايا الجسم وأنسجته، وهي تجمع القوة الحيوية، وهي أيضاً موضع العواطف من حب وبغض وحب وكره ورغبة، ومركز جاذبيتها كما يقول الكاهونا، هي جدائل أشعة الشمس، وهي بطبيعتها عيفة وانفعالية، وعادة ما تتصرف كالطفل المدلل وتقوم النفس الوسطى بمحاولة تأديتها والارتفاع بها إلى مستواها، ولكن للأسف يصعب الكثير من الناس أمام مطالب النفس الدنيا، وهبطون إلى مستواها.

في كل هذا بداية للإجابة على التساؤل عن الكيفية التي تمكنت بها روزا ليند هايوود أن تمر بنفسها في تجربة «الذات البيضاء والذات القرمزية»، وتشعر بشيء من الارتداء نحو الأنا القرمزية ورعاتها الأنانية وهي المصطلح الذي استخدمه شتاير مجد أن الذات كانت تحتقر الجسم الأثيري، وفي مصطلح الكاهون تعتبر النفس الدنيا مقابلة للذات القرمزية، والنفس العليا مقابلة للذات البيضاء، وقد أكدت روزا ليند هايوود ذلك في تعليقها التالي:

بعد دقيقة أو دقيقتين، شعرت بعدم وجود تحول، وانسحبت ذاتي البيضاء مرة أخرى مع ذاتي القرمزية في جسم واحد، وبعد ذلك الوقت سكنا معاً مثل الزيت والماء، وجاء الإدراك متأخراً - ون كنت لا أتذكر ذلك إلا نادراً - أنني أستطيع أن أربط نفسي بذاتي البيضاء بجزءي، وأرغب دون شعور - وهذه هي النقطة ذات الأهمية - المباحات أو المسموعات التي تعرض نفسي وتجعل كل أجزء ذاتي القرمزية تريح مرتعشة.

وتضيف روزا ليند إلى ذلك تعليقاً آخر له أهميته «لو أن فرويد واجه مثل هذه الحالات فلربما ساعدته على تكوين مفهومه عن «الهو والذات العليا»، فالذات العليا عند فرويد، مرادف آخر لكلمة الوعي، ولا يفصلها الذات العليا التي تعيها روزا ليند هايوود - لكن تحليلها الخاص للموقف يناسب بطريقة تامة آراء الكاهون عن النفس الدنيا والنفس العليا.

يكشف لنا ذلك كله أن روزا ليند هايوود لم تكن كما تظن في أول الأمر، امرأة دعية لدرجة تجعلها تخترع روايات عن حرات نصانة كي تكتسب لنفسها شهرة، بل هي نصف العالم ببساطة كما تراه من خلال عيني شخص مستشف ويختلف ذلك

العالم عن العالم الذي يصفه العلم الحديث، ومع ذلك فإن له مكوماته **لداحيه** الخاصة ولو أن نظرية «عنة الحساسية» صحيحة فمن المؤكد أنها لن تتعارض مع حال من الأحوال مع العلم وربما أدت الحقيقة كما رأينا إلى إمكان تفسير التجارب التي مرت بها روراليد هايوود على أساس فكرة نصف الكرة المحية البمي واليسرى

وإذا ما قلنا بضرورة التسليم بأن الكثير مما نقوله أشياء قد لا يقلها العلم، مثل تجربتها مع جوليا وبيتيان التي أقمتها بأن الحياة بعد الموت حقيقة، فهذا يقول عن تجربتها التي مرّت بها في أطراف دورتمور حيسا زعمت بأنها قد استشعرت وجود كائنات غير انسانية عديدة بعضها يأتي لزيارتها (بأمر من الصغار المحتفين) أثناء جلوسها على مكتبها في اليوم التالي.

هذا فقط يمسك أن نكرر القول بأن روراليد هايوود لا تنفرد بالتجربة التي مرت بها، فإن الكيانات أو الموحودات التي تصفها عادة ما تكون معروفة كمعاصر طبيعية أو أرواح، ويرغم معظم الأشخاص الحساسين أنهم قد راوها، ويتحدث شايدير عنهم على أنهم حقيقة واقعة في قوله:

يمكنا أن ندرك الطبيعة على أساس واقعها الأحادي (بمعنى المادي) لأن الإدراك الحسي يسمح لنا عادة أن نمر بالتجربة بصورة طبيعية تمتشى فقط مع ذلك المداء، فكل ما يتعارض معها يستبعد عند النصفية، وبطبيعة التي تصل إلى إدراكها هي مظهر لذلك النظم الأحادي

ويوصل شايدير تعليقه قائلاً: توحد أرواح أرضية (حراس الأرض) و(أرواح الماء) (حيات البحر) وأرواح الهواء وأرواح النار في عالم العناصر.

أما أيفانز W Y. Evans الذي يعتبر حجة في الأديان الشرقية، فيذكر في كتابه من الاعتقاد في الحيات عند الشعوب الكلتية «أن بإمكاننا أن نحسن علمياً وجود الدكاء الخفي مثل الألهة والحان والحيات الحقيقية والرجل الخفي (غير المحسوس)» وتوصل إلى هذه الخلاصة كنتيجة لدراسة قام بها لعدة سائر عن الإيمان بالحيات جمع أثناءها المئات من الاعترافات الشخصية.

على أي الأحوال يذكر أن من أعرب الروايات روايه أوردها آدم كاربيري في كتابه عن الإنسان المتعدد الدات، تتعلق باستحواد كيان غير إنساني على شخص ما، ويعترف كاربيري أنه كان متردداً في تضمين هذه الرواية في كتابه لأنها مسابة للواقع، ولكنه يضيف: «ومع ذلك نفى الحقيقة، وهي أنها وقعت كما وصفتها (وكل ما

استعدته بها هو بعض العناصر الدرامية في التجربة، وتتعلق تلك الرواية برحلة اسمه ماريوس كان يدرس التاريخ في الجامعة وشغل مصصاً هاماً في وكالة صحفية حكومية، وتزوج الرجل، وكان رواجه سعيداً وليس له من يستطيع إدراك كنهه، بدأ فجأة يمر بتجربة تمثل في امتلائه بدوافع لقتل زوجته، ويبدو أنه كان مساقاً لبعض القوى الدخيلة لرؤية الدم، وبلغت تلك الدوافع من القوة درجة جعلته يخشى أن يفقد سيطرته على نفسه ويقدم على قتلها.

ظهر له في أحلامه ما يجعل لنا هذا اللعز كان يرى نفسه يعيش وسط سكان الكهوف الذين يلبسون الخلود، أو يسكن في كوخ بدائي معلقة فيه شرائح اللحم لتحفف، ورأى أنه يقابل إنساناً بدائياً قوي السنان يخرج له من الأرض، وبعد هذا الحلم مباشرة كان يبحث عن مجموعة مقتنياته من القطع النقدية وطل بأن شخصاً ما قد وضعها على الرف، دون أن يتذكر أنه هو الذي وضعها نفسه. وتمزقت أسلاك إحدى البنادق التي كان قد أصلحها، ولم يجد لذلك تفسيراً ثم أحد يسمع صوتاً في رأسه يخبره بأنه هو نفسه الرجل البدائي الذي رآه في ملامه، وأنه كان دائماً منسج في ماريوس ولإثبات ذلك استحوذ عليه مرتين؛ نقل نفوده مرة، وقطع لأسلاك في المرة الأخرى، وقال إنه يستطيع أن يستحوذ عليه متى شاء.

ويبدو أن ماريوس أيضاً اعتقد أنه تعرض لاستحواذ كيان غريب عليه يسمى ديا، وقال إن لديه فكرة عن كيفية طرده وشعر مرة برغبة في الاستيقاظ أمام حشب مشتمل تشق منه بيران كبيرة كي يستمد منها الدفء، فربما يمنحه ذلك القوة الكافية لكي تسمح بظهور الدب أمامه

وفي هذه الجلسة العلاجية تحرك كارستري ومربصه متراجعين نحو انقرية، وذهب معهم خمسة رجال أقوياء تحسباً لاستسلام ماريوس لدافع العنف، وأشعلت نار كبيرة استلقى ماريوس أمامها وحلج الجزء الأعلى من ملابسه وبعد نصف ساعة بدأ برأر وأحد يحوب الأرض في هياح شديد، ولما اسرخت وعاد إلى حالته لطيفة أخبرهم بأنه قد تفهم أخيراً موضوع الدب، كان ديباً صحباً من دبة الكهوف أمسك به بعض الصيادين وقتلوه قتلاً بطيئاً - لسبب شعائري بالضرورة - فحلت روحه داخل جسد الصيادين، وانتقلت خلال الأحيال من الأساء إلى الأساء حتى وصلت إلى ماريوس، والآن بعد هذه التجربة عاينته تلك الروح.

غير أن الكيان الذي كان يدفع ماريوس إلى العنف قد ظل بداخله. وطبقاً لما ذكره ماريوس كان ذلك الكيان «ثقلاً مستديراً في الفضاء» امتص العنف إذ كان حاصراً أثناء قتل الدب وظهر في حلم ماريوس كما لو كان إنساناً مدائياً عملاقاً يخرج من صخور القاعدة (والرمزية هنا واضحة).

في اليوم التالي حينما وصع ماريوس في حالة استرخاء عميق بدأ ذلك الكيان يتحدث من خلاله، وبعد أسئلة كثيرة ومشاحات عدوانية ذكر أن اسمه «مولارك» وقال إنه كان في الماضي السحيق معبوداً بصفته كيشاً وتيساً، «يمسح الحياة والقوة لمن يعبدونه»، واستمرت عبادته على صور مختلفة مدى آلاف السنين، «وكان يعصر التعاطف والحب، وكان يردده في الحو الذي يسوده العنف والرعب» ووصف نفسه على أنه نوع من «الوميص» الذي يلعب في الفضاء، أو «نوع من الدوامة المظلمة» التي تحتوي على إطار خاص، وذكر أنه يكره صنوف ذلك الاهتمام وحب الخير التي يوجهها كوابيري والعاملون معه لماريوس.

ولما منع ماريوس درجة الادمان الذي كان يتكرر أثناء عمله مع ذلك الكيان، توقفوا عن العمل حتى اليوم التالي، ولم يحتفظ ماريوس بآية ذكرى لما كان يحدث في تلك الجلسات.

وحينما رجع إلى تورنتو واصل أحاديثه الغريبة مع ذلك الكيان، وطل الكيان يردده إلا أنه لم يستمر على تعاونه الكلي معه، وبعد عدد من الجلسات التي عقدت له بالمدينة دخل شيء جديد في معرض العمل، حيث بدأ الكيان يتذكر أصسه، وتحقق من أنه جاء من مكان آخر، وأن له تاريخه السابق على تحركه في الأرض، وإن كان لا يتذكر ذلك التاريخ.

وتوضح الفقرة التالية السبب الذي جعل كاربيري يشعر بالصيق من ذكر هذه الحالة بالذات

ثم حدث في أحد الأيام أن الكيان أدرك بعض الأشياء عن نفسه أدرك أنه مظلم تماماً، كما كان يعتقد دائماً، وفي الواقع أن هائلته الخارجية كان بها مسحة من نور، ومن هنا تحركت الأمور بسرعة، فأدرك الكيان أن ليس هناك ما يدعو إلى الخوف من الضوء الأبيض لأنه كان يعيش منذ زمن طويل في «النور»، ومع ذلك اعترافه بصورته ترك الشخص المصيف له الذي استحوذ عليه، وكان الكيان في أوج الأمر يحس إهلاك بدون أن تكون صريحة تتعلنى عليها، ولكنه حسباً نحس من أن النور سوف يعديه مصي لحاله

وبسجل كارنيري أنه مد وقوع ذلك ومضي ثمانية عشر شهراً عليه، لم تحدث
لماريوس أي مشكلة، وعادت حياته العائلية إلى حالتها الطبيعية.

وكالمعتاد في الحالات التي تناولها كارنيري لا يوجد ما لا يمكن تفسيره في ضوء
لمرض العقبي، ويدعوا هذا القول لأن نصيب أن الحالات النفسية بدءاً من
سويدنبرج حتى روراليد هايوود ربما تتفق جميعها على وجود تفسير آخر ممكن، فهناك
الكيانات الخفية أو غير المجسدة التي يتميز بعضها بالخطورة والشر، وربما يخدمها
وصف روراليد هايوود عن الاتصال بأحد هذه الكيانات في الوصول إلى خلاصة لهذا
الفصل ذكرت أنه في عام ١٩٢٧ في أحد منازل مسكن الذي كان من قبل محراً
قديماً، وصلت هي وزوجها معاً إلى ذلك المنزل وبصحبتهما الأثاث في وقت متأخر من
الليل. وبعد أن ركبوا أكرام السريرين استغرقا في نوم عميق حتى الصباح وحيما
استيقظا كان في ذهنيها فكرة واحدة هي أنه «لا يمكن إحضار الطفل إلى هذا المكان»،
كان يحس أن بكراهة أن يفعل ذلك، «لأن هناك كيانات غير بشرية خفية ومعادية تنتمي
إلى هذا المكان وتحاول بإصرار أن تطردنا منه».

كان وقفاً عقد الايجار، ولم يكن باستطاعتها البحث عن مكان آخر، وقرر
روحها أن الحل الوحيد هو دعوة أحد الأشخاص الذين يعملون الرقي والتعاويذ،
وعاد ومعه كاهنة طلبت بعض الملح والماء

ذهبت لاحتصار الملح من المطح، فأصابني صدمة، إذ كان المطح، مثل جميع تسوده دوامة
من الكراهية والغضب، وتسوده أقوى أنواع مشاعر الرعب، وأحسست وكأني أتلقي ضربات قوية
متلاحقة كموجات الطبيعة التي تتوالى بالارهاب، وكان لدي دافع قوي واستعداد للملاقاة والرد
عليها بضربات مماثلة، ولكن، رغم أنني لم أكن في ذلك الوقت أدري شيئاً عن أساليب البحث، إلا
أن غريزة الاحتار والتجربة كانت قوية عندي بدرجة غير عادية، فأخذت الماء فقط ورجعت به إلى
غرفة المعيشة وقلت لزوجي عن قصد «سيت الملح يا عزيزي، فلنذهب أنت لتحضره»

ودهب زوجي بوجه مبسم، ولكنه عاد وقد بدا عليه الدعر وقال «يا إلهي ماذا هذا
المطح...!»

فعلت المراسيم والرقي والتعاويذ فعلها، وبعد ذلك حينما كنت أدخل المطبخ
والأبواب مغطاة «كانت تلك الكراهيات قد احتضت ومشاعر الرعب قد زالت، وحل
عنها هدوء يحيم على المكان».

كانت روراليد هايوود بتكبيرها المتعقل المعتاد مستعدة لأن تسلم بأن ذلك

يرجع إلى الوهم، ولكن بعد صنع سوات أعبارا المرول لشقيقتها التي وجدت أن من المستحيل دخول المطبخ للأحدون الشعور شيء يملأها بالرعب، ومع ذلك لم يحدث أن شعرت روراليد أو شقيقتها بوجود كيانات غير إنسانية معادية.

تدور هذه الحادثة المرسية التي ذكرناها كغيرها من الأحداث التي نأفشاها في هذا الفصل كما لو كانت من حرافات عالم العصور الوسطى وهي في حقيقة الأمر تعتبر نموذجاً لاكتشاف أحد يظهر منذ نحو قرن ونصف مما يعرض علينا أن نتاوله في منطوره التاريخي

غزو الروائيين

كانت اهرة الأدبية لعام ١٨٤٨ ظهور كتاب بعنوان «الحجاب الليلي من الطبيعة» تأليف كاترين كرو Catherine Crowe التي كانت ربة بيت متواضعة تعيش في أدبره، وكانت قد حققت بالفعل بعض النجاح بعض رواياتها مثل رواية سوران هويلي، ورواية ليلي دوسون وكان لكتاب «الحجاب الليلي من الطبيعة» الذي حمل عنواناً توصيفياً «الأشباح ومشاهدو الأشباح»، الفصل في اكتسابها شهرة وأصبح أحد الكتب ذات التأثير الكبير خلال القرن التاسع عشر.

ومع الأسف لم تستمتع مسر كرو بشهرتها مدة طويلة، ففي عام ١٨٥٩ أصدرت بحثاً تحت عنوان «الروحانية والعصر الذي نعيش فيه» نسب في أنها وصفت في معجم السير القومية على أنها في حالة مرصية تجعلها تشعر بالكآبة أو الفرع وأصبحت بعد ذلك بديل بالخيال، ورأى معاصروها أن ذلك المصير الذي آلت إليه يرجع إلى اهتمامها بمثل تلك الموضوعات المرعبة ثم شعيت ولم تكتب بعد ذلك إلا القليل في الفترة التي عاشتها بعد إصدار كتابها «الحجاب الليلي من الطبيعة» حتى وفاتها عام ١٨٦٧ وظل كتاب «الحجاب الليلي من الطبيعة» محافظاً على شهرته كما كان، وظل يباع في محطات السكة الحديد بشلين حتى نهاية القرن

كان وصحاً أن العقرة التي ظهرت عنها في معجم السير القومية لا تظهرها مؤمنة بالأشباح ومشهدي الأشباح، فبعد أن تعترف العقرة بأن هذا الكتاب يعتبر من أحسن مجموعات قصص اللامعقول في لغتنا نهاجم المسر كرو وتتهمها بأنها «سادحة عاهرة عن النقد» وهذه معالجة غير عادلة، فلو أن الكتاب كان كما جاء في العقرة مجرد مجموعة قصص عن الأشباح لما أصبح له ذلك التأثير البالغ الذي اكتسبه ولعل ما أعجب به الميكثوريون من هذا الكتاب هو ما يمتاز به من أسلوب متعقل قوي،

ومحاولته معالجة الظاهرة بحيادية وتجرد جاء هذا الحكم قبل أن يحوّل السحشون في مجال حوارق الطبيعة النفسانية بحوث منظمة بثلاثين عاماً ولكن سر كرو قدمت أحسن ما استطاعت مع ذكر الخطاسات الواردة والوثائق والأسماء والشهود والتواريخ المحددة

استوحت كتابها «الحانب الليلي من الطبيعة» من كتاب آخر كان من أكثر الكتب انتشاراً خلال القرن التاسع عشر هو كتاب «شاهدة بريغورست» الذي ألفه جوستينوس كيرير Justinus Kerner كانت سر كرو قد ترحته عن البعة الألمانية وبشرته قبل نشر كتابها بثلاث سنوات. وكان أول دراسة تفصيلية متكاملة ظهرت في تاريخ الأدب عن الاستشفاف. وشاهدة بريغورست هذه امرأة ريفية تدعى فردريث هاوف كانت تشاهد رؤى عرية، وتتحدث عن أرواح خفية منذ طفولتها، ولما بلغت التاسعة عشرة من عمرها تروحت من ابن عمها وأصبحت منه طفلاً ثم أصيبت بهبوط بعد الولادة، وظهرت عليها أعراض هستيرية وكانت تدخل كل مساء في عشبة تسمى أو عسوية ترى أثناءها أرواح الموتى فاستدعى لها الطبيب الثري كيرير الذي كان يهوى الشعر لمعالجتها ومحاولة شفائها.

والفهم أنه أحد يعالج رؤاها على أنها حيالات، ولكنه أصيب بالدهشة من أحد مر عمها الفريدة من نوعها، من أنها تستطيع أن تقرأ بمعدتها، فهي تستلقي على الفراش، ويوضع كتاب مفتوح فوق حجابها الخارج مباشرة دون أن تكون تحته ملابس ويعبىها مغمضتين تستطيع أن تقرأ نفس السهولة التي تقرأ به لو كان أمام وجهها ورعمت أيضاً أنها قادرة على الرؤية من خلال الجسم البشري وكان علمهم بالحمار العصبي أمراً غريباً بالنسبة لسيدة ريفية.

تعبّر رأي كيرير عن أحلامها أو رؤاها بعد أن مر تجربة عرية أحسرتة أن روح رجل أحول قد تلبستها، ومن وصفها تعرف كيرير على الرجل الذي كان قد مات منذ مئتي سنة وقالت فردريكا إن الرجل الميت كان يعاني من شعور بالدسب لأنه احتلس مبلغاً من المال وحاقت همته برجل آخر، وأراد هذا المحتلس أن يرى مساحة الرجل المتهم حرصاً على مصلحة أرملة، وذكر أن الاتساق موجود في صندوق وثائق قد يعثر عليه في حجرة أحد الموظفين الرسميين، وأطلقها روح الرجل الميت سادوظف الرسمي في صورته وهو جالس في حجرته والصندوق مفتوح أمامه على

المكتب. وكان الوصف الذي نقلته جيداً لحد أن كريس استطاع أن يتعرف على ذلك الموظف وكان هو القاضي هايد. وكان على القاضي أن يسلم مقدماً بدقة تقرير فريدريكا التي وصفت به حجرته، ودعش هو وكريس حبسها عثر على الوثيقة مطابقة تماماً لما قالته لدرجة أنها عرفت أنها موضوعة في الملف في موضع خاطئ.

مد ذلك الوقت أصبح كريس ينظر إلى فريدريكا على أنها جادة فيما تذكره وأحد يدون مذكرات عن أفكارها الأساسية. أحرته بأنها يحاطون بأرواح حقبة غير مرئية، ولاثبات ذلك استحثهم أن يصدروا أصواتاً من الحصى، وأن يدفعوا كرسيها كبيراً في الهواء. وافتح كتاب وانطعمات شمعة بواسطة أصابع غير مرئية، وأحد شيء غير مسطور يسحب حذاءها بيها هي مستلقية على الفراش. ووصف كريس روحاً رآه بنفسه وقال إنها تشبه عاموداً رمادياً من سحب فوقه رأس.

كانت فريدريكا أيضاً تتحدث بلغة أجنبية غير معروفة زعمت أنها اللغة الأصلية للحياة الداخلية، وتبين منها بعد أنها تشبه اللغة القبطية. وتحدثت عن دوائر متعددة ومعقدة في الوجود الاساسي، كانت دوائر الشمس ودوائر الحياة هي أسرارها، وأعلنت أن الانسان يتكون من أربعة أجزاء: الجسم والمهالة العصبية والنفس والروح، أما المهالة العصبية فهي جسم أثري يتابع أعماله الحيوية حيثما ينام الانسان أو يذهب في عيبوبة، ويتفق هذا تماماً مع آراء شتاير التي ذكرناها في الفصل الثاني.

أدت هذه الاستعراضات الروحية إلى سوء صحتها وماتت في التاسعة والعشرين من عمرها عام ١٨٢٩، وفي نفس السنة نشر كريس كتابه المشهور وشاهدة بريغورست، الذي أحدث صيحة كبيرة، حيث كان كريس رجلاً متعلماً له احترامه، وكان صديقاً لكثير من الفنانين والفلاسفة، وكان طبيباً شهيراً، ولذلك لم يؤخذ الكتاب على أنه كذب أو خيال. ولقد شهد أيضاً عالم اللاهوت المعروف أسدك دافيد شتراوس الكثير من الأشياء التي أورد وصفها في كتابه، وأتى بشهود على صحتها، وأدى كتاب شتراوس وعصوانه «المهدام» وهو عن حياة المسيح إلى صيحة داعت على المستوى القومي، ولكنها لا تقارن بما أحدثه كتاب شاهدة بريغورست على المستوى الأوروبي كله، إذ أن القرن التاسع عشر كان عصر انتصار العقلانية، وربما اتفق العلماء على التشكيك فيما ذكره دافيد شتراوس، ولكنهم لم يروا ذلك في الأرواح الخفية التي ذكرتها فريدريكا. وكان أطباء باريس وفيينا قد نجحوا في تدمير الحياة الوطيمية

للدكتور فرانسيس ميسمار Dr Franz Mesmer بأن اعتسروا المسمرية والعلاج بالايحاء صرباً من الخداع، ورفضوا حتى أن نظروا في أداة التحاظر والاستشفاف، وكان من الأبر هم أن يعتقدوا أن مشاهدة برمعورست كانت صرباً من الخداع دون حاجة إلى السؤال عما تعسه، بل إن الجراح الشعبي الكبر الذي لاقاه الكتاب قد عمق اهتمامهم له بأنه نوع من الخداع الذي ينطلي على العامة

يساعدا كل ذلك في شرح السب الذي جعل كتاب كيرير لا يصل إلى إنجلترا إلا بعد ظهوره بعقدين من الزمان، فقد كانت بريطانيا أولاً وقبل كل شيء هي الموطن الأصلي لمذهب الشك، حيث كان دافيد هيوم قد رفض المعجزات بأن طرح السؤال التالي هل الأفضل لنا أن نعتبر اليهود كاديين أو أن نتهك قوانين الطبيعة ونهدرها؟ وكان الاسحليز محوريين بتكبيرهم الصارم، ويحسون أن يعلموا ذلك بخلاف نفوسيين والايطاليين والافاريين، ولم يكن لدى الاسحليز ما يدعوههم إلى الخوف من السحر، إذ اتهموا البابا نفسه بالكذب ولقد أقر المشتعلون بالطب في بريطانيا ما قرره رملاؤهم في فرنسا عن أن ميسمار دجال. وحينما أعلن جون اليستون الطبيب أنه لا يقرهم على ذلك وأنه يأخذ المسمرية بشيء من الخدية، أعلن أحد مشاهير الجراحين وهو السير بيامبين برودي في مشور أصدره أن ما ذكره جون اليستون «حرافة خداعة، وأنها لا تخرج عن كونها مرجأ حقيراً بين الإيمان والخوف».

ولكن كاترين كرو نشرت ترجمتها لكتاب «شاهدة برمعورست» عام ١٨٤٥ دون أن يصيبها أي أدى، أولاً لأنها سيدة، وثانياً باعتبارها كاتبة روائية، ولأخيراً الكتاب إعجاباً واهتماماً في فرنسا مثلاً لاقاه الكتاب الأصلي في ألمانيا وأدى إلى إقناع اسيز كرو بوجود اللامعقول، حيث كانت آنذاك من تلاميذ طبيب أدنبره المشهور جورج كومبي George Combe الذي يعتبر أشهر أنصار «المعراصة» وهي المذهب الذي يقول بأن شخصيه الإنسان يمكن أن تعرف وتكتشف من خلال قراءة صرصات مباشرة على السماع، وكان كومبي من أشد المشككين في وجود الأشباح وأمثالها من أمور كان لكل من كيرير وفرديكا أثرهما من تغيير رأيهما، وانتهاكاً لوعي فكرة أن «الروح بعلمة» تجاوزت الحدود «لأن القرن السابع عشر شهد تصوف سرعة التصديق على البحث عن الأسباب والتدقيق في الأمور، وكرد فعل طبيعي لذلك نتجته لقرن الثامن عشر إلى عكس ذلك تماماً، واستمر هذا الانحياز في القرن التاسع عشر عند استعلاء،

صاح هناك في حقيقة الأمر نوع جديد من الخرافة هو رفض مواضعه الخفائض التي
تعارض مع المعتقدات السائدة

لم يكن مسر كرو تصدق الأمور بسرعة إذا ما بدأت البحث عن الحقائق
فوجدت أنها تبدو ممتلئة مع النمط المطفي، وأغلب ما كتبه كان فيما بعد موضع
درسه أكثر نظامية وسفية قام بها علماء متخصصون في علم نفس حوار العادات،
ثم توثيق ذلك في السجلات العلمية مثل الرؤى أو الأحلام المستقبلية، ورؤى
سكرات الموت، والمواجهات عن الكوارث، والصور الذهنية لأحب، ولأموات،
ولأشباح المزعجة، والحركة النفسية والاستحواد كذلك ولحالت العلماء المعاصرين
مصرة على أن حوار العادات يمكن تفسيرها في ضوء الإصابة بالهستيريا أو اضطراب
الأعصاب، وتشير وهي على حق إلى أنهم «يظنون الحقائق التي تؤيد نظرياتهم
ويكتمون لا يظنون نظرياتهم على أساس الحقائق الواقعة». وتقول إن ما يحتاجه الآن
هو التحقيق «ولا أقصد بالتحقيق أن يكون بحثاً متسرعاً أو كشف العيوب أو
ملاحظات عاصفة عن حقيقة أو ظاهرة يرحب بها الباحث... بل تحقيق بطني متعقل
ومحسب اجتهد في قبل الاعتماد على الطبيعة ويتواضع ليسير ما تكشف عنه مهما كان
متعارضاً مع النظريات التي سبق الاقتناع بها، ويجب ألا يكون مهتماً للكرامة
الإنسانية» من الواضح هنا أنها تردد ملاحظة مشهورة ذكرها هري هكسلي عن
رجل العلم وهي «أن يجلس أمام الحقيقة كالطفل الصغير مستعداً لأن يتدرب
عن أي آراء سبق اقتناعه بها ويسير يتواضع ما تقوده إليه الطبيعة، وإلا فلن يتعلم
شيئاً» ومن الطريف أن يكتشف أن هكسلي كتب هذه العبارة عام ١٨٦٠ أي بعد
شهر كتاب «الحجاب النبيل من الطبيعة» وهو عقد من الزمان، وربما كان ما ذكره هكسلي يعتبر
صدى لما قاله مسر كرو

وتعترف مسر كرو بأن عرضها هو أن نجد رداً على تساؤلها عما إذا كان هناك دليل
بنت أن الإنسان قد يعيش بعد الموت وكانت أول خطوة سارت فيها نحو هذا
هدف ونعم، وفي بعد حيفاؤها المشهورون من أمثال مايرر Mayers ونيريل Tyrell هي
محاولة إبراز ما يمتلكه الإنسان من قوى لا يمكن تفسيرها بالعلم وحصلت عدة فصول
من كتبها بالأحلام ورؤى المستقبل وصممتها الكثير من التحارب والخرافات التي جمعتها
من أصدقاتها.

في ليلة من ليالي الخميس رأى صديق احمر في مسامحه أن أحد أصدفائه سقط من فوق
جواده واستلقى على الأرض والدعاء ترف من جروح كثيرة أصابت وجهه وروى الحلم في الصباح
ولأنه لم يكن يؤمن إطلاقاً بمثل هذه الظواهر لم يستطع أن يحكي ما بركه الحلم في ذهنه من طباعات
وظل متهاكاً حتى يوم السبت حيث لم يحتمل الكيان أكثر من ذلك فاتفق بصديق به في منزله فأخبره
ذلك الصديق أنه في المراتب لأنه سقط من فوق جواده في اليوم السابق وأن وجهه مبهى بالجروح

ولو أن مسر كرو قد عاشت لتصح عصواً في جمعية الحوث النصابية فلربما
خأت إلى الحصول على اعترافات موقعة من ذلك الصديق الذي أصيب في ذلك
الحادث ومن الشخص الذي رأى الحلم في صبيحة رؤيته. وكواحدة من البطائع في
هذا المجال لم نجد ضرورة لذلك وخلاف هذا العيب من الصعب أن نطر إلى
مبجحها على أنه منهج خاطيء.

وهي كغيرها ممن كتبوا عن حوارات العادات كانت مذهنة من تجارب التواحد،
خارج الجسم لأنها كانت تعتبر ذلك بحق كدليل ممكن على أن في الأسن شيئاً قد
يتواجد خارج الجسم، ومرة أخرى بذلت قصارى جهدها لتقدم حقائق قابلة للمحصر
والدراسة

مستر جون هولواي الراحل كان يعمل في بيت انجلترا وهو شقيق لسمات الذي يعمل نفس
الاسم ذكر عن نفسه أنه كان في فراشه يحوار زوجته في إحدى الليالي وكان أرقاً عرقاً قدر عمل
السوم، وثبت عيبه وأعمل تمكيره بطريقة مركرة على جسم جميل رآه بتلاً في سماء من خلال
النافذة، وفوجيء بأن وجد روحه قد تحررت من جسده وأصبح يحلف في الأمان للامعة، ولكنه توقف
عن ذلك من عوره خشية أن تصدم زوجته إذا ما اكتشفت أن جسده يبلو ميتاً بجوارف، وعاد
بصموية ليحل في جسده ووصف أن الرحوم كان رحوماً للظلام، وأنه أثناء تحرر روحه كان
يتردد بين النور والظلام مع تمكيره في روحه وفي الجسم المتلا، وقال إنه كان يحس شيئاً أن يتحب
أي شيء قد يؤدي إلى تكرار هذا الحادث لأن نتاجه كانت مدعاة للحزن

كانت المشكلة الرئيسية التي واجهت مسر كرو نتيجة لاعتمادها على السماع فقط
في عملها أنها تعترف إلى طريقة سيطرة للتمييز بين ما هو جدير بالتصديق وما هو غير
حقيقي وأحسن مثال على ذلك الحالة التي نقلها إليها هيريش جورج ستيلج Hein-
rich Jung Stilling، كان أمداً ممن يبحثون في حوارات العادات، وهو أستاذ
الاقتصاد في هامبورج ومن أنصار مذهب ميسار، والمفروض أنه ثقة في الموضوع
كانت القصة التي رواها حالة جيدة، وهي التي سميت فيما بعد «صورة ذهنية
بلاحياء» يقول جورج ستيلج إنه حدث وهو موجود في فيلادلفيا عام ١٧٤٠ أن

اتصلب روجه أحد الصاطبة بأحد المستشفين، وكاتب جرعة لعدم سماعها فأحسار روحها من مده طويته، فاستأذنها ذلك المستشف ودهت إلى حجرة أخرى وبعد فترة من الاضطراب كادت المرأة تفقد صبرها فيها دهت لتسمع وبطرت من ثقب الباب، فوجدت ذلك المستشف مستلقياً على مقعد كبير وكأنه نائم ولما عاد أحسها بأب روحها حتى وفي صحة جيدة، وأنه لم يستطع الكتابة لها لأسباب متعددة شرحها لها وقال في تلك اللحظة إن الكاش كان في مقهى في لندن وسيعود بعد فترة وجيزة

ولم يمض وقت طويل حتى عاد الكاش، وأكد ما ذكره ها المستشف من أسباب عدم الكتابة لها، وحينما قدمته روجته لذلك الرجل المستشف تعرف عليه الروح وذكر أنه رآه في لندن في انقضى ليلة سفره إلى أمريكا وطبقاً لما قاله الكاش أن ذلك الرجل تحدث معه وسأله عن أسباب عدم الكتابة لزوجته، ثم احتفى تماماً وسط الرحام.

هذه الحكاية عن قدرة المستشف أن يظهر نفسه على الحاسب الآخر من المحيط الاطلسي تعيد إلى الدهر حكايات مشابهة لها رواها سويدسرج عن حملة الرسائل من الموق وتكرر مثل هذه الحكاية في كتاب «الصور الذهبية للأحياء» الذي وضعه أعضاء جمعية البحوث النفسية خلال العقد الثامن من القرن الماضي، ولعل ما يبدو أنه هراء هنا هو أن الكاتب قد تحدث إليه وشرح له الأسباب التي منعت من الكتابة لزوجته وهناك مئات من الحالات التي سجلت عن الظهور في مكان آخر وبكى القليل جداً منها (أذكر واحدة فقط) تحكي أن الصورة الذهبية تكلمت فعلاً مع شخص آخر وحينما علم أن هذه الحوادث قد وقعت جديلاً في عام ١٧٤٠ وهي قصة التي ولد فيها جوج ستيلج، يصحح من الواضح لنا أن القصة - حتى لو كانت صحيحة - ربما تطورت مع تواتر الرواية ولم يكن لدى مسر كرو الوسيلة للتعرف عما إذا كانت الحكاية مؤكدة للنمط العام للصورة الذهبية للأحياء، وذلك لعدم وجود بحوث كافية آنذاك للتوصل إلى نمط واضح.

في ضوء هذه الصعوبة تعتبر مسر كرو قد أحست في عملها، وأن كتابها

(١) كتاب مسر بروجي تأليف «براهاندا يوغاناندا» Autobiography of a Yogi by Parahansa Yogananda فيه يصف المؤلف كيف أن اليوجي الزائر أخبره بأن له صديقاً في الطريق إليه، وحينما وصل الصديق ذكر كيف أن اليوجي ظهر له في الشارع وأشار إلى أن «براهاندا» كان في انتظاره في حجرته وفي نوبة اندي حدث فيه ذلك كان اليوجي مع «براهاندا» ومن وجهه نظر الباحث النفسي بعد هذه الحكاية مشكوك فيها ومختلفة لعدم وجود أي شيء آخر يشهد سوى قول المؤلف

استحق فعلاً تلك السمعة، فمعظم حديثها وتحميياتها أصبحت من الموضوعات الممتارة التي تناوها الباحثون المحدثون. مثال ذلك ما جاء في الفصل الثاني عن الشح المرعج عند الألمان والذي نشرح فيه حاله معاصرة لفئة فرنسية تسمى انجليك كوبيس، كانت في عام ١٨٤٦ تسح فتارات حريرة وأحدث مكرة الخيط هتر شدة، ويسدو أن انجليكا - التي كانت ائذاك في الرابعة عشرة من عمرها - قد تحولت إلى معطيس بشري ربما جدت ما يحوارها من أشياء أحدث تنطير في اهواء وتنصق لها والعرب أنه لم يكن بالهنة أي جاذبية للمعادن وأصبح واضحاً أن ذلك نوع من أسواع الكهربائية، لأنها كانت نسب روضة كهربية لم يلمسها، وكان الناس يتنعون عن لمسها إذا كانت واقفة فوق شيء اسفحي سميك. قدمت مسز كرو تفسيراً معقولاً لذلك، بأن ظاهرة الشح المرعج ربما كانت ظاهرة كهربائية في الطبيعة، وفي ذلك منظور مستنير واضح في الوقت الذي رعم فيه معظم الكتاب الدين تناولوا الموضوع أن الأشباح المرعجة هي أشباح حاكمة.

ومن جهة أخرى كان سرعة التصديق عند مسز كرو متجاوزاً ربما، فهي تروي حكاية عن باحث آخر من الأوائل هو جوزيف إيرموسر J. Ennemoser

يبدو أن فان هيلموت، بعد أن أكد إمكانية الإنسان أن يقضي على حياة الحيوان بمجرد نظرة (نظرة متعمدة مقصودة)، فإن روسو الواقعي قام بتجربة مماثلة حينما كان في الشرق، فعقل هذه الطريقة الكثير من الصمادع ولكن في تجربة أخرى مألوفة في ليون، أدرك حيوان أنه لن يستطيع التهرب من النظرة فثبت عليه دون حراك، وسقط من الاعياء، وظن أنه مات.

هذه من أمثلة الحكايات التي تثير الصحك سحرية منها، فمن يعلم أن حكايات القوة الابحائية للثعابين وغيرها من المخلوقات من حكايات العجائز، ومع ذلك فقد كرس الباحث دكتور فيريك اندراس فولجيس بعض من حياته لدراسة الايحاء عند الانسان والحيوان، وتوصل إلى بعض النتائج الهامة. فلاحظ وانتقد صور عشرات الحالات التي فاحت فيها الثعابين فرائسها من الأراب والمثرب ثم أكلتها. ولاحظ أيضاً معارك الحياة والموت بين الثعابين وصحيفة المنتظرة ويشتمل كتبه على صور فوتوغرافية لأفاعي الأماكوندا تناعت الفئران وثعان الأصله يستدرج أرباً مرباً. ولكن هناك صوراً أخرى للمعارك الماصلة بين أفعى الحرس ولسر. ويذكر أن معركة بدأ تشيب العيون شيئاً متبادلاً تنتهي عادة بانصار الطائر وهناك صور أخرى بين انصار الصمدع على أفعى الكوسرا. ويصف فولجيسي معركة بين صئب

وحه كل منهما الآخر نحو عشر دقائق محدق كل منهما في عبي الآخر وتركيز شديد (وهي كما تذكر مسر كرو نظرة متعمده) وبعدها أكل أحدهما الآخر الذي ظل ثابت دون حراك وقد تكون حكايات هيلموت عن قتل الحيوانات بالنظرة مداعفاً فيها وبكها كانت مبنية على ملاحظات واقعية

تؤيد الكثير من المؤلفات الخاصة بالتويم المعاطبي رأي مسر كرو عن لاستخدام لإرادي لعص القوي العقلية، ففي عام ١٨٨٥ رافقت لعمام النفس لمرسي بير حاييت التحارب التي يجربها طبيب يدعى حيرت الذي كان باستطاعته أن يسم إحدى مرضاه واسمها ليوي بمجرد تركيز تفكيره فيها، وأن يدعوها من حيث الآخر من غير نفس الطريقة وخلال العقد العاشر من القرن التاسع عشر استطاع دكتور بول جور Paul Jour أن يسيطر على إرادة مرضاه ويؤمهم معاطبياً فيحتمهم يطيعون أوامر عقده وتكررت نفس التجربة خلال العشرينات على يد العالم الروسي فاسيليف I. I. Vasiliev الذي وصف تلك التحارب في كتاب بعنوان «تحارب في لتأثير عن السعد» ولم يدع مجالاً للشك في أن هناك نوعاً من القدرة العقلية يمكن ممارستها عن بعد.

ولعل مما أدهش مسر كرو أن التأثير الواضح للقوى الشربة كان أشد مما يمكن تصوره، فهو استطاع الناس أن يعادروا أجسامهم ويشاهدوا ما يحدث في مكان آخر، وإذا كان الخاضع للتويم المعاطبي قادراً على وصف الأشياء التي تحدث في الشارع، ورد كنت الفتاة قادرة على أن تتحول إلى معاطب شري، وإذا استطاع رجل أن يحلم باستقل، إذن فإن العلوم المادية لا بد وأن تكون حاطنة في نظرتها لطافات الأسان على أنها محدودة. وحيثما ترجمت مسر كرو كتاب شاهدة بريغورست اتضح لها أن هناك شيئاً غريباً يحدث حتى لو كان كبير كداساً فهي ليست تقارب مفعولة عن حكايات لأشباح والأطيف كما في دراسة الروحانيات التي قام بها جورج ستيلج، بل بها معيومات مباشرة يقدمها رجل ليست له مصلحة وليس لديه سب معين لقبول كداساً أو بجدع نفسه. يصف كبير كما تذكر مسر كرو في كتابها «الحجاب البلي من لطبعه» كيف أن فردريكا استيعظت يوماً تصبح «يا إلهي» وكيف أن طبيباً كان

(١) Feray Andras Volgyesi: *Menchen and Tierhypnose* ١٩٦٦ بح عنوان Hypnosies of Man and Animals London, 1966

يجلس مجوار حثة أنبها على بعد أميال منها وسمع صاحتها، فاندفع إلى الحجرية يرى ما يد كات الروح قد عادت إلى الحسد تلك الحادثة ليست مسألة أرواح، بل إنها نوع من القوة المصولية عند فردريكها نفسها وإذا ما كانت مثل هذه لصوى تندو خارجة عن نطاق سيطرة الشخص الذي يمارسها، فإن مسر كرو استطاعت أن ترى عدم وجود أي مغلل أرضي لسب حدوث ذلك نصفه متكرره هكذا هذا نسب فإن الميكتوريين المتصلين وحدوا أن كتابها مدهش وكان الرواد منهم ينوعلون في قنارات حديدية ويمدون السكك الحديدية إلى أماكن بعيدة من الأرض، وكانت صاعتهم تدر ثروات جديدة، وكانت علومهم تكشف عن أسرار الكون ولو أن مسر كرو كانت صادقة، فإن علما حديداً هو علم حوارق الطبيعة أو حوارق العادات أصبح يصور لنا أن الانسان نفسه مخلوق أعجب بما كما نظر لم يكن كتبها مجرد مجموعة من الحكايات المربلة التي يقشع لها البدن، بل كان عملاً تفؤلياً عن القدرات البشرية.

ولسوء الحظ لم تكن الكاتبة الروائية الميكتورية هي الشخصية القادرة على قنار لعلماء بتجاهلهم لموضوع هام، بل أن الميكتوريين أنفسهم كانوا يجهدون لتحقيق حريتهم الفكرية، وطلت أحكام الاعداء تعد في السحرة ابتداء من لعقد الأخير من القرن السابع عشر حتى نهاية العقد السادس من القرن الثامن عشر، وازعمت الكنيسة عالم الطبيعة بوفون Buffon أن يعلن سحب عباراته التي قلها عن أن الأرض كانت جزءاً من الشمس وأن المهرجات بقايا للأسلاف البدائيين بدمجها في الخلية وفي عام ١٨٥٠ كان المفكرون قد صافقوا درعاً سلطنة الكنيسة التي تمارسها منذ قرون عديدة، وكانوا يتطلعون لأن يشهدوا سقوط حماة الاكثريكية، ولذلك فهي كل مرة كان يجرو فيها أي شخص أن يتحدى السلطنة الفكرية للكنيسة كان ذلك يجد صدى من الترحيب يتردد في كل أنحاء أوروبا ففي عام ١٨٣٠ بعد سبعين من ظهور كتاب الخبث اللبي من الطبيعة أصدر عالم اللاهوت الألماني لودفيج فيورباخ Ludwig Feuerbach كتاباً بعنوان «أفكار عن الموت والخلود» رفض فيه فكرة وجود إله شخصي، وسحر من الراعين في الخلود على أنه نوع من الأبية نعمة، ونقد صطهده الشريعة وأرغم على ترك منصبه في الجامعة وبعد ذلك عشر سنوات نشر فيورباخ كتاباً ثورياً آخر بعنوان «جوهر المسحية» نزل كالقنلة وأرهب حتى أحرار الممكرين، أعلن فيه أن الإله والخلود ما هي إلا أوهام خطيره، وإن على الانسان أن

يعلم كيف بعث في الحضر بدلاً من أن يصبح وقته في أحلام عن الحية التي ليس لها وجود (وكان لكتابات تأثير كبير على كارل ماركس الذي وصف الدين بأنه أفيون الشعوب) وفي رواية هيريك الأحضر التي كتبها الشاعر السويسري جوتفريد كيلر Gottfried Keller وصف فيورباخ على أنه «ساحر في صورة طائر معرد يجرح الإله من ثوب الألف». وفي نفس الكتاب أيضاً تصوير لمدرس فقد وطيفه لأنه ملحد، وسافر في كل أنحاء ألمانيا يصبح قائلاً «أليس من دواعي السرور أن يكون الإنسان حياً؟ وأن يظل دائماً يقهر بأنه متحرر من أغلال الإله».

ذلك هو النسب في أن العلماء والفلاسفة لم يكونوا مستعدين للاهتمام براهين حورق العادات، إذ كان يعلب عليهم السرور أن يروا الكنيسة تعمص أعينها، ولم يكن يديهم اليد في أن يتركوا الدين يتسلل مرة أخرى من الباب الخلفي لذلك حين بدأت كثرة كرو كتابها بأنها تريد أن تثبت حقيقة وجود روح حالدة للإنسان دون معطهم لم يقرأوا منه كلمة بعد ذلك وإن كانت مسر كرو بقصد أو بدون قصد قد ساعدت العدو وأراحته في نفس الوقت.

والحقيقة أنه في السنة التي ظهر فيها كتاب الحجاب الليلي من الطبيعة، كان ذلك العدو باددات يستعد للدخول في مواجهة عنيفة.

بالمعص الدقيق المثالي يرى أن أهم ما في كتاب الحجاب الليلي من الطبيعة هي صفحات المتعلقة بسكي الأرواح في منزل يملكه أحد رجال الصناعة ويدعى حوشوا بروكتور تقدم لنا مسر كرو في تلك الصفحات قصة موثقة وثيقاً دقيقاً ربما كانت هي مدفع لأن قام باحثو جمعية البحوث المسائية بتوجيهون بالاهتمام إلى هذا الكتاب على أنه مادة حقيقية لبحث المسائي وهي تقدم للقصة بحطاب من حوشوا بروكتور وجهه إليها يشهد فيه بصحة الحدث في التقرير التالي

كان ذلك البيت المسكون بالأرواح طاحونة قديمة ميث عام ١٨٠٠ أي منذ أربعين عاماً فقط، وأصبح حط السكة الحديدية الذي يصل بين بيوكاس وشيلر يمر منه فوق حصر مرتفع وفي يوسه سنة ١٨٤٠ شاعت الأخبار في الخارج بأن أسرة بروكتور التي كانت من الكويكرز يتعرضون لإفلاق بسبب صوصاء نطق عديهم، وهم رأوا أشياء غير سارة سمع الدكتور دروري الخراج الممارس في مدينة ساندرا لاند - لخير من المررعين المحليين، وكان شديد التشكك في مثل هذه الأشياء، ولكن

حكايات الشح المرح الذي ظهر في أيومرث في مقر كبسة صمويل ويسلي حر
 مؤسس الكنيسة الإصلاحية كانت قد شاعت حيث كان هناك شح سمي حيمري
 المحور يش ويصبح بصوت رنان حول مقر إقامة القسيس لمدة شهرين عام ١٧١٦،
 وكنت تسمع أصوات أنفاس ثقيلة، ورجاح يكسر ووقع أقدام وأصوات أخرى غير
 مميزة. ولاحظ القسيس صمويل أن هذه الاضطرابات لها صلة معينة بآسته هيني
 البالغة من العمر تسعة عشر عاماً، فكانت ترتعش أثناء نومها قبل بدء الأصوات
 وبحث العلامة حوريف بريستي الحالة، وقرر أنها خدعة. وكان الدكتور دروري يميل
 إلى تأييد هذا الرأي، لذلك حينما سمع سكبي الأرواح في طاحونة ويلحتون كتب إلى
 صاحب البيت الدكتور حوشوا بروكتور يعرض عليه أن يقوم بمحاولة اكتشاف السر
 (أي كشف الخدعة)، فرد عليه المستر بروكتور بأدب حم يقول بأن أسرته سوف
 تذهب إلى ريادة في نفس الموعد الذي حددته وأن أحد العاملين عنده سيكون في
 خدمته أثناء عيادته، ومع ذلك لو أراد أن يحضر ليقم معه ليلة فإنه يرحب به.

قرر الدكتور دروري أن يصحب معه أحد الأصدقاء، عن سبيل التشجيع
 المعوي له، واحد مجموعة مسدسات قاصداً أن يسقط أحدها على الأرض بالصدفة
 كي يتراجع أي شخص يكون مارحاً ولكنه حينما وصل وحده أن حوشوا بروكتور
 عاد وحده من الاحارة، وكان بروكتور رجلاً صادقاً بحيث أن دكتور دروري قرر أن
 الأمر غير مقصود للايقاع به.

أدى ما حدث لادوارد دروري في تلك الليلة إلى اقتناعه بوجود حوار في
 الطبيعة، وامتلاً بحوف جعله يفقد السمع في إحدى أذنيه وأصبح يعاني من تدهور في
 صحته آنذاك. ويبدو أنه كان مهتماً للدرجة لم يجعله يروي ما حدث بصورة صريحة
 وبكلمة وعد بأن يكتب لمستر بروكتور خطاً بكل الحكاية، وكتب الخطاب فعلاً في ١٣
 يولييه ١٨٤٠ بعد مضي عشرة أيام من الليلة التي قصاها في ذلك البيت المسكون.

وصل مع صديقه د هادسون واستقلاهما المستر بروكتور بالترحاب وطاف بهما
 في أنحاء المنزل وفي الساعة الحادية عشرة قنع دكتور دروري وصديقه هادسون في
 طابق الثالث خارج الحجرة المسكونة (رغم قوله إن المتوقع أن يحكي عن أي صوصاء
 قد يسمعون بطريقة حكيمه) فبدوا أنه قرر أن الصمت هو أفضل جزء من الشجاعة
 وبعد ساعة سمعا صوصاء مثيرة وكما لو كان هناك عدد من الناس يدقون بأقدامهم

الخافية، ثم ظهر صوت دق شديد كما لو أن شخصاً يقرع برفعه، ثم سمعنا بعد ذلك
سعالاً حشاً داخل الحجرة المسكونة ويسلو أسهما قرراً ألا يحش الأمر، ثم سمعنا
جميعاً كأن شخصاً يصعد الدرج

وفي الساعة الواحدة إلا ربعاً شعر دكتور دروري بمرودة شديدة فقال إنه سوف
يذهب إلى الفراش، أما المستر هادسون فقرر أن يبقى هناك حتى الصبح ونظر دروري
في ساعته ليتعرف على الوقت، ثم نظر إلى أعلى فرأى مصراع الدولاب يفتح ويظهر
منه شكل أنثى مكسوة ثوب رمادي، رأسها منحنى إلى أسفل وتضغط على صدرها
بوحدي يديها كما لو كانت تتألم وحرحت منجهة نحوه. كان المستر هادسون يعط في
سوم عميق، ولكنه استيقظ على صيحة الصرخ التي صدرت من دروري، واندفع
دروري نحو الشخص ولكن بدلاً من أن أمسك به سقطت فوق صديقي وفقدت
الوعي، ولم أدرك شيئاً لمدة ثلاث ساعات وبعد ذلك علمت أنهم مخلوق مددك
الوقت إلى أسفل وأما أعادي من الخوف والرعب الشديد

لم يقتصر ما بشرته مسر كرو على المراسلات الكاملة بين دكتور دروري وجوشوا
بروكتور، بل نشرت أيضاً حكاية عن مؤرخ محلي، ورواية أخرى بطلاً عن صاحب
جريدة محلية، وأوصافاً من أربعة أشخاص آخرين ممن رأوا ذلك الشبح ويسدوي
حقيقة الأمر أن هناك أكثر من شبح واحد، فقد ظهر ابصاراً رجل في ثياب الكهوت
متسللاً في إحدى حشرات الطائر على ارتفاع بضعة أقدام من سطح الأرض
وأوصاف المؤرخ المحلي إلى حكايته التي رواها معلومة عن أن المستر بروكتور اكتشف
أخيراً كتاباً قديماً جاء فيه أن سكى الأرواح هذه قد حدثت في منزل آخر أقدم من
هذا المنزل كان قد بني على نفس البقعة قبل ذلك بمائتي عام ونحتم مسر كرو حكايته
بالإشارة إلى أن المستر بروكتور قرر منذ ذلك الوقت أن يترك المنزل ويعود إلى شقة
قديمة ليمارس عمله العادي فيها

عما يجعل لهذه الحكاية أهمية خاصة أنها تشبه من نواح كثيرة حكاية عن سكى
لأرواح حدثت بعد ذلك بشأني سنوات في هاندرفيل سيويورك مما يدل على روح
حركة الروحانية في القرن التاسع عشر ففي ويلسجتون، وكذلك في هاندرفيل كان
هناك مزج بين ظاهرة الشبح المزعج ونوعية سكى الأرواح التي كانت أكثر شيوعاً وهو
أن الدكتور دروري قد أظهر نفس التماسك والمصولة كما ظهر على مسر مدرج

فوكس في هايدرفيل فربما كان له فصل السق في بدء الحركة الروحية في «سجل» فيها
عشر سنوات

أما حكاية هايدرفيل فقد بدأت في ٣١ مارس سنة ١٨٤٨ في بيت له دعامات
خشبية يسكنه مزارع ينتمي للمذهب الاصلاحى واسمه جيمس فوكس مع زوجته
واسميه مارحريتا البالغة من العمر ١٤ سنة وكاتي البالغة من العمر ١٢ سنة
وهايدرفيل هذه مدينة صغيرة غير بعيدة من روشستر في ولاية نيويورك كان جيمس
فوكس قد انتقل إلى ذلك المنزل في ديسمبر السابق، وكان القاطن السابق فيه ميشيل
ويكمان قد تركه بسبب مضايقات الأصوات العالية المتعددة التي تتردد فيه

حدثت أسرة فوكس مستيظة يوم آخر ديسمبر سنة ١٨٤٨ بسبب صوص، وقع
أقدام، ولكن نظراً لأن الوقت كان خلال الفصل العاصف بالرياح قررت لأسرة أن
تنام مبكراً كي تعوض القلق الذي يحدث وتحويل مستر فوكس في أنحاء المنزل
يفحص الاقفال ومصاريع النوافذ، ولاحظت الطفلتان أن هناك صدى يسمع عند هر
مصاريع النوافذ مردداً الصوت.

كانت الأسرة كلها تنام في فراشين بحجرة واحدة. وقبل أن يأتي الوالد إلى
فراشها مباشرة بدأ وقع الأقدام يسمع مرة أخرى، فقالت كاتي هائلة يا صاحب
الأقدام المقلقة افعل مثلياً افعل، وبدأت تطفق بأصابعها، ولشدة دهشة العتاتين أخذ
دق الأقدام يقلد طفطقة الأصابع فقاطعت مرجريت وقع الأقدام وقالت «افعل كما
افعل»، وأخذت تصفق، فقلدتها الأصوات هي الأخرى. وكان اليوم التالي أول
أربيل فظنوا أنها فكاهة تلمع عليهم وكتب مستر فوكس في روايتها تقول: «فكرت
بعد ذلك أن أقوم باختبار الأمر حبيماً لا يتوحد أحد بالمنزل، وطلبت من الصوت أن
يقلد أصوات طفلي طبقاً لسنّها بالترتيب، وفي الحال سمعت أصوات كل طفل من
طفلي في مراحل أعمارهما المختلفة تتردد على فترات يسود أثناءها صمت يكفي لأن
اتبين وأدرك أنها صحيحة حتى وصلت إلى الصوت السابع يتردد ثلاث مرات وتبين
أنه يمثل صوت طفلي الصغير الراحل

حينئذ علم عليها الخوف، وكان واضحاً أن الأمر لم يكن هزلاً، وسألت مستر
فوكس عما إذا كان من يردد تلك الأصوات إنساناً، فلم نجد إجابته، ثم قالت: «ولو
أن وعن الصوت روح فلتنطق دقتين» تبع ذلك دقتان عاصمتان بلغت درجة جعلت

الممرل كله يهتر، ونساءلت عما إذا كانت الروح مجروحة، فاهتر الممرل بأصوات عالية مرة أخرى وكشفت الأسئلة الأخرى التي رددتها أن قارع الأصوات كان رجلاً مات في الحادية والثلاثين من عمره مقتولاً في هذا الممرل، وكانت له روحه وخمسة أطفال، فسألته مسر فوكس عما إذا كان لدى الروح أي اعراض على أن تحتر جيرانها فأجاب الصوت: «لا»

دعت أسرة فوكس نحو أربعة عشر شخصاً من الجيران للمشاهدة، فأكد أحد هؤلاء الجيران واسمه وليام ديوسلر لزوجته أن هذا أمر مصحك وأن ليس هناك أي أسرار وراء تلك الأصوات ولكنه حينما أتى إلى الجلسة وجد بعض الجيران المحصرين في حالة عصية مجتمين عن دخول المحبرة، ولكن ديوسلر دخل بلا اكتراث وجلس على الفراش، ودهش حينما سمع إجابات على أسئلة مسر فوكس في شكل أصوات دقات مزعجة جعلت الفراش يهتر (أصر بعض الكتاب فيما بعد على أن الأطفال هم الذين كانوا يعملون تلك الأصوات بطفقة معاصل أصابعهم، ولكن من الصعب أن نتصور كيف تؤدي طفقة الأصابع إلى اهترار الممرل واهترار الفراش)

تولى ديوسلر بعد ذلك إلقاء الأسئلة على الروح، وكان الرد عليه بالدق، فكون من هذه الردود فكرة على أن هذا الكيان رحل قتل في الممرل، كان نائماً متجولاً اسمه تشارلز رورما، وأنه هوجم للاستيلاء على ٥٠٠ جنيه كان يحملها معه. وقعت حادثة القتل قبل ذلك الوقت نحو خمسة أعوام ومركبها هو المستر بيل الذي كان يقطن الممرل آنذاك وأكدت حادثة تدعى لوكريشيا بوليفر فيما بعد أن ذلك النائع قصي البنية في الممرل، وأن صاحب البيت سمع لها في تلك الليلة أن تبيت في منزلها وحينما عادت في اليوم التالي كان النائع المتحول قد اختفى.

بمجرد أن شاع الخبر وسط الجماعة جاء مئات من الناس للممرل، وفي الثاني من أبريل علم ديوسلر من القليل أن جثته قد دفنت في داخل قبر، فكانت فرصة للتأكد من الحادث، وأحد جون فوكس وبعض جيرانه مؤومهم وانحسروا إلى القبر الذي كانت أرضيته من التراب، وبدأوا الحفر، وعلى عمق ثلاثة أقدام وصلوا إلى الماء، فأحسوا المحاولة لكن في شهر يوليو حينما انخفض مستوى الماء بدأوا الحفر ثانية حتى عمق خمسة أقدام فوجدوا لوح خشب ثقبلاً تحت ذلك المكان في الجير الحي، وعثروا على بعض الشعر وقليل من العظام.

حيثما سمع مستر بيل أن الشبح اتهمه بالقتل، أنكر ذلك وقدم شهادة بحسن
السير والسلوك من جاره الحديد في ليون بيويورك، وكانت الروح قد أكدت أن القاتل
لن يمثل أبداً أمام القضاء.

وقال الكاتب المتشكك تراثك بادمور في كتابه «الروحانية الحديثة» Modern
Spiritualis إنه لم يعثر على أي دليل واضح على حادثة القتل المزعومة ولا حتى عن
وجود رجل يفترض أنه قتل. كتب ذلك في عام ١٩٠٢، وبعد سنتين أي في عام
١٩٠٤ سقط حائط في ذلك القبر بالمزل، فاكشف وجود حائط آخر حله، وبالحفر
فيما بين الحائطين اكتشف وجود هيكل عظمي وصدوق معدني مما كان يحملها الباعة
المتجولون عادة. وتبين كما لو أن أحداً قد أخرج الحثة من قبرها الأصلي وأعاد دسها
بجوار الحائط ثم بنى حائطاً آخر للتمويه على من يفتش المكان.

حينئذ تكونت لجنة لتجميع أقوال الشهود، ولم يكن جميع المحققين على قناع
أن الصوت صادر من شيء غارق للعادة، ولكن لم يتهم أحد أسرة هوكس بأهم هم
الدين يعملون تلك الأصوات. ذلك أن أسرة تعيش بأكملها في حجرة واحدة
يستحيل أن يسبب أي من الآباء أو الأبناء إحداث مثل تلك الأصوات

لاحظ الجميع أن الأصوات لا تحدث إلا إذا كان الأطفال بالمزل، وبخاصة
كاتي، وحامت لجنة من أهالي وشستر كانت تشك في الأمر للتحقيق فيه، وأكدوا جميعاً
أن مارجريت لم تكن مسئولة عما يحدث، وجاءت لجنة ثانية وثالثة وقررت الجميع نفس
الشيء. وحلوا ملابس الأطفال تحسباً لحملهم لبعض الأجهزة الميكانيكية التي تحدث
أصواتاً فلم يعثر على شيء، وطلب منها أن يقفا فوق الوسادات مقيدين لأيدي
والأرجل، ولكن الأصوات والدقات ظلت تتردد.

وافصل الأطفال، فذهبت كاتي لتعيش مع أختها لينا في روشستر وذهبت
مارجريت إلى بيت شقيقها في أوبرين، وتبعتهما الأشباح فكانت الدقات تسمع، وشعر
البنس أنفسهم بوجود أشياء غير مرئية تلمسهم ففي منزل لينا كان أحد الخيرون
ويسمى كالفن يسحر من فكرة الأرواح، ولكن الأرواح أحدثت تعاكسه بلفاء بعض
الأشياء عليه، ورفع غطاء رأس مسر هوكس وحمل المشط ورفع شعرها به وبسبب كان
أهل المنزل يركعون للدعاء يحسون بوخز دبائيس. وحدثت أشياء مشابهة في منزل
دودس. كان من الواضح أن السامع المتجول المقتول لم يكن مسئولاً عن كل ذلك فقد

عاد مره أخرى إلى مرل هابلزفيل يردد صجة على شكل حشرجة، ويصدر أصواتاً مجعمة، فيها صوت جسم يحرق على الأرض وابتصر شعر مسر فوكس من الرعب وكانت هناك روح تتصل مع كاتي أخبرتها بأنها روح أحد الأقارب ويسمى جاكوب سميث، واكتشفت الأخت لينا أنها قادرة هي الأخرى على أن تتصل مع الأرواح، وبدأت تحمل الرسائل، وهناك فتاة عمرها ستة عشر عاماً تسمى هاربت بيتي رارت مرل أوبرن وشاهدت الأصوات الدفاعة وعادت إلى مرلها الذي يعد نحو عشرين ميلاً فوجدت الأصوات قد تبعتها إلى هناك.

انتقلت الأسرة إلى روشستر، ولكن ظهور الأرواح استمر، وكانت أصوات الدقات أحياناً عالية لدرجة تجعلها تسمع على بعد أميال ويبدو أن الأشباح المرعبة قد توت الأمر بياقة عن الروح المجروحة الأصلية، فهي يوم من الأيام أحد أحد الروار، ويسمى إسحاق بوست، يستجوب الروح التي كانت ترق بصوت فرقة عاصفة، وباستخدام شيمرة أبجدية أملت الروح رسالة هذا بصها: «أصدقائي يجب أن تعلموا الحقيقة للعالم: فإن هذه بداية عهد حديد وعلبكم ألا تستمروا هكذا مكربين للحقيقة»، ومد ذلك الوقت بدأت سلسلة من ظهور الأرواح طفقاً لما ذكر عن الروحانية^(١). كانت الموائد تتحرك وتسمع أصوات دقات بالأقدام، وآلات موسيقية تعرف دون أن تكون هناك أصابع مرئية، وأشياء تتحرك حول الحجرة كانت الأرواح تصر على أن تظهر في الطلام بما أثار الشك حولها، ولكن بعض المعتقدين الآخرين في الأرواح قرروا أن ذلك هو الوقت المناسب للاعتراف بقضية الروح، وإعلان ذلك لكل العالم، وفي ١٤ نوفمبر سنة ١٨٤٩ انعقد الاجتماع الروحاني الأول بقاعة كوريتيا في روشستر.

ويتضمن التقرير الذي كتبه ولجنتون ميل عن سكنى الأرواح ما قاله المؤرخ المحلي ريتشاردسون M A Richardson.

هو أن استخرجنا النتائج من الحالات المتعددة التي رويت عن الريارات الآتية من العالم عبر المرئي والتي شاعت أخيراً، فقد يؤدي بنا ذلك إلى أن نتصور أن أيام وسطاء حوارق العادات على وشك البداية وأن الأشباح والعيال سيهودون ليبارسوا تخويعهم للشر

(١) حيث تذكر الروحانية فانقصود بها هو المذهب الذي يحمل هذا الاسم أما الروحانيات فتعني بساحة الإيمان بالأرواح أو عقيدة البقاء بعد الموت

وفي عام ١٨٤٠ كانت هناك ملاحظة تصورية هامة، هي وإن كانت ترجع إلى تقدم المواصلات وزيادة عدد الصحف، فإنه لم يد وأصحاء زيادة في سنة ظهور الأشباح خلال تلك الفترة وإذا ما استعدنا الذكرى لنرى لنا وأنه أمر شاذ، كما لو أن الأرواح فردت أن الوقت قد حان لنظهر نفسها، طعناً كان هناك مثل هذا الظهور للأشباح لدى قرون عديدة، وقد ألف الدكتور جون لي John Lee المتبحر الذي يرجع إلى العصر الميكثوري كتاباً كبيراً سجل فيه اتصالاته مع الأرواح عن طريق الوسيط الذي يدعى إدوارد كيلي. فلهذه الحالات المماثلة للشبح المرعج الذي ظهر في أنورث، وذلك الذي ظهر في سثوكويل (ووصفتها مسر كرو) وشبح كوك لين، والطبل ثيدروث لسراي^(١) كلها قد أثارت الدهشة على نطاق واسع، وأصبحت موضوعاً لبشرات والكتيبات المعاصرة. وفي سنة ١٨٤٧ أمكن وضع أندرو حاكسون دافيسر صانع الأحذية تحت تأثير الإيجاء فكتب لنا كتاباً مذهناً مليئاً بالمعارف تحت عنوان «مادى الطبيعة» أثر المشاعر، وفيه يتساءل دافيسر بأن الحقيقة عن الأرواح سوف يأتي عصرها عما قريب في شكل استعراض حي، وسوف يمتلئ العالم بهجة بدحور ذلك العصر حينما تمنح داخلية الإنسان، وبعد أربع سنوات من ظهور الكتاب انتشر مذهب الروحانية في أنحاء أمريكا. وأحد يزحف على أوروبا

ومهما كان السبب فإن الاختين فوكس قد بدأتا هذه الانطلاقة مذهب الروحانية، واكتشف الناس أن كل ما يتطله الأمر هو أن يجلسوا في حجرة مظلمة، ويفصل أن يكون هناك وسيط حاصر من الأشخاص الذين سبق لهم الاتصال بالأرواح، فتظهر الأرواح فوراً دون حاجة لأي جهاز سوى بعض الآلات الموسيقية. وفي منطقة روشستر وحدها ظهر أكثر من مائة وسيط عام ١٨٥٠ وفي ناهالو نيويورك حصر لاهوان دافيسورت واحبتهما جلسة كانت فيها الاختان فوكس ليعرضنهم الأرواح، فقرروا أن يقوموا ثلاثتهم بالمحاولة، وفي الواقع حدثت أصوات وصحة كسرة في مرلهم عام ١٨٤٦ أي قبل ظهور شبح هايدرييل ستين، فحينما جلس الاخوة ايرا وويليام والبرايت دافيسورت في حجرة مظلمة واصبعن أيديهم على المائدة، بدأت المائدة تهتز وسمعت أصوات إيماعات في كل أنحاء الحجرة وحينما أمسك اير بانعلم في يده بدأ العلم يكتب تلقائياً. وبعد ذلك بليال قليلة، وفي حضور شهود

(١) المرجع إلى التفاصيل عن ذلك انظر كتابي Poltergeist الشبح المزيج (١٩٨١).

كثيرين رؤى الأطفال الثلاثة يرتفعون في الهواء وفي جلساتهم الخامسة تنهى ايرا
بوسطه الايقاعات أمراً بأن يطلو طلعه من مدسه نحو ركن العرفة وفي لحظة
لاصحر أحد المسدس من يده وشوهد شبح إنسان بحمله على صوة بطارية واحتمى
بعد لحظة، وسقط المسدس على الأرض وقدم الرجل نفسه عن طريق شيفرة
الايقاعات على أنه جون كيج - كان أول مثال للمراقب (أو رئيس المراسم) الذي
يعمل كموصل بين البسيط والأرواح وحلت روح جون كيج في الأخوة دافيسورت
وأصبح ينكم من خلال شفاههم، وأصبح الأخوة الثلاثة دافيسورت أشهر بكثير من
الأختين فوكس.

وفي دوفر بولاية أوهايو اكتشف مزارع ثري يدعى جوبانان كوبر أن له قدرات
شخصية كوسيط، فكان يجلس في حجرة مظلمة ويذهب في عشية أو عيوية، وأخبرته
الأرواح التي تكلمت من خلاله بأن أساءه الثمانية جميعهم وسطاء موهوبون وأمروه
بأن يبي مرلاً حصاً من الألواح الخشبية وطوله وعرضه ١٦ قدماً وعرضه ١٢ قدماً
لاستخدامه فقط في الأنشطة الروحانية ووصفت به العديد من الآلات الموسيقية من
طبول ودفوف وأوركورديونات وناجور وهارب وحيثار وغيرها. وكانت الإضاءة في تلك
الحجرة خافتة سمعت من شرائط الورق المبلة والمطلحة بالموسفور وحسباً بأحد
البسطاء أماكنهم أمام المائدة الصغيرة، وكانوا في العادة كوبر وابنه ناحوم البائع من
العمر ثمانية عشر عاماً، يبدأ كوبر في عرف الكهان، فتسارع الأرواح بالانضمام إلى
لعراف مما يعطي تأثير أوركسترا كاملاً وتحدث المشاهدون عن استماعهم لحقوة إلهاد
ثقيلة تنصم إلى الموسيقى أحياناً كان الايقاع شديد التأثير يسمع على بعد أميال، وقد
يسمع بعد ذلك صوت أصية دبية باستخدام الترومبيت أو المرمار الناطق الذي تظهر
أصواته وتنتشر في الهواء، وتحرك يد روحانية تطوف كل أنحاء العرفة تصافح
الحاصرين وينمسههم وأتى الناس من كل الأنحاء لمشاهدة هذه الأعاجيب، وتركزت
الأرواح عند كل شخص رآها انطباعاً خاصاً لأنها كانت تخبر بمعلومات عن العراء
الذين لا يعرفهم أحد من المتفرجين المحليين.

كانت القدرة على الإدلاء بمعلومات من كل الأنواع في حقيقة الأمر هي أكثر
الأمور افساداً بالأرواح فهي بوسطن قامت روحه أحد رؤساء تحرير الصحف هي
المسرحية W R Hayden بمفاجأة زوجة عالم الرياضيات الانجليزى أوغسطس

دي مورخان بأن أبلغتها رسائل من أصدقاء راحلين لم تكن مسر هابدين نعلم عنهم شيئاً من قبل، وكانت النتيجة أن مسر مورخان دعته إلى احتار حيث عقدت لها جلسات احتار في منزل المستر هابدين ولش كانت الصحف الاستلبريه تساولت الموضوع سحرية وتهكم شديد حيث كانت تلك الصحف تعتقد في أن هذه البدعة الأمريكية الجديدة تسي على العرش والحداع (الذي كان من الصعب على لبريطانيين استلاعه)، إلا أنها أقنعت كل من شاهدها بالفعل، وحيث شاهدها عدد كبير من أساء، بطقة المتوسطة الذين كانوا يسلون في لياليهم بمشاهدة محرك المصدة كحرف من قصاء أمبياتهم مروا لذلك حيثما وحدوا فيها شيئاً من الخفيفة «وكنت في ذلك الوقت واحد من الصحفيين يقول «كنت تدعى في تلك الأيام إلى «اشاي وانصدة المتحركة» كنوع من المفاضة الجديدة، كما هزم مع العائنة، مع الاهترارات الجسوة لقطع الأثاث المستديرة، حتى الملكة فيكتوريا والأمير ألبرت أيضاً شهدا التجربة في أوسرن وتحركت المائدة بصورة واضحة جداً حتى أن الملكة ساورها الشك بأن في الأمر خدعة، ووجدت أن الاجابة على هذا الشك لا بد تكمن في شكل من أشكال الكهربائية أو المغناطيسية

كان الفرنسيون أكثر استعداداً لتسي هذا النوع من التسلية، فقد ظنوا المدى نصف قرن يعيشون في جدل مستمر حول مسمار الادي كان يدعوا بأن الشفاء والاستشفاء وأمثالها من الأمور العامة ترجع إلى ما يسمى «المغناطيسية الحيوية» وكانوا قد اعتادوا مثل تلك الظواهر العربية وفي عام ١٨٥١ أصبح تحريك المائدة هو أحر المدهشات، وسرعان ما أحدثت الأرواح انقلاباً قوي التأثير كان هناك رجل من رجان التعليم في الخمسين من عمره يدعى ديبيرار هيبولايت ليون ريفيل اشتهر فيما بعد باسم آلان كاردريك Allan Kardec، وكان من تلاميذ المربي الشهير ستالوري Pestalozzi فتح ريفيل مدرسة خاصة وهو في الرابعة والعشرين من عمره، وألف كتاباً مشهورة بها الحساب والقواعد اللغوية، والمجاء، وكيف نحسب في رأسك، والأصلاح التعليمي، وكان يقدم دراسات ماحجة في محاضرات مجابية عن لفلك والكيمياء والطبيعة والتشريح، ودرس أصول علم فرائس الدماغ والمغناطيسية الحيوانية.

حضر ريفيل في مايو سنة ١٨٥٥ جلسة تنويم مغناطيسي مع سيدة معينة هي

مدام روجر، حيث قام الموم المعاطيسي فورتيه M Fortier بوضعها في العنينة السويجية، فاستطعت أن تقرأ الأفكار وتقوم ببعض الأعمال العدة. وهناك قابل ريفيل سيدة أخرى معيه هي مدام بليسميرون Mme Plainmaison التي أخبرته بأن هناك ظواهر عريه تحدث بصورة منتظمة حتى في مسراها بشارع جراسم باتيليه، ووافق ريفيل أن يذهب إلى منزلها، ودهش حينما رأى الموائد لا تدور فقط بل تقصر وتجري في أنحاء الغرفة. وشعر ريفيل تلميذ مسبار بأن هذه الظواهر تتحدى قوى العقل التي كرس حياته لها، ومن ثم قرر أن يحاول الخوض إلى أعماقها مقابل عدم مدام بلير ميسون رجلاً أخبره بأن هناك أختين تمارسان الكتابة التلقائية، يبدو أنهما اكتشفتا قوتها بالصدفة في معرض تسلية الأصدقاء بعملية تدوير المائدة، وقال عليهما أحد المعلمين «إنهما كانتا ذات مراح ديبوي ولعوبتين» ولكن ذلك لم يحول اتجاه ريفيل بعقليته الحادة، فأحد يسأل المائدة أسئلة فلسفية، سأل عليهما إذا كان الإنسان سيدرك يوماً البداية الأولى للكون؟ فأجابته «لا، هناك أشياء لا يمكن للإنسان أن يفهمها في هذا العالم»، وحينما سأل عليهما إذا كانت المادة موجودة دائماً، أجابت المائدة (باستهتار وصبر طاهر) «الله وحده يعلم».

تبين ريفيل من ذلك أن الكيانات التي كان ينصل بها أرواح حفية وأنها ليست العقل الباطن لهاتين العناتين (رغم أن مفهوم العقل الباطن كان مقبولاً في تلك الأيام). وفي الحقيقة عرف المتصلون به أنفسهم على أنهم «أرواح من الخاف»، وقال إن بعضهم (وبس جميعهم) أرواح من كانوا يعيشون على الأرض.

وتحقق ريفيل مذهوشاً من أن هذه المادة تختار بالتمسك الداخلي المؤثر، وأن النمط بأكمله يكشف عن النظام الفلسفي الذي يجمع الكون كله وقدم أصدقاء آخرون عن كانوا يجمعون النصوص المكتوبة تلقائياً بما فيهم الكاتب المسرحي ساردو إلى ريفيل مادتهم الخاصة التي بلغت أكثر من خمسين كراسة واقترح البعض على ريفيل أن يجمع تلك المادة في كتاب يسميه «كتاب الأرواح»، بل وإن الأرواح نفسها أعطت لريفيل اسمه المستعار الذي يصدر به الكتاب وهو آلان كاردريك، وكان الاسمان طبقاً لما ذكرته الأرواح تسميات له عند حلول روحه في ولادات سابقة لشخصه. وحينما ظهر الكتاب عام ١٨٥٦ تحت عنوان «كتاب الأرواح» حقق من موره شهرة واسعة، وسرعان ما أصبح هو الكتاب التقليدي للروحانية (أو الروحية كما كان يحصل كاردريك تسميتها).

وتتلخص الرسالة التي يحملها كتاب الأرواح بساطة في أن الأساس كثر
رباعي لتكوين، يتكون من جسم وعنصر حيوي (الهالة) والفس اندكية، والفس
الروحية وهو نفس التقسيم الذي وجدناه في كتاب شهود مريغورست، وكذلك
تفسيرات شتير والأرواح كانت ذكية هي التي تشكل «سكن الكون» والأساس
عبارة عن روح محوسة في جسد مادي وهناك ثلاث طبقات من الروح «الروح
لدينا» وهي التي تعمس في المادية و«روح الدرجة الثانية» التي ارتفعت طبيعتها
للعوية إلى حد يجعلها ترعب في الخير، و«الروح السوية» التي وصلت إلى قمة
تطورها.

وتتراوح الأرواح الدنيا بين أرواح شريرة يحكم نشاطها الخقد، والأرواح المؤدية
التي تستمتع بممارسة الإبداء وهي التي تسمى الأشباح المؤدية. وتفصي الروح في الموت
بعض الوقت في عالم الروح ثم تعود لتحل في الأرض أو في أي عالم آخر. والعرض
من الحياة الأرضية هو أن تتمكن الروح من السمو، والروح إلى حد ما قادرة على أن
تتحرر نوع المحاكمة التي تجري لها في الحياة الأخرى (وهو يعني أنه لا داعي لأن
تتحرر على نصيبا ما دما قد اخترناه لأنفسنا).

انفتحت تعاليم كارديك في كل عناصرها مع معظم تعاليم الروحانيين الآخرين
ابتداء من سويدبرج ما عدا في عنصر واحد هو عنصر التسامح الذي أصبح من
مواضيع الحدل العيف في داخل الحركة الروحانية الفرنسية وكانت الكتب عن
الأرواح قد أحدثت تنواليا بالمعل بعد ظهور كتاب «كشف النقاب عن أسرار مستغل
الحياة» الذي ألهمه ألفونس كاهاجيت Alphonse Cahagnet وشر عام ١٨٤٨ (شر
الجزء الثاني والثالث منه فيما بعد) وكان كاهاجيت يعمل صانع كثر وقد ستهواه
التوسم المعاطبي من أواسط العقد الثالث وقام بوصف عدة وسطاء في لعشية
التنويمية، ومن أشهرهم سيدة تدعى أديلي ماجينو، وسجل ما أخبروه به عن الحياة
بعد الموت كانت السيدة اديلي مشهورة بما نقلته من رسائل الأموات، ومن بعض
الأحياء الذين احتموا أحيانا، وبذلك كانت معمة بأدلة الإقناع بدأ كاهاجيت إصدار
صحيفة تسمى «الموسم المعاطبي الروحاني» تحولت فيما بعد إلى مجلة «الروحاني»
ورأس تحريرها بيرار Z. Pierart، بيد أن كاهاجيت الذي كان من أتباع سويدبرج
لم يكن يؤمن بالتناسخ، وسرعان ما انقسمت الحركة الروحانية في فرنسا نتيجة حرب

لكلمات بين أتباع كاهاجيت وأتباع كارديك، كان كارديك موضع اعتقاد لأن وسطاءه مثل أدبي كانوا يعتقدون إلى ما يقولونه عن الناس. ونظر كاهاجيت وأتباعه إلى الكتابة، التلقائية شيء من الشك والارذراء. ولكن مات كارديك الذي كان مصاباً باضطراب في قلب عام ١٨٦٩ بعد ثلاثة عشر عاماً فقط من ظهور كتاب الأرواح، بسماً عاش كاهاجيت حتى عام ١٨٨٥ وازدهر بعد نشره كتاباً أخرى كثيرة كان لها تأثيرها، ولذلك فإن صيغة كارديك الروحانية أحدثت اتصالاً وتحولاً هامتها في الوقت الذي كانت الحركة تكسب قوة عن قوة. ولم تأصل حدود صيغة كارديك إلا في البراري حيث كان الأطباء السحرة يستدعون الأرواح كثيراً للاستعانة بهم في سحرهم، وهلك ازدهرت الروحانية وأصبحت أحد المعتقدات الرئيسية في تلك البلاد.

ربما كان من المستحسن أن نقف عند هذه النقطة ونسأل عن معنى ذلك هناك شيء غريب عن الروحانية يسبب الاثارة وهناك شيء مسلم به أن بعض الناس مثل روراليند هايوود تمتلك قوى شفافية عريضة وهناك من يتلع التعاليم لروحانية كما يفعل اندرس غير ملهم في مدارس الأحد. ألا يعني ذلك أن مبادئ سويدبرج وكارديك غير مقبولة في حد ذاتها؟ بل إن فكرة تكوين الإنسان من جسم حيوي وجسم نوراني وجسم داني تبدو معقولة بدرجة كافية وقد يدركها البعض من خلال ملاحظة النفس كما يميز بين دوام النفس الدنيا وبين الملاحظات الحرة التي يديها الحرة الرفيع ما يضطر نأسي إلى معاناتنا وقهرنا؟ لكن حينما يجرب كارديك، بأن الله هو الذي خلق الأرواح ثم عين لها مهمتها لتتجه نحو الكمال - حينما يجرب ذلك يرى أن فيه تجريداً يدعو إلى الصحر، فلماذا أحد الرب على عباقه أن يخلق الروح أولاً؟ ولماذا لم يخلقها على مستوى الكمال من أول الأمر؟ ليس من شك في أن مهمة الأرواح لا بد وأن تكون أفضل من مجرد الاتصال بالأقارب الأحياء من خلال الوسطاء وتوصيل رسائل مبهمة ومرصاة عن متع الحياة الأخرة وتعاها مشكلات الحياة الدنيا؟ إذ فارما المسوحي من الروحانية بما يوحيه العلم والفلسفة أو صيغ العوامص العظمى، فسوف نجد أنها متدلة إلى حد كبير.

يعبر لنا هذا السبب الذي جعل الروحانية تثير عداوة دائمة صدها لدى العلماء والملاسفة، بدرجة تضر الصحر من العقيدة كالركان. وكان رد العلماء عليها موجه متدافعة قوية من لشك أشبه ما تكون نيار من الماء البارد، وترتب على امتزاج اللاه المدفعة

من الركبان بالماء الحار تكويين سحابة كثيفة من السحار أدت إلى غموض كل شيء. لم يقتصر الأمر على أن معظم العلماء رفضوا قبول الدلائل فحسب بل إنهم رفضوا أيضاً أن يظرو فيها، وعبر هكسلي T H Huxley عن هذا الشعور العام بملاحظته التي قال فيها «ربما كان كل شيء صحيحاً بالنسبة لأي شيء، مصاد له أعرفه، ولكن في الواقع لا أستطيع أن أوجه أي اهتمام للموضوع».

لا يمكن الدفاع عن مثل هذا الرأي على أنه علمي، لأن أي إنسان لديه ساعة فراغ وحده سيجد الدليل أمامه دامعاً، فهناك مئات، بل آلاف من أوصاف التواجد حرج الحسد، ومن الأشباح المرعجة وظهور الأموات، والمنظورات الريفية للمستقبل وعلى أي شخص معتدل أن يكون مستعداً لأن يصل من ذلك إلى نتيجة ما، لا أن يرفضها بتعليق يقول فيه «في الواقع لا أستطيع أن أوجه أي اهتمام للموضوع».

فهم - كما أن يصل إلى نتائج بشأن هذه الأمور دون أن يتزم تجاه الحياة بعد الموت أو تواجد الأرواح؟ هذا ممكن لأحد مثلاً سكنى الأرواح في طاحونة ويسحتون، تظهر هنا نقطة هامة هي أن الرجل الميت يسير عبر الحجرة على ارتفاع بضعة أقدام من الأرض، على مستوى فتحة البوابة. هذا يوحي بأنه كان يسير على أرض هدمت، ونحن نعلم أن بيت الطاحونة كان مائلاً على نفس موقع بيت أقدم منه. ويسودها كما لو أن نظرية أوليفر لودج عن الشرائط المسحونة تفسر هذا الشبح بانذات. وبلاحظ أيضاً أن المنزل كان مقاماً في قاع الوادي بحور المجرى مباشرة. ومن ثم كانت تعلق عليه الرطوبة، ويرى ليتريدج T C Lethbridge أن الأشباح هي تسجيلات على المجال الكهربائي للماء وهي ظاهرة توحد بكثرة في الأماكن الشديدة الرطوبة.

وقد نلاحظ أيضاً تعليق المؤرخ المحلي بأن الطاحونة - رغم أنها بنيت حوالي عام ١٨٠٠ - إلا أنه لم يسجل أي سكنى للأرواح فيها حتى بدأت أسرة المستر بروكتور التي تصمم أطفالاً صغاراً تشهد تلك المصائب. وفيما بعد خلال القرن التاسع عشر لاحظ مراقبو الشبح المرعج أن الأطفال عادة ما يكونوا حاضرين، وأن أحدهم كان دائماً موضع المصايقة، وربما نتذكر أن القس صامويل ويسلي لاحظ أن ابنته هيني ترتعش في نومها قبل أن يبدأ حيفري المحوز في إحداث صحتة المعهودة. ونحن نعلم من فيسولوحيا انشطار الملح أن لكل منا شخصين في داخل رأسه - فهل يحتمل أن يكون

جيمري العجور موعاً من ظهور العقل الساطع أو سطره الأيمن من مع هيبي
ويسلي عليها؟

هذه النظرة المعقولة عن الظواهر العسية ظهرت في الواقع فيما بعد خلال القرن
التاسع عشر على يد المحرر الصحفي الذكي تومسون جلي هادسون في كتاب اسمه
«قانون الظاهرة العسية» (١٨٩٣). وكان هادسون مدهوشاً بالنسبة المعاطية،
وبالقوى غير العادية التي تولد أثناء النوم، وأصبح مقتنعاً تماماً بأن لكل إنسان ذاتين
تتنبأ هما العقل الذاتي والعقل الموضوعي. أما العقل الموضوعي فهو الجزء الذي
يتولى أمور المشاكل اليومية، وهو السطر الأيسر من المع، أما العقل الشخصي فهو
متوجه إلى داخلنا، ويتحكم في وجودنا الداخلي الذي يتجه إلى أعماقنا الداخلية
وعادة ما يتأثر العقل الذاتي ويخاف من العقل الموضوعي، ولذا نادراً ما يجرؤ على
التعبير عن نفسه بسهولة، ولكن حينما يوضع العقل الموضوعي موضع النوم بالنسبة
المعاطية يستطيع العقل الذاتي أن يظهر قواه الخفية. وفي خلال السنوات الأخيرة
من القرن التاسع عشر كان هناك موم معاطية يدعى كارل هاسون، اعتاد أن
يجرب أبحاثه أمريكياً، وكانت خدعته المفصلة هي أن يجعل الشخص جامداً يمكن
وضعه على مقعدين متقابلين مثل اللوح الخشبي برأسه على أحدهما وقدميه على
الأخر، ثم يقوم هاسون بوزنه الثقيل بالقمر فوق بطنه. وكما قال هاسون تعقد مثل
هذه الأشياء من أدنى أو أقل قدرات العقل الذاتي (أو كما يقال السطر الأيمن من المع)
فستطاعة العقل الذاتي أن يفعل الأعاجيب، وفي الحقيقة أن معجزات المسيح قد
تكون مجرد إظهار لعقله الذاتي ويقول هاسون إن العقل الذاتي هو المسئول عن كل
تلك الظواهر العسية مثل التحاطر والاستشفاء.

وجه هاسون اهتمامه فيما بعد إلى الروحانيات، التي تعتبر على حد اعترافه
«ظواهر لا يمكن إنكارها، ولكنها لا تتأثر بواسطة أرواح الموتى، وأن ما يأتي بها هو
أساساً الذكاء الشرقي إذ أنها لا ترتفع أو لا تنخفض عن المستوى العادي للذكاء
الشرقي». وهذا هو السبب في أن مذهب الروحانية كان شاداً لدرجة تسبب الصبح
ونجيب الأمل لأنها كما يقول بيتشه «إسبانية... غاية في الإسانية...» «لقد رأينا
بالفعل ما للعقل الذاتي من قوى ملموسة في محالات معينة من النشاط العقري،
وعرفنا الحدود التي يحاط بها، ووجدنا أن الأعمال العقلية للوسطاء تتميز بكل الصفات
التي تنتمي إلى العقل الذاتي نفس القوى المعينة ونفس الحدود»

بها نظرية مقبولة، والأعجب من ذلك أنها تعتبر جديدة في نوعها خلال كل
لسين التي مضت. مد ظهور كتاب «قانون الطواهر النسانية»، لم يظهر ما هو علمي
معقول. ولكن هل يعطي بالفعل كل الحقائق؟ هاك حل وضعه هادسون لمسألة
لأرواح هو «أن العقل الدائى للوسيط الذي يحكمه الإلهام يعتقد في نفسه أنه روح
لشخص من المور ويقترح اسمه»، بيد أن هذا الحل يشل في تفسير حالات عديدة
مثل الدرج السري الذي أحربه سويدنبرج كما ذكرنا في الفصل الأول، حيث كان
الوسيط ها قادراً على الاتيان بمعلومات لا يعرفها إلا الشخص الميت كما لا يفسر
مثالاً آخر: كيف عرف السير الكسندر أوجستون (الذي جاء ذكره في الفصل الثرى)
عن موت الخراج في قسم آخر من المستشفى ما لم يكن عقله، بطريقة ما، قد ترك
جسمه وتجهول في أنحاء المستشفى؟ يمكن تفسير مثل هذه الحالات وكثير من أمثها
بأنها نوع من التحاظر. ربما النقط عقل أوجستون سرعات سكرات موت الخراج،
وربما اتصل سويدنبرج بعقل الجار الذي صنع المكتب وفيه الدرج السرى
ولكن هذه التفسيرات تصح شديدة التعقيد، ونحالف المبدأ المعروف في الهندسة باسم
شبيرة أوكام (Occam's razor) التي تنص على أنه في محاولة حل أي مسألة فمن
الأفضل البحث عن أبسط التفسير وأكثرها اقتصاداً، وبخاصة يبدو أنه من الأوفق قبول
إمكانية وجود حياة بعد الموت، أو تحرر الروح من الجسد كمرضية يؤخذ بها

والاعتراض الثاني على مذهب الروحانية، والذي ينقص من مكانة الروح
بعض الشيء إلى المستوى المادى، فهو الذي عبر عنه دين اسح Dean Inge في قوله
«في اللحظة التي يطلب منا أن نقل الدليل العلمى على الحقيقة الروحية، لا تصح
الحقيقة الروحية المرعومة روحية ولا حقيقية، وإنما تنحدر إلى حدث في عالم
الظواهر» والعرب بحق أن رودلف شتاير يوافق على ذلك ويعلق بقوله «إن
الروحانيين هم أعظم الماديين جميعاً» يبدو هذا محيراً في ضوء الحقيقة بأن شتاير لم
يقتصر على قبول فكرة الحياة بعد الموت فحسب بل إنه قل أيضاً فكرة التساح

لهذا النقاش أهميته، وهو يفسر شعور العداء العام الذي عدلأ ما كان يشيره
مذهب الروحانية. ومن بين مبادئ شتاير الأساسية أن العالم المائق الحساسة يظهر

أمامنا بطريقة تشبه ما يدركه عن العالم المحسوس^(١) ولذلك يقول عن سويدنبرج
كان رجلاً عتاد في الرمس الذي يتم فيه تخطيط العلم الطبيعي أن يعترف فقط بالمعقول المرئي
والمحسوس ...

ونظر لأنه أصر على الاعتراف بأن ما يستطيع أن يحسه ويدركه بحواسه هو فقط الحقيقة. وقد
أمر العالم العائش الحسية إلى عهد أدولف غيب بأن أثر اعتياده للعلم الطبيعي^(٢)
يقصد شتاير من قوله هذا أنه شيء ستلتفت أنظار معظم قراء الحكايات عن
تجارب سكرات الموت. فمعصمهم أحسوا بأنهم يسرون نحو مدينة سماوية، والبعض
رأوا أنفسهم يسرون في بساطين مرهرة، والبعض يتجهون نحو بوابة سماوية أو دوامة
من نور. وبدأ الأمر كما لو أن كل شخص أصبح يفسر التجربة على أساس المفاهيم
المألوفة له. ويرى شتاير أن المبصرين الذين لمحو شيئاً من «عالم الحساسية العائقة»
من أمثال سويدنبرج قادرون على تفسيره طبقاً للعادات الثابتة في عقولهم ويعطونها
هذا تفسيراً للأسباب التي جعلت الانجذبات الروحية تبدو في أغلب الأحيان مدعاة
للسخرية.

ومن العرب أن شتاير قد حظي بمواقفه كاردريك الذي أحد مادة كتبه من
الكتابات التلقائية، وهذا يوضح أن ما كان يكرهه شتاير بشدة من الروحية هو
العقلية المهنية ممثلة في أصوات المرامير والأكورديونات التي تبعث خلال الحز، والموائد
التي ترافق وتدور في أرجاء المحررة، والأرواح التي تكون هالة صوء حارجية
ويمكسا مقدرة رايه هذا برأي المسيحي المتأمل الذي يريد أن يشرح كيف أن السموات
يبيت مليئة بالملائكة الخالسين فوق السحاب يعرفون الموسيقى على الحارب

وفي نفس الوقت، لا بد من وجود عنصر حائر في هذا الرأي؛ فكثير من
لوسطاء الدين بدأوا يقدمون الكتابة التلقائية أصبحوا فيما بعد «وسطاء ناطقين»، بل
أصبح بعضهم «وسطاء ماديين». ومن الصعب وضع حد فاصل دقيق بينهم فلم
يكن شتاير بالفعل ينتقد الروحية بل ينتقد الروحانيين، ولو أدركنا ذلك تخفي كل
لمشاكل الرئيسية أو على الأقل يكشف أمامنا أنها مجرد سوء فهم

(١) «The History of Spiritualism» Lecture delivered in Berlin. 30 May 1904

(٢) المرجع السابق

أدى سوء الفهم إلى الكثير من الخلط والمرارة في الأيام الأولى لظهور لروحانية، وكان من الصعب أن يوقع باحثون من أمثال كاترين كرو وآلان كاردنيك سماع ما يصف «حوار العادات» فلقد شعر العلماء والمفكرون أن المصنوع منهم هو أن يتعلموا ذلك المريح الذي يكون من تعامات طفولية، وأشاروا بعصب شديد إلى كاتس أو معاند المذهب الروحاني التي أحدثت تشويشاً في كل أنحاء أمريكا، ونساء لرو عن الكيفية التي يمكن أن تجعل الإنسان جاداً في عقيدة أو مذهب يبدأ بفتاتين تامهتين. وثبت أن شكوكهم في محلها في أبريل عام ١٨٥١ حين صرح أحد أقرب عائلة فوكس لخريفة نيويورك هيرالد بأنه عرف من كاتي ومرجريتاً انطريقة التي كان يحدثان بها أصوات العرقعة بركتيهما وأصابع أقدامهما ربما كان ذلك صدقاً أو كذباً، ولكن الفتاتين وأمهاتهما استهترتا وأصغرن بقصص أوقاتاً طويلة في سفر متصل من مناطق الساحل الشرقي لتقديم العروض، فلقد نقلهم الخط من المدينة الصغيرة لمدينة الواقعة في أعالي ولاية نيويورك إلى ما يشبه عالم المحمية. ولو كانت الأرواح غير متعوبة في بعض الأحيان فقد يكون من العريب ألا يستحدم من قليلاً من الخدع كان واضحاً أن لطاهرة الرئيسية وهي الدوي الذي يؤدي إلى اهتزاز المرل لا يمكن أن يترتب على طقطقة الأصابع والركب، ولم تستطع أي من كاتي أو مرجريتاً الإجابة على كل لأسئلة عن لباس الدين يتواجدون بالحجرة، وكانت الاتهامات بالخدع من الممرات سرفض النظرة المتعاطفة مع البرهان

ولعل الشيء المحزن حقاً في كل ذلك هو أن سحابة الخدع انعدوي قد عصت على الكثير من البحوث الحادة في حوار العادات، ففي العقد الرابع من القرن التاسع عشر تمكن عالم ألماني يدعى بارون كارل فون رايشباخ من إعادة اكتشاف ما سبق أن اعترف به مسبقاً عن إمكان تأثير الكائنات البشرية بالمعاطيسية فقد وجد رايشباخ أن المرصين يكونون أكثر حساسية للمعاطيسية من الأصحاء، وباحساسية المرصية يمكن رؤية ألوان مختلفة تبعث من عمود معاطيسي لون أحمر من القطب الجنوبي، ولون أزرق من القطب الشمالي، ويمكنهم أن يميزوا نفس الاستجابات من لكريستالات. والأهم من ذلك أنهم استطاعوا رؤية الألوان تبعث من أطراف أصابع الإنسان وأطلق رايشباخ على هذه الظاهرة اسم «أوديني» أو انقواء لإيمية وأدى اكتشافه هذا إلى إثارة دهشة واسعة الانتشار حينما أعلنه لأول مرة عام ١٨٤٥ وكان ما اكتشفه رايشباخ في حقيقة الأمر هو أعمال حياة الإنسان وهو الموضوع الذي قام

بدراسة أيضاً كل من هارولد بير Harold Burr وبورثروب F S C Northrop خلال ثلاثينات هذا القرن. بيد أن ظهور مذهب الروحانية جعل العلماء عام ١٨٥٠ يشككون في أي نوع من القوى غير المألوفة. وفجأة وجد رابنشاخ نفسه مشوه السمعة مثله مثل مسمار من قبل.

جذب اهتمام جوزيف رودس بيوكانان Joseph Rodas Buchanan أسناد الطب في كنتاكي ما كان أحد القساوسة قد أحتره به من أنه يتذوق طعام الحساس حينما يلمسه حتى في الظلام، وأن الحساس له مذاق مر في الفم. فقام الدكتور بيوكانان باختيار تلاميذه مستخدماً مواد كيميائية مختلفة ملفوفة في ورق نبي. فوجد أن الكثير منهم استطاعوا أن يميروها باللمس. فاستنتج من ذلك أن لنا حالة عصبية تسبب من أطراف أصابع، وأن هذه الحالة العصبية تستطيع أن تتذوق الأشياء كما يتذوقها الإنسان تماماً. ثم اكتشف أن أفضل أتباعه يستطيعون الإمساك بأي رسالة في أيديهم ويتحسسون بها طابع كاتبها، واستطاع بعضهم أن يصف كاتب الرسالة ببعض الدقة.

أصبح كل ذلك الآن متفقاً مع نظرية السير أوليفر لودج عن الشرائط المسجلة للأشباح، بمعنى أن المشاعر القوية تستطيع أن تعالج نفسها في المواضيع المحيطة بها. وأن بعض الأفراد الحساسين يستطيعون أن يتنبؤوا تلك التسجيلات. وكان ناع بيوكانان بحق أشبه ما يكونون بكلاب استطلاع بشرية. وأطلق على هذه الظاهرة انفرودة سم القياس والتكهن النفسي، وأدى كتابه الذي ألمه في الموضوع إلى إثارة الاهتمام الكبير عام ١٨٤٨، وأدى إلى أن أحد أساتذة الحيولوجيا ويدعى وليام دنتون أحد يحاول إجراء تجارب على تلاميذه مستخدماً عيانات حيولوجية، وكانت نتائج ذلك مذهشة^(١) إذ أن لمس قطع اللافا الركابية كان يؤدي إلى أن نترأى الحبال المتصهرة، وأساس العميلة، ومشاهدة العبابات الحمرية وأعماق الفصاء. واعتقد دنتون أنه بدلت قد اكتشف مظهراً يتعمق به في الماضي، وهو قدرة غير معروفة يستطيع الإنسان من خلالها أن يسافر في الزمن الماضي. ولكن مع الأسف لم يلق كتاب دنتون «روح لأشياء» اهتماماً كبيراً مثله في ذلك مثل كتاب بيوكانان عن التكهن النفسي لأن هذه

(١) لمزيد من معلومات عن «أشباح بيوكانان أنظر كتابي The Psychic Detectives The Story of
Psychometry

الأشياء تدب وكأنها روحانيات، ولو حاولنا أي عالم شيء من الحديد فربما يدين نفسه
بالسهو

كان الروحانيون أنفسهم هم الملومون إلى حد ما، إذ أنهم كانوا يحددون
سهولة، ويميلون إلى تصديق أي تعاهات ويعتبرونها صرياً من الرسائل الآتية من
الخارج أو من الآخرة. وانتهر الكثير من الوسطاء العشاقين حرصه السداحة وسرعه
التصديق لترويج خدعهم المكشوفة. وكلما صط أحداهم متلبساً بالعش كان لعده
يهرون رؤوسهم ويعقدون المقاربات بين هذه الصرعات وبين طاهرة لسحر التي
شاعت في العصور الوسطى، حتى أن بعض هؤلاء العلماء كانوا يستكفون أن يظفرو
بعبارة «سبق أن قلنا ذلك» أما الوسطاء الصادقون مثل الأخوة ديعسورت فقد أساءوا
إلى أنفسهم أيضاً بالظهور في دور العرصين وممارسة خدعة توقيف اشعر لقي ربي
أكست هوديني شهرته، إذ سمحوا لأنفسهم بأن يربطوا بحال موثقة على أجسامهم
بشدة ثم يحطون خارجها بعد فترة متخلصين من هذا الوثاق. وبعد جلس أحد أعضاء
لجان التحقيق وهو البروفسور بنجامين بيرس B. Pierce وسطهم في الكايبه، وبمجرد
أن أغلقت أبوابها دخلت بسرعة يد، فتصلب الأحيوان كالنومياء، وأحسن الأستاذ بذلك
اليدين تلمسه قبل أن تمتد لتمسك وثاق الأحيوين. واعترف البروفسور لوميس Loomes
لأستاذ بكلية الطب في جورجيتاون بأن العروص كانت تقدم عن طريق قوة غير
عادية، ولكن هذا النوع من الشهادة لا يعني شيئاً إذا فُورن بظهور لأحيوان في كل
عروص التنويم المعنطيسي وعروص الأكرويات.

يقدم لنا ذلك كله تفسيراً عن السبب في تحقيق القليل من الأشياء في كل الأوقات.
على أن أشهر وسطاء القرن التاسع عشر، وربما أشهرهم على مدى لعصور هو ديبيل
دوبلاس هوم Daniel Douglas Home احتفظ هوم بقواه مدى ربع قرن تقريباً،
فيما عدا سنة واحدة قرأت خلالها الأرواح - كما سمعنا بعد - أن تعاقبه، فكان يدرس
أعمالاً مذهشة في وضع النهار، فيجعل قطع أثاث ثقيلة ترتفع إلى السقف، ويظهر هو
خارجاً من أحد النوافذ ليعود فيدخل من نافذة أخرى، ويلون وجهه بنون الحمر
متوهج، وكان باستطاعته أن يطيل قامته بضعة بوصات وفقاً لإرادته. احتضر عشر
لمرت بمعرفة لجان من المشككين، ولم يتمكنهم صطه متلبساً بأي شيء مما يشبه
احتيال. ومع ذلك فإن الأحيال التالية اعترته هو الرجل الذي وصفه ديكر بعبارته

المشهوره «ذلك لمنسول المدعو هوم»، وكتب عنه الشاعر روبرت براون قصيده هجاء
بديئة عنوانها «المستر سلوج الوسيط» أي الوسيط الملوث

ومن الخلسات المنميرة التي عقدها هوم جلسه وصمها كاتب مسرحيه جان برتون
وصمها رائعا عمدت تلك الحلة في إحدى ليالي سابر سنة ١٨٦٢ في منزل مدام
خوفين داتمبل المحرر وكان من بين صيوفها الأمير ميتريخ وروجهما السفير
المنساوي وسبع عدد الصيوف خمسة عشر شخصا فقط جلس هوم في مقعد كبير
على بعد ثلاثة أو أربعة ياردات منهم، وحيثما استعد الجميع أسد ظهره إلى المقعد،
وراد شحوب لونه ودخل في عثية تويمية حميمة وسأل دله الروحي بيريان «بيريان»
هل أنت هنا؟ فسمعت دقات حادة من تحت المائدة، وبدأت الشمعدانات تراقص،
وتحركت إحدى بكراسي من مكانها عبر الحجرة وتوقفت أمام الحاضرين في تلك اللحظة
صاحت الأميرة ميتريخ حينما أحست بيد قوية غير مرئية تمسك بيدها، وشعر الآخرون
أيضا بأيدي تلمسهم لمسا حميما (كان ذلك كله في حجرة تلالا فيها أصو
انشموع) ثم ارتفع عطاء المائدة المركش وبدأ كأن شيئا يتحرك من تحته مثل يد
حيوان صغير، وأحد العطاء يتحرك نحوهم كان هذا كثيرا جدا في نظر الرجال الذين
كان أغلبهم من المتشككين، فقصر السفير ميتريخ تحت المفروش وحاول الإمساك
بالحيوان، وجذب أحد الرجال المفروش ولكنه لم يجد شيئا، بينما سارع الآخرون
وتجهسوا إلى تحت المائدة ليكتشفوا مصدر الدقات، ولم يعثروا أبصا على أي شيء.
وحيثما يدفعو متكالبين في المرة الثانية سمعوا دقات عاصفة كما لو كانت فهقهات
تسحر منهم واقنع الأمير ميتريخ بأن الأصوات تأتي من تحت المائدة، حيث ظلت
الأصوات تسمع، فصاح سحط شديد قائلا «أرحوكم لا داعي للفرح ولكن الجميع
أكدوا أنهم لم يصدروا أي أصوات.

أشار هوم، وهو نادي العشبة، إلى نافه من زهور النعنع موضوعة فوق البنانو
وطلب حضورها إليهم فتكرت النافه من فوق البانو وطافت مهزة واستقرت على
حجر الأميرة، ومال الأمير إلى الأمام وتقدم بنفسه فأمسك بها ثم أحد يبحث عن
الخييط الذي ربما كان مربوطا بها فلم يجد شيئا.

ثم طلب هوم بعد ذلك بصوت حاد حضور الأوكورديون الذي كان شائعا
آنذاك ود حصر الأوكورديون طلب من الأميرة أن تقف وحدها وسط الحجرة وتمسك

بالخيار معلماً فوق رأسها وحسباً وقعت ويداها في الهواء متمدتان فوق رأسها ممسكتان بالأوكوردبون ظهرت على وجهها ملامح الدهشة، كان هناك شد للأوكوردبون، وبدأ العرف والأوكوردبون يتحرك إلى الداخل والخارج، وبما أعجب الجميع أن ذلك كان من المروص الخميته وكان العرف يلحس حريش اعروفت له عيون الحاصرين بالدموع وبعد ذلك ارتد كل شيء إلى حاله الطبيعية وانتهت بذلك الجلسة ولكن بدأ برحال يفكرون فعلاً في كيفية حدوث كل ذلك، ولم يشك أي منهم في وجود حذعه تحصيل الأرواح وتحدث بعضهم عن الكهرباء السولوية أو الحيوية والتنويم المعاطيسي الجماعي واعترفت الأميرة بأنها لم تشعر بأي نوع من التنويم

ولد دانييل دوجلاس هوم قرب أدنبره في مارس ١٨٣٣ كانت أمه من سكان الحان وتشتهر بأنها عرافة ربما كان أباً غير شرعي، وهو يرغم أن أناه هو اللورد هوم وحسباً بلغ التاسعة من عمره انتقل إلى أمريكا مع حالته ماري كوك وروحها، وكانت والدته والدة وأخواته الست هناك بالفعل على فترة من مرض السل، وكان يتعرض لنبات إعماء متعددة نتيجة الحساسية المرضية، وكان أقرب أصدقائه له صبي يدعى ادوين، اعتاد أن يذهب معه في جولات على الأقدام إلى غابات كونيكتيكت، وعقداً اتفاقاً صيانياً أن الذي يموت منهما قبل الآخر لا بد أن يظهر للآخر وفي عام ١٨٤٦ وهو في الثالثة عشرة من عمره أحر حالته وروحها أنه رأى من موره ادوين يقف إلى جوار فراشه وأن هذا الخيال رسم في الهواء ثلاث دوائر بيده، وقد أدى ذلك إلى اعتقاد دانييل بأن صديقه ادوين مات منذ ثلاثة أيام، وثبت صحة ذلك بالفعل

لم تمر به أي تجربة من حوارق العادات مدى السنوات الأربع التالية، ثم رأى هوم أمه، فعلم أنها ماتت وبعد ذلك بقليل كان يهرش شعره فرأى في رجاح البصيرة مقعداً يتحرك عبر الحجرة متجهاً إليه فأصابه الرعب وجرى إلى خارج الممر وبسبب هو في فراشه يوماً أنقطته ثلاث دقائق على لوحة الفراش الأمامية، وفي اليوم التالي أثناء الإفطار، وحسباً كانت حالته تلومه على أنه يتعب نفسه بحضور الكثير من الصلوات (كان هوم صيياً متديناً) سمعت أصوات دقائق تأتي من جميع حواسب لمائدة فأحسست بالتهديد وصاحت قائلة: «هكذا أحصرت الشيطان إلى بيتي اليس كذلك؟» وألقت عليه بأحد المفاعد، ودعت كير القساوسة ليطرد الشيطان، ولكن صعب عليه أن يعرض نفسه وأحد يستمع إلى الدقائق المتواليه لم تكن حالته

تعرف أن ظاهرة الشبح المرعج تكون عادة غير مؤذية فطلعت إليه أن يعادر المتر،
وبهذا أصبح هوم مستقلاً بنفسه من سن السابعة عشرة

بيد أن هوم كان شخصاً رقيقاً مرحاً لدرجة جعلت العشرات من معارفه
يسعدون لاستقباله وإكرامه. سمحت الأرواح كل المعونة فكان يروح في العشية
سهولة، وحيث يتكلم الفرنسية والإيطالية دون أن يحصل على أي كفاءة من أي
مهما، ولم يكن هناك وقت يختاره لإظهار نفسه أفضل من الوقت الذي كان كل فرد في
تولايات المتحدة يتكلم عن الأرواح. والتقى بأحد الإنجليز واسمه دكتور جورج
بوش كان يعمل استناداً للغات الشرقية فشجعه على أن يكون سويديسرح آخر، وأن
يستخدم قدرته «لوعطيه في مسر الكيسة، موافق هوم، ثم عاد بعد يومين ليقول إن
أمه الراحلة معننه بشدة من أن يفعل ذلك وأحترته بأن عليه رسالة أكثر اتساعاً
وشمولاً.

كست الأرواح ترعاه، وكان شعوراً بالمعرفة فاستطاع أن يتحول في كل أنحاء
نيوانجلند، حيث كان يلقي الترحيب دائماً في بيوت الأثرياء من أبناء الطبقة
المتوسطة، وكان شحوب ملاحظه وجماعها يستند عليه الحماية من جانب متوسطات السن
من السيدات. وفي مدينة سيرانجهيلد في ولاية ماساسوشنس برل في مسر أحد
المواطنين الأثرياء وسمى روفوش المر. ووافق هوم على أن يقوم المر بالتحقيق معه
بمشركة ممثلين من جامعة هارفارد من بينهم الشاعر وليام بولس بريانت. ولم يكن أعضاء
اللجنة كغيرهم من اللجان يتشككون في أصالة الظواهر، إذ لم يقتصر الأمر على أن
المائدة تهتز وتعلو فوق الأرض، بل كانت أيضاً تقف على رحلين فقط مثل حصان
انسبرك بينما يجلس عليها ثلاثة من أعضاء الوفد في محاولة لإعادتها إلى وضعها. وكانت
الأرض تهتز وتتلع درجة الصدمات التي تشبه انطلاقات المدفع. كان كل ذلك يقع في
وضوح النهار. وأمسك أعضاء اللجنة بيدي وقدمي هوم أثناء وقوع تلك الظواهر،
ودكروا في تقريرهم الذي أسموه الأعجوبة الحديدية. ونحن نعلم تماماً أننا لم يكن
متعرض لأي إزعاج أو حذاع. وكان إعجاب روفوش المر بهوم شديداً حتى أنه عرض
أن يتباه ويجمله وريثاً له، فاعتذر هوم مع الشكر

وفي أغسطس سنة ١٨٥٢ كان هوم حالساً في حلقة، فارتفع في الهواء حتى
السقف، وهو عمل قد احتض به. واستمرت أعماله القذة الأخرى تغطي بالإعجاب

فأجهزة البيانو الصمحة تظلم في الهواء وتسير عبر الحجرة، وقد تنطق الأحرار
وتتصادم الصبح، وربما تظهر أصوات طيور معردة وصباح حيوانات متنوعة وفي يوم
من الأيام مالت منصده المائدة وعليها شمعدان مال أيضاً وشعلات الشموع طلت
عمدة في الهواء نفس الرؤية كما لو كانت موصوعة في وضع أفقي وفي مناسبة أخرى
بميرل القس بريتان Rev S B Brittan دخل هوم في عشية وإذ بصوت يعلن «هاب
بريتان هاب» ثم بدأ يشد على يد بالسلام، وظل طوال النصف ساعة التالية يتكلم عن
الطريقة الفطيرة لعذاب الحميم كانت تلك مفاجأة شديدة للقس بريتان لأنه كان
واثقاً أن تلك السيدة وهي قرينته كانت مصابة بهوس ديني، وماتت محبوبة، وقد
استحوذت عليها رؤى عذاب الآخرة (في ظهورها مرة أخرى أحرثهم هاسبريتان بأن
حياتها الحالية هادئة آمنة وحيلة، وأن عذاب جهنم كان وهماً من عقلها المحتل).

لقي هوم شعب النساء لحاديته ويطرأه الحاملة وكان يجب أن يتلقى منهن
الرهور في المساسات، أما الرجال فمعظمهم أحبه وبعضهم احتقره. وكانت له
سلوكيات أشبه سلوكيات النساء، وشك الكثيرون في أنه من النصابين بالشذوذ
الحسي (المدهش أن عدداً كبيراً من الوسطاء هكذا) وكان بلا شك مزهواً ببشرته
الشاحبة الحميلة وشعره الحريري المحمر، وكان يهوى الملابس العالية الثمن، وامتاز
سرعة العصب، ويمتعه صعوبة وصول الناس إليه (كان يتنارل ويتعرف بالناس إذا ما
قدمهم له معارف من مستواهم الرفيع)، وكان يعصه بشدة أن يقدم له أي أحد مقوداً،
ويرفض أن يعامله الناس كمقدم عروس فقد كان يعتبر نفسه بدأ اجتماعياً لأي
شخص يلقاه بما في ذلك الملوك. ولكنه كان يظهر تواضعاً بالنسبة لإيجاراته، ويصر
على أن ليس له أي دور في تلك الظواهر، وأن كل ما يفعله هو أنه يسترحي ويسلم
نفسه للحالة الصحيحة (وربما كانت كلمته الصحيحة هاب كلمة مناسبة للوضع)
وحينئذ تحدث الأشياء بساطة

وفي عام ١٨٥٥ اشتدت إصابته بالسعال لحد الخطورة، وقرر أن يتنقل إلى
مكان ذي مناخ صحي، ولسبب لم يذكره اختار إنجلترا ودفع له المعجبون ثمن تذكرة
السفر، وودعوه ملوحين له بأيديهم وهو يبحر من ميناء بوسطن في مارس وكان قد بلغ
لته الثانية والعشرين من عمره

وكالعادة، كانت الأرواح ترعى هوم، فنزل بلسدن في فندق كوكس بشارع

حبرمين، وكان صاحب الصدق اسمه المر وليام كوكس من يعتصم الروحانية،
فرحب به ترحيب الأب بابه، وهكذا وجد هوم مسكناً مجانياً، وفرصة لتقديمه إلى
وجهاء لندن الذين يترددون بانتظام على ذلك الصدق ولم يمحس وقت طويل حتى تلقى
دعوات من روحيات البارونات والمارشيوينات، وذهب لزياره الكاتب الروائي لورد
ليتون الذي استخدم الكثير من تلك الطواهر التي تشاهد أثناء جلسات هوم في بعض
كتاباتة، مثل الشكل المصيء الذي يتحول إلى كرة، واليد الخفية، والدقات العالية
وانومصات انارية وبخاصة في روايته المشهورة «العصيرت والصيدون» ولكن ليتون
أنكر أنه يؤمن بأن الأرواح مسئولة عن ذلك بل كان يعتقد أن تلك الطواهر كانت
نتيجة لعمل العقل الباطن عند هوم وأصبح هوم صديقاً لعالم الاجتماع روبرت أوين
الذي اعتنق الروحانية، وقدمه لصديقه القديم اللورد هيري براوهام الذي كان من
المتشككين على طريقة فولتير وعقد اللورد براوهام والسير دافيد برويستر جلسة خاصة
مع هوم حدث أثناءها صعود مائدة إلى الهواء، ومر جرس يدق عبر الحجرة، ووصف
برويستر هذه الأشياء في يومياته، وأحضرها أصدقائه، ولكن اعترف فيما بعد أن المائدة كانت
تبدو فقط مرتفعة، وأن هوم ربما كان يحرك الحرس بواسطة جهاز حتمي، وكانت في
هذا النقص دعاية واسعة لهم، رودت المعتقدين في الروحانية بسلاح يستخدمونه
صد إصرار العلماء حيث كانت مذكرات برويستر تؤيد هوم.

كتب براويج قصيدته المحاثية الدامعة والمستر سلوج الوسيطه وربما كان متأثراً
فيها بحدث في جلسة أخرى من جلسات هوم حينما انتقلت باقة الزهور واستقرت
على فحدي روجة الشاعر، وكان براويج عبوراً على روحته. وقام هوم بأعمال أسوأ من
ذلك حينما أحبر هوم الناس بأن المستر براويج حينما حاول أن يقف موقف المهاجم
العاضب ظهر ذلك مصيئاً على حاجبيه.

وبناء على المطلب الشعبي للمجتمع الانجليري انتقل هوم إلى فلورنس حيث
كانت عروضه أقوى مما سبق، وهناك تحرك جهاز بيانو وطاف في الهواء وطل هكذا
معلقاً في الهواء والكوتيسه تعرف عليه وتحدثت روح من الأرواح مع كوتيسه بولندية
سمعتها، وفي أحد الأديرة المسكوبة تحاطب هوم مع روح القديس الذي كان قد قتل
وجعله يظهر يده المريله المضمرة. وحينما جاء الكاتب الروائي ناثانييل هوثورن
Nathaniel Hawthorne إلى فلورنس بعد ذلك بثلاث سنوات وجد الناس ما رآه

يتكلمون عن هوم، وجمع هورثون عشرات من الحكايات الموثوق بها عن الظواهر
وذكر ملاحظته الهامة الواضحة

كانت هذه الأعاجيب الحقيقية كثيرة لدرجة أنني سبت تسعة أعشارها، وثبتت تماماً أنها حقائق
واقعة بالرهان الذي يرضينا ويجعلنا نعمل الرعم بأنها حقيقية، ومع ذلك فلا أستطيع أن أرعم عقلي
على أن يؤمنها اهتماماً.

ربما كان ذلك أهم التعليقات عن هوم أو عن الروحانية بصفة عامة

ولسوء الحظ بدأ بجراح هوم يميلاً رأسه، إذ لم يكن ذا شخصية قوية، وكوبه
يتلقى معاملة الآلهة على أنه مراسلة كان كافياً لإحلال نواربه كشخصية ذات طبيعة
استقلالية، فحبها ذهب ليقم في قبلا امرأة انجليزية مسخرة ومنعصلة عن زوجها بدأ
المعجبون السابقون بها يفصحون الأمر، وأدى ضغط النفس الإنجليزي المعهود إلى فتنة
مرصية تتعلق بالمصائح الحسية، وهناك بدأ يشعر بجو عدواني، فهو جرم وهو في
طريقه عائد إلى الصدق، وأصيب بجروح طفيفة، فكان ذلك دليلاً على أن الأرواح
أصبحت متكاسلة عنه. وفي ١٠ فبراير سنة ١٨٥٦ أخبرته الأرواح بأن سلوكه الداخلي
لا يلقى الاحترام في العالم الآخر وأن قواه الخاصة على وشك أن ترحل عنه لمدة عام
كامل ولما دعاه كوت بولندي للحضور إلى ماسولي وروما شعر بأنه مضطر للاعتراف
له بأن قواه قد هجرته، ولكن الخط كان معه، فأصر الكوت على أن الأمر سواء
عنده، وصحبه هوم إلى ماسولي، ورغم فقدانه لقواه فقد ظل هو الأسد الاجتماعي
وعادت له قواه ثانية كما تبأت الأرواح بعد ستة تماماً، وفاجأته في منتصف الليل

كان آنذاك في باريس وكان عليه أن يجدر، ويؤمن نفسه ضد معارضة الكنيسة
وذلك بأن أصبح كاثوليكياً ولم يكن الأب الذي تلقى اعترافه بتكليف من البابا غير
منحمن تماماً لعودة الأرواح التي رعم بأنها أرواح شيطانية، ولكن لم يمكنه عمل شيء
كثير بشأنها كما لم يكن هوم يرغب فيها لأنه كان آنذاك أحد المحظيين عند الامبراطور
سليوون الثالث والامراطورة يوجين، وأدى حظه هذا إلى إثارة الكثير من الغيرة
والعداوات ضده، ولكن بعد ذلك العام الذي هجرته فيه الأرواح لم يسمح لها بأن
تخلأ رأسه.

وبعد جولة في شمال أوروبا عاد هوم إلى روما حيث قابل كوتيسه روسية جميلة في
الساعة عشرة من عمرها اسمها ماشا، ورافضها إلى سانت بيتربرج (بصحبة الروائي

د ماس) وأقام لها أهلها حفل عرس مشهوراً وفالنته الأسرة الحاكمة الروسية مثل ما
فانه به باسيون الثالث من حفاوة ولكن لسوء الحظ أصيبت ماسا بمرض السل وماتت
بعد ولادة ابنه، ولم يكن موتها انصلاً كاملاً بل كان هوم قادراً على متابعة الاتصال
بروحها

يسدو أن الخط قد تركه مرة أخرى عام ١٨٦٢ إذ أمرته الشرطة بمغادرة روما
وأعلنت أنه ساحر (فقد أساءت الأرواح بأن كانت تدق على مكتب رئيس الشرطة)
واستمر الأربعة الأعوام التالية هائماً على وجهه حتى قابل في عام ١٨٦٦ امرأة عجوراً
قبيحة بشعة تتكلم بلهجة الطفلة العاملة هي مسز جان ليون، أحزنه أنها تريد أن
تتساه، وتتحدث ولدها، ورودته بعدد من الشيكات. وعبر هوم اسمه إلى هوم ليون.
ولكن لم يبق بينهما تألف فسرعان ما بدأت العلاقة بينهما تسوء، وشعر بأنها شديدة
الانفعالية مملّة، كما شعرت هي بأنه إنسان بارد. وأصيب باهيار ولها إلى أماكن كثيرة
التي ساءت لشفاء من أمرته. وحينما عاد إلى لندن نين أن مسز ليون نقلت ولاءها إلى
سيدة وسيطة أخرى، وكانت تحاول استرداد أموالها، وتريد استرجاع ثلاثين ألف جنيه
منه، وهي التي تمثل فقط نحو نصف ما أعطته له. واتهمته بالانحراف، وقبض على
هوم. وفي محاكمته التي تمت في أبريل ١٨٦٨ ادعت أنها أعطته النقود لأنه أتى لها
بتعليقات من روح زوجها الميت تأمرها بذلك. وكان دفاع هوم عن نفسه هو أنها
حاولت بشدة أن تغريه بنفسها بعد أن أصبح ابها. كانت مسز ليون بلا شك - كما
أعلن هوم، مذهبة وكادبة، وانكشفت الكثير من أكاذيبها أمام المحكمة. ولشكك
الأرواح قد بدلت جهداً لكي تكون المحاكمة غير متحيزة إلا أن القاضي أصر أن
السماح بإعادة أي نقود تعطى لعرض ديني فإن في ذلك اختلالاً واضحاً، ومع ذلك فلي
مصطر لأن الروحانية كانت عتاً وحداً وفي هذه الحالة فقط يصدر حكم استثنائي.
وصدر الحكم بأن يعيد هوم النقود. أدت هذه المحاكمة إلى تدمير هوم تدميراً بالعمى،
كما أدت إلى تقوية الانطباع الذي تركته قصيدة الهواء التي كتبها الشاعر براونج بعنوان
مستر سلوح (أي الملوث) وبأن هوم مدلس وأفك كبير، ولكن كان لهذه السمعة السيئة
التي لحقت به فائدة واحدة، فإن جولته التي قام بها في أنحاء إنجلترا احتدبت الكثير
من المشاهدين مما ساعده على استرجاع خسائره.

وفي أثناء استشهائه في مالصيرن قابله ارستقراطي شاب يدعى لورد أداري Lord
Adare، قصي الستين الناليتين بصحبته، ثم نشر أداري عام ١٨٧٠ كتاباً بعنوان

بحارب في الروحانية مع مسترد د هوم، ربما كان واحداً من أفضل الكتب التي نشرت عن الوساطة أثراً، فقد كان أداري اسحليرباً عادياً يوحه كل اهتماماته لصيد البر وصيد الأسماك أكثر من اهتمامه بالاشباح، وكان أداري هو الذي رأى هوم يظفر بخارجاً من أحد النوافذ في شقة عالية ليدخل من نافذة أخرى، وراه أيضاً بجسم الأرواح بما فيها روح ساشا والممثلة الأميركية آدميسكيين، وغير ذلك من الطواهر التي كان يقدمها هوم خلال العشرين سنة السابقة. ورأى هوم وهو يدكي البر في الفحم ثم يلتقط الحمرات ويمسح بها وجهه دون أن يحترق وجهه أو شعره، وشاهد أيضاً هوم واقفاً بحوار الخائط وقاس طوله (مسن أقدام وعشر بوصات) وبعدها أطل هوم قامته إلى ست أقدام وأربع بوصات.

وفي عام ١٨٧١ وافق هوم على أن يجري معه عالم شاب يدعى وبيام كروكس (فيما بعد السير واليام) تحقيقاً حينئذ علت الانتسامة وجوه أعداء الروحانية لأسهم لم يشكوا في أن كروكس سوف ينتهي إلى هدم كل الادعاءات الشائعة، ولكن على العكس اقتنع كروكس تماماً أثناء التحقيق وبشر تقريراً بذلك. غير أن اشمثزار زملائه العلماء من هذا التقرير جعلهم يقررون أنه كان مربية الخداع. وفي المظاهرة التي حدثت بعد ذلك انطبق مستر كروكس بشجاعة قائلاً: «لم أقل إنه ممكن بل قلت إنه حقيقي».

وفي السنة التالية في عام ١٨٧٢ قرر هوم أن يتقاعد، وكانت قصية ميراث مررعة روجته قد حصنت لصالحه وأصبح مالكاً لأرض روسية، وعاش بعد ذلك أربعة عشر عاماً حتى الثالثة والخمسين من عمره متقلاً بين روسيا والرفيرا الفرنسية مصيباً وقته، ولكن مع زوجة جميلة أخرى ودخل وهير وأصدقاء من المعجبين يستضيفونه، ولا يمكن القول إنه عاش تعيشاً في آخر عمره.

جاء في المقال المكتوب بالموسوعة البريطانية عن هوم بأنه «اللعبر الذي لم يتم حله» وهي حقيقة لكنها ليست كما قصدتها الكاتب، فمن ناحية هوم كان هناك لعبر بالفعل، إذ أنه ورث قوى معساية غير عادية عن أمه (ونقل هذه الصفة أيضاً إلى ابنه جريشا) وهكذا استطاعت الأرواح أن تعمل من خلاله.

وكما رأينا لم يسبح في إقناع بعض من شاهدوا أعماله الفنية، فقد طرأ للورد ليتون أن هوم هو الذي يسبب الطواهر بنفسه بطريقة ما. وربما يوافق معظم الساحئين المحدثين على قبول نظرية الروح، ولكن هناك شيء واحد بطل وأصحاً بكل

من يقرأ تلك الحكايات عن ظواهر هوم كما سجلها لورد ادارى والسر وليام كوكس وهي أن الأرواح ليست فقط التصير السيئ، ولكنها في كثير من الحالات هي التفسير الوحيد. ويمكن أن يفسر منه كبيرة من الظواهر فقط إذا ما راعينا وجود دكاء غير مطور، وهذا فلا بد أن يعرف بأن معظم الباحثين في حوارى العادات سوف يصدون في يوم من الأيام قرب أو بعيد إلى نتيجة نهائية بأن الأرواح موجودة بالتأكيد. إنهم يفعلون ذلك بتردد كبير، وقد يكون من الأسب أو الأكثر تمشياً مع المطلق لو أسا استطعنا أن نفسر كل الظواهر في ضوء وجود قوى غير معروفة في عقل الإنسان. ولعل لأمانة تقتضي التسليم بأن ذلك غير ممكن، وأن تلك القوى لا توجد إلا في حانة دانييل دونجلاس هوم.

٤ البحث النفساني يبلغ الإرشاد

إذا القينا نظرة على التاريخ الماضي للروحانية فسيظهر لنا بلا شك أن الأرواح بدت جهوداً متفكراً متعمقاً عليه لإقناع الميكثوريين بأنها حقيقة. وإذا كان هذا هو الوضع فبالتالي سينصح أن الأرواح قد أحطت أيضاً في حساباتها، ذلك أن قادة رأي العام في العصر الميكثوري من السياسيين والمفكرين ورجال الكنيسة طلبوا غير مكترئين بها، كما أن معظم العلماء كانوا على عداء شديد لها وفي العقد التالي لوقوع «اندقات في هورفيل» حاولوا بإصرار هدم فكرة الروحانية بالسخرية منها

وكان من الصعب توجيه اللوم إليهم، فلو أنهم اتبعوا مسلكاً آخر لما وصموا بأنهم ميكثوريون، فإن أفضل عميراتهم المثلة في شعورهم بالقلق على المستقبل وعلى التقدم العلمي والتفني الهائل، وإمكانية إدخال إصلاحات اجتماعية، جعلتهم يدبرون ظهورهم لخوارق العادات وكان هكسلي T H Huxley يعبر عن هذه الروح بعاصفة من السخط البالغ كلما حاول أحد أن يستدرجه لحضور جلسة من تلك الجلسات فيقول «إذا حاول أي شخص أن يمحى موهبة الاستماع إلى نثررة معجائز، ورعة الأبروشيات فقد يحدوها مذهنة على غير ما يتوقعون. وحيثما بدأ ألفريد راسل والاس عمله كمدرس كان متشككاً ومن أتباع فولتير، ولكن حيثما ذهب ليستمع إلى محاضرة عن المسمرية وجد في نفسه الرغبة أن يجربها في تلاميذه. وأنت أحد التلاميذ أنه تابع جبر بصورة غير عادية، فحيثما وضع نفسه موضع العشية أحد يردد ما في عقل والاس، فحيثما كان والاس يحزن نفسه بدسوس، يصبح التلميذ من الألم ويضع إصبعه على نفس موضع الوجع، وحيثما يعض بعض بلورات السكر بفموم نفسي بحركات المص أيضاً وبعد خمسة عشر عاماً أصبح والاس نفسه من المشاهير، فقد شارك في اكتشاف التطور بالانحجاب الطبيعي مع داروين، بل إنه هو

الذي سمح لداروين أن يصفه في إعلان ذلك وفي عام ١٨٦٥ حصر ولاس جلسة في منزل أحد أصدقائه من المتشككين. شاهد المائدة الثقيلة تتحرك وتهتز في وضوح النهار بينما تتعالى أصوات الدقات في أرجاء الحجرة، فأقعه ذلك، وبعد مضي عام قبل سيدة شابة صحبة الجسم تسمى أنجي بيكولاس راقبها بدهشة وهي تظفر طائرة في الهواء وكانت أنجي أيضاً قادرة على إلقاء أشياء من الهواء. وحيثما تساءر والاس عما إذا كانت الأرواح باستطاعتها أن تقدم رهرة عماد الشمس سقط أمامه عن ادئده عود عامل من سات عماد الشمس طوله ست أقدام بالتربة العالقة بحدوره ولم تكن أرواح أنجي تفعل أشياء غير كاملة، فهي مناسبة أخرى حيثما طلب منها شخص بعض الرهور تساقط من الهواء شلال من الرهور كما لو كان محتوى محل رهور كامل. وحدثت أروع أعمال الأرواح في عام ١٨٧١ حيثما أصبحت أنجي ذاتها (وكانت متروحة من رجل يدعى جوي) هي الشيء الذي يسقط من الهواء. كانت جالسة أمام مائدة الطعام تعمل حساباتها، فاحتمت فجأة، كما لو أن الأرض ابتدعتها وعلى بعد أربعة أميال كان بعض الروحانيين المتحمسين جالسين أمام مائدة وأعيهم معتقة يستجدون الأرواح أن تتعطف عليهم بدليل صغير. فإذا تصادم عيب أمامهم أدى إلى صيحات عالية، وحيثما اشعل أحدهم عود ثقاب وجدت مسر جوي ممددة كالخيل على المائدة. وكانت كراسة الحسابات في يدها. ولكن الأرواح أحطت بها أيضاً، فانتقل مسر جوي لمسافة أربعة أميال طافية في الهواء أدت إلى صحت شديد، ولكن كانت تجتذب آلاف الناس لتجتمع حول معابد الروحانية.

كان والاس واثقاً من أن باستطاعة مسر جوي أن تقع المتشككين، وبدأ دعي عدد من أكثر الأشخاص عداوة للروحانية هم البروفسور كارستر W B Carpenter ولبروفسور جون تيدال John Tyndall ولويس S H Louiss كما دعي جورج أليوت روح الكتنة الروائية. وجاء كارستر وجلس صامتاً وسط قصف الدقات ثم مضى دون أن يعبق، ولم يحصر ثابته، كما لم يحصر تيدال الذي اقتصر تعليقه على قوله «فيعرض لنا شيء آخر» أما لويس فقد رفض الحضور كما فعل هكسلي من قبل، وكانت هذه هي المناسبة التي قال فيها هكسلي إنه لا يستطيع أن يوجه اهتماماً للموضوع.

ورغم رفض العلماء أن يصدقوا أعيهم وإدائهم ظلت الطوهر المسمية متريفة على عرشها في لحم المفكرين الفيكتوريين، فأولاً وقبل كل شيء كان على العلم أن يفسر لعموم لا أن تجاهلها، فبعض العلماء من أمثال وليام كروكس مكتشف عنصر

الثالث يوم كون شعوراً شأ عنها، وقرر أن يحثها معه وحسب رأي الكونشرب في
د. حل قصص تعرف الموسيقى التي بطلها في حين يمكن دانييل هوم ها من أحد
حاسبها فقط، عدم أنه يتعامل مع قوى غير معروفة وأدى سرعة تصديقه إلى أن يهر
أولاده رؤوسهم عجباً، ثم فيها بعد حيناً أقر بأن السيدة التي سمى فلورانس كوك
ونتي محصم لسموم كاتي كيج قد حُسمت في أنحاء الحجرة كاس حقيقة أشاع لبعض
عها أنها أصبحت عشيقته كشم لتعاونه معها

وشعر عالم الرياضيات تشارلز دوجسون الذي كتب قصة وأليس في بلاد
البعث أنه ضرورة وجود تفسير ظاهر، وأنه لا يمكن إهمال الظاهرة هكذا، وكتب في
عام ١٨٨٢ لأحد أصدقائه يقول:

إن عملية الخدع لا يمكن أن تقدم كتفسير كامل لكل الظواهر... وإنني لأكثر من متفجع
بدك، وفي الوقت نفسه أرى أن لا حاجة بنا أن سرفص الاعتقاد بأن الأرواح غير المجسدة ليس لها
شأن بتلك الظواهر... كل شيء يبدو كأنه قوى طبيعية موجودة ترتبط بالكهرية ولقوى العصية التي
تجس مع قدرأ عن أن يؤثر في النح، وأعتقد أننا نقرب حداً من اليوم الذي سوف نصف فيه صسر
القوى العظيمة

كان ذلك هو الهدف المثالي أن تتعقب تلك القوى غير المعروفة وتعطيها
صفتها، وكانت هذه هي الطريقة الفيكتورية لمع إحياء الشعودة والمشكلة الرئيسية
هي أن الأرواح عاباً ما حولت أبطار المتشككين الذين حاولوا إثبات عدم وجودها
مثلاً كانت هناك حالة معقدة خاصة بعضو الكونجرس الأمريكي روبرت ديل أويس
بحل المصحح لإجتماعي العظيم روبرت أويس وكان روبرت أويس معكراً حراً طوال
حياته حتى قبل الوسيط الأمريكي مسر هايدن، ثم أعلى وهو في الثالثة والثمانين
من عمره انتباهه للروحانية. أما ابنه الذي كان كذلك معكراً حراً ومصلحاً اجتماعياً
فقد عصب غصاً شديداً وقرر أن الرجل المعجور قد أصبح مخرفاً آنذاك كان يشغل
وظيفة لقائم بالأعمال الأمريكي في نابلي وفي عام ١٨٥٦ استدرجه السفير البرازيلي
ليحضر إحدى الجلسات التي يقيمها في مسكه وهالك شاهد أويس المائدة وهي
تتحرك بدون فعل آدمي، وقرر بساطة أنها مجرد ظاهرة كهربائية عسية، ولكن أراد
أن يعرف كيف تعمل، ولذلك شغل خلال السنين الثلاثين قراءة كتب عن مسارية
ولمناطيسية الحيوانية، وواصل حضور الجلسات، وقابل هوم الذي كان آنذاك فاقداً
لقواه، ولكن الحكايات عه جعلته يشعر بضرورة اعتصار إمكانية مسئولية لأرواح

عن هذه الطواهر نتيجة لذلك اقتح فكتب كتاباً بعنوان «وقع أقدام على حدود عالم آخر» واكتسب هذا الكتاب شهرة كالتى اكتسبها كتاب «مزر كرو» الخائب للسل من الطبيعة» كان كتاب أوبن شاملاً يصم مناقشات دقيقة مليئاً بأحداث الاكتشافات في العلوم الحديثة. وتتضمن بعضاً من أرفع حالات الاستشفاف المقعة، والمعرفة المسعة، والأشباح المرعبة، والصور الذهبية للأحياء العائين، ولكن من المشكوك فيه أنها افتتحت العلماء

ولم يكن الدليل العلمي هو الشيء الذي غير الاتجاه لصاحب الروحانية، وإنما كان السبب في ذلك هو بصال الفيككتوريين للتوصل إلى اليقين الديني ففي ذلك الوقت كان المفكرون مصابين شيء يسمى «الغست» Angst، وهو نوع من الخرع الذي يظلم بحرية فيحوم حول الإنسان تميز العصر الفيككتوري بوجود الشك بمعه الخفي، وكان من أكثر الكتب انتشاراً رواية بعوان روبرت اليسمير Robert Elsmere للكاتبة همفري وارد تدور أحداثها حول أحد رجال الإكليروس يمر بتجربة الشكوك ويشعر بالتزام بأن يترك حياته قد نرى في هذه لفكرة شيئاً من الحرية لتقوم ابييلين ووع E Waugh بإثارة السحرية في كتاب الانبياء والسقوط - ولكن سبب ذلك هو أننا تأخذ الشك على أنه قضية مسلمة، ويصعب أن نتصور ما يمكن أن تكون عليه السعادة المؤكدة للمولود في المنزل الفيككتوري المحترم من حيث الخلاص، ومن ناحية الهامات الكتاب المقدس وحقيقة التعاليم التسع وثلاثين للأطفال في العصر الفيككتوري كانوا يشاؤون على الاعتقاد في أن آدم خلق بانتحديد سنة ٤٠٠٤ قبل الميلاد، وأن أي تشكك في أمور الدين أمر مشين تماماً كأن يكون لرجل سكيراً أو المرأة مومساً لذلك حينما كتب سير تشارلز ليل Sir Charles Lytle كتابه عن مبادئ الجيولوجيا عام ١٨٣٠، وذكر أن عمر الأرض يبلغ ملايين السنين شعر الفيككتوريون بصدمة كثورة بركان وسط ميدان الطرف الأخر، وبدأ يساورهم الشك وكان من بين المسائلين الأشقياء الرومفور هنري سيدجويك Proff Henry Sidgwick الذي كان يعمل في كلية التثليث في كامبردج، إذ أقنعه الشك كألم الصرس طوال حياته وفي عام ١٩٦٩ حينما بلغ الحادية والثلاثين من عمره أحس برعة في الاستقالة من منصب الرمالة في كلية التثليث لأنه لا يستطيع إلا أن يقر التعاليم التسعة والثلاثين للكيسة الإنجيلية، وكان رملأؤه متعاطفين معه وفي اللحظة التي سقطت فيها الاحتمارات الدينية عادوا فميسوه في مصه، وأحد يكتب كتابه المشهور

عن الأخلاق الذي أهله معارته أن محاولات الإنسان للعشور على أساس عقلائي
للسلوك الإنساني مصيرها الفشل.

وأصبح تلاميذ سيدجويك ينظرون إليه على أنه مقراط آخر، وكان من بينهم شان
لامعون منهم آرثر بلغور الذي أصبح فيما بعد وزيراً، وإدموند جارثي وريت
أحد الصحاب (الكويكر)، وفردريك مايرر محل أحد رجال الإكليروس، وكان من
رملاء كنية التثليث الذين شعروا بلزوم الاستقالة بسبب الشك الذي ساوره

وفي إحدى أمسيات ديسمبر ١٨٦٩ رار مايرر أستاذه القديم وخرج معه للرهة
في الهواء العلق، كان ذلك في السنة التي استقال أثناءها سيدجويك من منصب
الرئاسة لا شك أن الدين كان هو الموضوع المثار آنذاك، ورغم أن أبا مهيا لم يستطع
أن يعترف نفسه مسيحياً إلا أنها لم يقبلأ أيضاً أن يكون الكون آلة عظيمة، أو أن
الحسن البشري قد خلق بمحض الصدفة وكان مايرر هو الذي طرح التساؤل مع
شيء من التسليم عما إذا كانت الفلسفة قد عجزت عن حل لغز الكون، وري لم تكن
هناك فرصة للإحابة بالبرهان على موضوع الأشباح والأرواح، ولئن لم يشعر أي مهيا
بتداول كبير، إلا أن سيدجويك واصل تأملاته الطويلة في الفكرة وبخاصة حين أعلن
كروكس في السنة التالية أنه شارك في تحقيق دانييل دوغلاس هوم فقد أدى لهجوم
على كروكس إلى إثارة الإحساس عندهما بأن يلعب دوراً عادلاً، ففي عام ١٨٧٣ كونا
شبه جمعية للتحقيق في الروحانية وحواري العادات، وكان مايرر قد أصبح مفتشاً في
التعليم مما هيا له وقتاً لحضور الجلسات، ولكنه وجد العمل غير مشجع في أول
الأمور، إذ بدأ يشك في أن في ذاته شيئاً يجعل الأرواح تتعبد، ثم مر بتجربة أدت إلى
إقناعه فهي جلسة حضرها مع الوسيط تشارلز وليامز، وهي من الجلسات التي
استقرت فيها مسز حوي على المائدة، ظهرت في الهواء يد مجسمة أمسك بها مايرز
وأحسن مه وهي تصغر وتصغر حتى اختفت دون أن تترك أثراً لا يمكن أن يكون
ذلك نوعاً من الخداع، ومن هنا بدأ مايرر يبحث نجد عن مريد من الأدلة، وكرس
جهده كله للبحوث النفسانية مع غيره من أمثال آدمون جوري E. Gurney، واثر
بلغور، وسيدجويك، ولورد رايلي Rayleigh العالم الذي اكتشف عنصر الأرواح
ونصم إليهم رجل الإكليروس ستانتون موريس Stanton Moses الذي كان يعمل
أيضاً كوسيط للكتابة التلقائية، وساعدت عمقريته الظاهرة على إقناع مايرر
وكانت هناك دفعة جديدة من جانب أستاذ الطبيعة الإيرلسدي وليام ساريت لدي

كان يدرس في الكلية الملكية للعلوم في دبلن. وعلى مثال راسل والاس أصبح باريت من
لهمين بالمساربه. وحينما كان يقيم مع صديقه في مركز وستميت استدرج بعض
أطفال لقره ليحضرهم للتويم المعاطبي، وأثت إثنان مهم قدرتهم على أن يكونوا
وسطاء مختارين. ولاحظ باريت في تجاربه مع أحدهما مثل ما سبق أن حبه والاس مع
تلاميذه أو أتباعه قبل ذلك بعضدين من الرمان وهي «المشاركة في الإحساس»، «حيثما
وضع صديقه يده على مصباح مشتعل سحبت الفتاة الصغيرة يدها كما لو كانت تحشي
الاحترق، وحيثما تدوق بلسانه قطعة من السكر انتسبت الفتاة، وحيثما تدوق الملح
امتصت. وأثت تلك الفتاة أيضاً أنها قادرة على قراءة أفكار باريت. وفسر الأستاذ
لمشكك كابتر هذه الظاهرة بقوله «إن الناس تحت تأثير التويم المعاطبي يصبحون
على درجة غير عادية من الحساسية، ولذا يمكنهم أن يتعرفوا على الأصوات والروائح
غير المحسوسة». ولكن هذا لا يفسر كيف أن الفتاة استطاعت أن تحمل فوق رأسها
كتاباً به حله ورقة من أوراق اللعب وتصف تلك الورقة بدقة.

وكتب باريت بحثاً عن هذه الحالة وأرسله إلى الجمعية البريطانية في لندن، وكان
متوقفاً ألا يلقى هذا البحث اهتماماً، ولكن الذي حدث أن والاس الذي كان رئيساً
للجنة لسر ألقى بثقة لتأييد باريت، ودعم رفض اللجنة للبحث إلا أن والاس تأكد
تماماً من أن الأستاذ مايرز قد اطلع عليه.

وحد باريت آنذاك حالة أخرى أدهشته، هي أسيرة أحد رجال الإكليروس واسمه
كريري، كان يعيش في باكستون بمقاطعة دربي شاير. له سات تميزن بأن لعنتهن
لمقصنة هي «لعبة الإرادة» بأن يجرح أحد الأشخاص من الحجرة، ويفرر الآخرون في
أنفسهم ما يريدون أن يعمل هذا الشخص، وفي حضور باريت قدمت سات كريري
الأربع «لعبة الإرادة» عدة مرات دون حدوث أي فشل.

تقابل باريت مع مايرز ورملائه المحققين في لندن، واقترحوا أن يششوا جمعية
للتحقيق في هذه العوامص. وكان كل من مايرز وجورني مترددين لأنها اعتقد بأنها
بدلان قصارى جهدهما، ولكن رعة باريت تعلت وتكونت جمعية البحوث النفسية التي
عقدت أول اجتماعاتها في فبراير سنة ١٨٨٢. وكان معظم أعضائها مؤسسين من
مجموعه كمريدج وهم مايرز وجورني وسيدجويك (وروجه الياسور) وبلفور وباريت
وريسي ووالاس. وسرعان ما انضم إليهم العديد من الشكوريين المشهورين مثل

تيسون وجلادسون وبومسون (مكتشف الإلكترون) ومارك نويز وحيون روسكين والسير أولفرلودج والرسام هردريك لايتون وح واسي.

لم يكن لدى الجمعية أي اعتراض على أن ينشكك أعضاؤها لأن هدفها هو تطبيق المنهج العلمي على «عالم النفس» ومحاولة إثبات تواجده أو إنكاره نهائياً. وكان من أهم نتائج تكوينها أن وافق مايرد وحيوري على قبول الخدمة التي عرضها أحد موطعي البريد من اشتككيين ويسمى هرايك بودمور الذي كان إيمانه بالروحانية قد اهترأهتراً شديداً عام ١٨٧٦ نتيجة للمحاولة التي قام بها كاتب الألواح الوسيط هنري سليد Henry Slade (وكان السير راي لانكستر المعادي للروحانية قد استطاع أن يمسك بالروح قبل أن تقوم الأرواح بإملاء الرسالة ووجد أن عليه رسالة مكتوبة بالفعل. ورغم أن الأدلة كانت لصالح سليد إلا أنه أدين على أساس أن الكتابة بمعرفة الأرواح تعتبر انتهاكاً لقوانين الطبيعة واعتبر بذلك من (المحتالين).

وكانت نتيجة لمشاركة في العمل بين الاتجاهات الثلاثة ظهور كتاب كلاسيكي بعنوان «حيالات لإحياء» The Phantasm of the living الذي ظهر عام ١٨٨٦ واستغرق تأليفه أربع سنوات. وأصدرت الجمعية أيضاً إحصاء لأسباب الهوسه أثبت فيه أن من بين كل عشرة أشخاص شحوا واحداً على الأقل تمر به تجارب الهوسه.

وأخيراً أصبح بإمكان الأرواح أن تنكس اعتقاد العالية العظمى من الجمهور البريطاني، ولقد رأب فيما سبق أن الوسيط هوم، ومسر هايدن ومسر حوي لم يواجهوا مشكلة إقناع البعض لأن الفرصة كانت أمامهم مواتية. والحقيقة أن الجمعية قامت بعمل جيد بأن أثبتت واقعية وجود اهلوسة البصرية والاستشفاف والحاطر والتوحد خارج حشد دون مدعاء للشك. ويجمع في ذلك المؤلف الذي ظهر في وقت مبكر كأحد إبداعات مايرد وعنوانه «الشخصية الإنسانية وبقاؤها بعد الموت» والذي سيتولاه بالدراسة الفاحصة في الفصل التالي.

نكر، من العجيب أن ذلك كله لم يؤثر إلا تأثيراً بسيطاً أو لم يكن له أي تأثير إطلاقاً على الرأي العام، ذلك لأن كثرة المشاهدين الذين اشتروا كتاب «الحجاب للبي من الطبيعة» وكتاب «وقع أقدام على حدود العالم الآخر» لم يهتموا بقراءة المؤلفات لصحة الملية بالاعترافات الموقعة من أصحابها والمحصن التفصيلي للأدلة، وشعر

بعض المتشككين مثل هكسي والسير راي لانكسز بأنه لا لروم لقراءته نظراً لأن أي شخص يعتمد في ذلك الهراء لا بد وأن يكون معصلاً يصدق الأمور بسهولة

كان هناك مع الأسف عامل آخر مع عامة الناس من أن يسطروا بحذبة إلى جمعية البحوث النفسانية وخلال العشرين عاماً الأولى من تكوينها ظهرت سلسلة كاملة من العروض رودت المتشككين بكل الأسلحة التي يريدونها، وكانت النتيجة أنه في حوالي عام ١٩٠٢ أصبحت الجمعية أشبه ما تكون بمكاهة أكثر من كونها جمعية لها مكانتها على الأرض

وكان من أكثر الاستعراضات تأثيراً هداماً ما حدث سنة ١٨٨٠ أي قبل تكوين الجمعية سنتين وذلك بأن ضغطت الوسيطة فلورانس كوك التي كانت تعمل مع وليام كوكس في محاولة حذاع على يد السير جورج سيتويل والد كل من أدبت وأوسرت وشاشيمريل كانت فلورانس وسيطة تجسيد وحلست في حجرة حفاضة الأصواء فوق دولاب، وبعد دقائق قليلة ظهر من الدولاب جسم مدثر بثوب أبيض شفاف أحد يتحدث مع الحاضرين، وقدم نفسه بأنه ماري التي تجسد نفسها بمادة مأخوذة من جسم الوسيطة وفي أثناء مرورها أمام مقعد سيتويل قبض عليها بشدة، وأصاء أحد الأشخاص الأنوار فتبين أن ماري هذه هي فلورانس كوك بملابسها تداحية وفوقها ذلك الرداء الشفاف الأبيض، ثم عثر بعد ذلك على الملابس الأصلية لفلورانس داخل الدولاب.

رغم أن انكشاف الحقيقة كان أمراً واضحاً إلا أن الروحانيين قبلوا التعليل الذي ذكرته فلورانس للموقف وهو أنها كانت آنذاك في عيوبة، وأنها لا تعلم ما حدث لها وسرعان ما وقف السير وليام كوكس يدافع عنها، وكان قد ذكر في عام ١٨٧٣ أن رجلاً يدعى فولكمان أمسك فحاة بروح كانت تمشي في أرجاء الحجرة وتعرف نفسها بأنها السيدة كاتي كينج التي كانت معروفة آنذاك، ورغم أن أحد الحاضرين أن ساقى كاتي وقدميها احتضت وهزت من قصة فولكمان بالصعود إلى أعلى كالمنسربة، وصارع الحاضرون نحو الدولاب فوجدوا أن فلورانس ما زالت في داخل الدولاب بملابسها السوداء وأررارها محكمة، ولم يعثروا على أي أثر في الدولاب للرداء الشفاف الأبيض الذي كانت تلبسه كاتي

ووصف كروكس أيضاً كيف أنه ذات مرة أمسك بدراع كاتي في إحدى

الجلسات ووجدها محنة كأي امرأة عادية. ومن مطلق الشك سألها عما إذا كانت
موريس في الدولاب موافقه كافي ودخل كروكس إلى الدولاب ووجد فلورانس في
عشية ترويجية كان ذلك بالنسبة لكروكس دليلاً كافياً، أما بالنسبة للمتشككين فإن
ذلك كان يشك أمرين. إما أن كاتي كانت أيضاً وسيطة أو أن كروكس كان كادياً

بعد هذا العرض الذي قدمه سينويل جلست مؤلفة تسمى فلورانس مارسات
مع الوسيطة موريس داخل الدولاب، وربطتها بحبل وظهرت ماري كالعادة وسارت
وسط الشهود، ولكن فلورانس تأثرت بذلك وتفاعلت لفترة من الزمن

خدع كروكس بلا شك على يد ابنة أحد الخسرات المحترمين وتسمى روزيا
شاوور لم يكن هناك ما يدعو إلى التشكك في أمرها إذ كانت ترفض أن تتفصي أي
أخبار عن الجلسات التي تنظمها وتظهر أثناءها شخصية في ثياب بيضاء وكان
كروكس قد بتكر احتياري بسيطاً ليمس فلورانس كوك من المحادثة بأن تعمس يديها
في صبع موني قبل الجلسة ثم يمحس يد كاتي كبسح حياء تظهر. ولقد مرّت كاتي
كبسح في لاحتار سجاج دون صعوبة، ولما طبق هذا الاحتار على روزيا كانت يداها
مصوغتين، وأراد كروكس أن يتعاصى عن ذلك، فربما كانت الشخصية التي ظهرت
قد حلت في مادة روزيا، ولكن روزيا لم تستطع أن تكتم سرها طويلاً وأحبرت
لوسيطه الأمريكية آي فاي بأنها قد عشت بالعمل، وأحبرت كاتي فاي بدورها
كروكس الذي طلب أن يحاطب روزيا على انفراد فاعترفت بخدعتها ووعدت ألا
تكرر ذلك مرة أخرى ووعدتها كروكس ألا يذيع السر بيد أن هذا السر سب له
صديق لشديد وعرفت والدته روزيا بهذا الاجتماع السري فوصعت لها قيوداً سيئة،
وكان على كروكس أن يتقبل مصيحته بهدوء حيث أن مسر شاوور أذاعت الأمر بين
أصدقائه واتهمته بأنه يتصرف مثل كارابوفا ويعتصب الوسيطات، وانتشرت الإشاعة
بأنه صاحب فلورانس كوك حياء كان يستجوبها في منزله فاضطر كروكس أخيراً أن
يعبر فرره بأن البحث النمساوي بسب من المتاعب أكثر مما يستحق وتحلى عن نشاطه

وفي عام ١٨٨٨ وقعت فضيحة مردوجة، فقد حدث أن سات كريزي الأربع
سلائي كن يمارس لعبة الإرادة وبن بها إعجاب باريت الذي جعله يشيء جمعية
البحوث نمائية صطن في عمله خداع خاصة وأهن كن دائماً موضع احتار مد
اكتنهم باريت، بسب ذلك في مصايقة شديدة لمن قاعرفن بانكارهن سوع من

الرموز والإشارات البسيطة المتعددة التي تساعد في التمييز على ورق اسف
مثلاً، إشارته إلى أعلى للورق وعلاقة القلب وإشارته إلى أسفل للإنسان وهكذا
وعرفهم بإصرار بأنهم فردون الفهم بذلك الخداع مؤجراً، فصدقهم كل من مدير
وحواري واعتبرهم لم يمارس الخداع في الاحصاءات الأولى، ولم يصدقهم أي أحد من
الآخرين

ولعل الأسوأ من ذلك كله أن الأختين فوكس اللتين بدأت الحركة الروحانية
بعروضهما اعترفتا أمام جمهور من الناس بأبهما محادعتان وفي عام ١٨٨٨ كانت
أرملة في الخمسينات من عمرهما، تشربان الخمر بكثرة، ولم تعد دقائق الأرواح
تحدث هبهم الناس كما كانت من قبل ومن جهة أخرى كانت الأخت Leah
تمارس بمحادثة، إذ كانت هي وأخواتها على اتصال كلامي، والخضفة الأخيرة بذكر
هذا هو أن ليه هي أول من مارس تقليد التحميم حينما عرست نفسها في حفلة
حضرها روبرت ديل أوبن عام ١٨٦٠ في غاب كامل من قماش أبيض وأحدث تمثلي
في أرجاء الحجرة وكان من الصعب أن تعمل مع وجود بعض المؤيدين هـ من أمثال
أوبن أما أخواتها فقد لقين صعوبات جمة في حياتهن، وبرع المجتمع أضعاف كيث منها
حمية هم من قسوتها ونتيجة لاستعراقها في الشراب وأرادت مارجريتا أن تهرب إلى
انجلترا أو تدعى إلى شخص يكفلها، ولكن دفعنها المراهة إلى محاولة الانتحار ففكرت من
سسمية أثناء رحلة عودتها، وكانت أقوى رغبة عندها هي أن تستند بظهرها على أختها
الكبرى ليه فلم عادت إلى أمريكا انتهت فرصة حديث أحد المراسلين بصحفيين
معها لتعلم أن كل أصوات الدفات كانت خداعاً وفي ٢١ أكتوبر سنة ١٨٨٨ ظهرت
هي وكانت في ساحه أكاديمية الموسيقى في نيويورك واعترفت محررين أنها كانت تعمل
أصوات الدفات بواسطة مفصل مردوح في إصبع قدمها وعرضت نماذج من أصوات
الدفات البارعة، ولم يكن بأي حال من الأحوال مثل تلك الدفات الرعدية التي كانت
تهز حجرة النوم في منزلهم في هايدرفيل، ولكن المشاهدين كانوا على استعداد
للتصديق، واستطاعت محررينا وكبت أن يقتنسا الإسرار البالغ ١٥٠٠ دولار بينهما
وخرج المراسل الصحفي روبرت دافسورت الذي نظم الاعتراف ليكتب كتاباً أسماه
«الصرمة القاصية للروحانية». وأبقت الأختان مبلغ الألف وخمسمائة دولار على
الخمر وبعد فترة قصيرة كتبت محررينا إعلاناً تسحب فيه الاعتراف وأعطته لأحد
الروحانيين الأثرياء الذي سمح لها بأن تعيش في شقة بملكها وجعلها إدمان الخمر

عمر محتمله كفاطنة في شقة، وأصبح عليها أن تحلي الشقة ثم ماتت عام ١٨٩٥ ودفنت في جبانة الفقراء، وسرعان ما لحقت بها أختها كيت واستعادة لذكرى الأحداث كان أهم شيء في الاعتراف أن كيت كانت جالسة إلى جوار أختها على المسرح صامتة تماماً، ولم تنكر الاعتراف ولم تقدم أي معلومات عن الطريقة التي اتبعها الخداع الجمهور خلال الثلاثين عاماً الماضية. وستنتج من ذلك بوضوح أنها وافقت على المشاركة في المصنوعة من أجل السعيانة وخمسين دولاراً، ولكنها رفضت أن تذهب إلى ما هو أبعد من ذلك.

ومن لاحتياطات الأخرى التي واجهت البحوث النفسية المنظمة الوسيطة الإيطالية المعروفة أيوسابيا بالاديسو كانت فلاحاً أمية صحمة الجسم (مثل كثير من الوسيطيات) اكتشف أمرها في سبيل عام ١٨٧٢ وكانت في الثامنة عشرة من عمرها وتعتبر أقوى وسيطة عرفت بعد دانييل دونجلانس هوم. عرفت بأن المقاعد كانت تتحرك بحول أو تراجع أمامها حينما تكسر فيها أو نوميء لها، أو تتعلق في الهواء، وكانت قادرة على الارتفاع في الهواء والاستلقاء كما لو كانت فوق فراش. ولقد قام المحقق الخاصي لومبرورو بالتحقيق معها لأنه كان يشكك في أصالة عملها، ولكنها كانت شخصية غير مستقرة تنصف بالعنف والاندفاع والخبث، وكانت إذا خرجت من عشيتها انتويمية تدرس الجسم علناً مع أي رجل يستهويها. وأسوأ من ذلك أنها كانت تمارس الخداع، وما هو أسوأ أن خداعها كان ظاهراً لا يصعب اكتشافه على أي شخص حتى لو كان غير مدقق. ورعيت أيوسابيا نفسها أن مصدر ذلك الخداع كان الأرواح المعادية. وربما صدق ذلك أو كذب (لأنها في أغلب الأحيان تكون مستيقظة أثناء قيامها بالأعمال) بيد أن الطواهر الأخرى كانت مذهلة لا تترك مجالاً للشك في أن فيها خداعاً وعشاً واضحين. ولقد وجد المنجم الفرنسي كاميل فلاماريون تفسيراً أفضل لذلك الخداع الذي كانت تمارسه بعد أن ظل يراقبها فترة من الزمن. فبعد الجلسات التي تحدث فيها طواهر حقيقية قبل طواف آلات موسيقية في أنحاء الحجرة في الوقت الذي تكون فيه أيوسابيا مربوطة في مقعد لاحظ أنها تكون معلة مشددة، وقد يستمر اعتقالها مدة ثمة يومين، فلا يبقى في معدتها أي طعام تأكله، ولا عجب في ذلك فإنها كانت تحاول أن تمارس خداعها. وحينما ذهبت أيوسابيا إلى إنجلترا عام ١٨٩٥ اختبرتها جمعية البحوث النفسية في كمبريدج بحضور محضر الأرواح ماسكيلين. ولم يكن

مصيبوها في انجلترا أقل تساهلاً في موقفهم معها إزاء الخداع المفرط من موقف
لامبرورو ولذا قدموا ضدها تقريراً دقيقاً أقنع كل المتشككين بأن الجمعية لا مصلحة لها
في حمايته المحالين وأدى ذلك التقرير إلى انتشار انطباع عن أن معظم الوسطاء
مخادعون، وأن أي إنسان عاقل لا يصح أن يصيح وقته معهم

عانت الجمعية عام ١٨٨٨ من صربة قوية أخرى هي موت واحد من أدكي
باحثيها هو ادموند حوري، كان قد ذهب في يوبه إلى بريتون في مهمة عمصة وعثر
عنه ميتاً في فراشه بالمندق صبيحه اليوم التالي وكانت بحواره رجاحة كلوروفورم
وفوق وجهه كيس اسفحي وتقرر من التحقيق أن وفاته حادثة وقعت حينما كان
يتناول الكلوروفورم لتهدئه ألم في أسنانه، غير أن هناك إشاعات دعت في جمعية
البحوث النسابية أنه انتحر كان حوري منشعلاً باحتار طاهرة تخاطر بعض اشباب
في بريتون، وأعجبه ذلك وكان على أحد المتحاطرين معه أن يسافر بسرعة إلى جنوب
أفريقيا بسبب قضية طلاق وبعد عشرين عاماً من ذلك نشر عتافاً يعلن فيه أنه كان
يحادع باستمرار ويقال إن حوري اكتشف أنه كان مخدوعاً فيه مدى سين طويلة، فهو
كان صادقاً، فلا بد أن ذلك يؤدي إلى هدم كل البحوث النسابية^١، وأياً ما كانت
الحقيقة كان موته حسارة كبيرة للجمعية

وفي عام ١٨٩٨ تورط مايرر في قضية صعبة كان لها تأثيرها على درجة احترام
جمعية البحوث النسابية، قابل مايرر في أواخر الثمانينات فتاة جديدة تسمى داجور
دريتش مايرر، زعمت أنها تنتمي إلى أسرة من الطبقة الراقية تعيش في المرتفعات،
وأما مستشفه، لمح مايرر فتتها بعين فاحصة، وسرعان ما كان هناك اقتناع لديه ولدى
الفتة بأنها رفيقا روح، وظهرت أدلة تؤكد المصاحبة بينهما، إذ أن مايرر استدرجها
في محاولة الكشف البللوري، وأحس أنها أثبتت نتيجة حاسمة، حيث زعمت أنها
استطاعت بالنظر إلى الكرة (البللورية) أن يحدد مكان المفتاح المفقود، وتذكره دواء،
واستخرجت من البللورة عواماً كانت قد قطعت من قبل وكتب مايرر بحثاً عن ذلك
ظهر في مجلة الجمعية (وسماها فيه مر اكس) لم يكن لدى الجمعية ما يدعو للشك في
هذه القناه ذات المشأ الطيب لأنها من أسرة طيبة، وأولاً وقبل كل شيء لم يكن لديها

(١) Trevor H. Hall, The Strange Case of Edward Gurney (1964)

دفع للكذب ولعل ما لم يعرفه مايرر أن هذه الأسة الرفيعة السب جودريتش فراير كانت أسة طبيب بيطري يعمل في ابنحهام وكان اسمها فراير، وكانت في الثلاثين من عمره حينما قابلها مايرر، ولم تكن مراة كما ادعت، وكان الكذب مرصها، ولم تظهر دوافعها أداً ولكن ربما كان كدسها لمجرد احتداد الأنظار إليها

أرسلت الجمعية الأسة جودريتش - فراير إلى الهايلندر (المرتفعات) من أجل مطرة فاحصة أخرى على الموضوع كله، وتبين فيما بعد أنها استعارت عخطوة من قيسر يجمع الأدب الشعبي، ونشرت مادته باسمها وحينما أرسلت للتحقيق في أمر من مسكون بالأرواح في منطقة سوري أحررت ملاك المنزل بأنها لم تشاهد شيئاً، ولكنها ذكرت لجمعية البحوث العسائية أنها رأت شبح امرأة مقعدة حينما كانت تصنع ملابسها لتخرج إلى العشاء، فأدى ذلك إلى إثارة الشك عندهم، ولكن يبدو أن الأسة جودريتش فراير بجاديتها وحس سلوكها كانت فوق الشكوك

وفي عام ١٨٩٧ نشرت الإشاعات عن أن قصر باليشين في اسكتلند مسكون، وأقنعت عدداً من أعضاء جمعية البحوث العسائية بتأجيره لها كي تقوم بالاصطيد فيه، وزعمت أنها حينما كانت هناك شاهدت كل أنواع الطواهر غير الأرضية من دقات ثقيلة وإيقاع دقات، وصيحات أشباح، وحطوات مرابية وموجودات غير مرئية، وأنه كان هناك شبح مزعج يرق أعطية الفراش، وشبح راهبة تاعها وهي تتحون من وادي قريب من المنزل والعريب حقاً هو أن الصيوف الدين كانوا يأتون للإقامة مع مس جودريتش فراير لم يقابلوا أيأ من هذه الطواهر المحيمة، ولكنهم سمعوا دقات امرادية ووقع أقدام وحينما عادت إلى لندن أحدثت تؤولف كتابها بعنوان «الأروح المرعومة في منزل باليشين»، ولكنها أقامت حينما فاحأها أحد من استصافتهم وهو كالندر روس Callender Ross من خلال البريد بمقالة مشورة في جريدة التايمر بعنوان «في أعقاب الشبح». كانت لهجة المقال مليئة بالنشكك ولم تحل من السحرية، وفيها تسلل المراسل العاصب بين أعمدة التايمز التي أصحح واصحأ من حلاها أن تأخير الجمعية للبيت من أجل الأسة جودريتش فراير كان مظهرية كاديه، وكان من الطبيعي أن يعصب مالك المنزل لما أصابه من سمعة سيئة نتجة نلك الدعيات أما مايرر الذي كان من الروار المنتظمين لمنزل باليشين فقد وجد نفسه مبرماً بتأييد موقف لأسة جودريتش فراير، ولكن حينما وجهت روجه صاحب المنزل

الاتهام على صفحات جريده التايمز ضد جمعية الحوٲ النسانية سارع وأعلن أنه كان
مد مدة طويلة يعارض في شر ملاحظاته وسرعان ما كتب أحد الرواد الآخرين
يعارض ذلك ويقول إن مايرر أئدى عرمة على أن يؤكء سكى الأرواح في المر
وعصت الأسة حوءريتش فراير شءه حبسا شعرت بذلك التحلى غير ارحولى من
حاب مايرر وعمر مسر كالدن روس عن الشعور لعام حبسا أشد إلى وعود «شك
واشمئزار يشره الاتصال الوثيق بجمعية الحوٲ النسانية» وحبسا شرت حوءريتش
فراير كتابها عن باليشين كان الشعور المي ما زال قائماً.

ربما كانت هذه المصيبة هي التي مست مرص مايرر لءى قءه عام ١٩٠١
كم أن حوءريتش فراير نفسها شعرت برود من حاب الأعصء الآخرين في جمعية
الحوٲ النسانية وفي التعليق الءى كتبه فرائك ياءور عن كتبها، سها لكابية
وهناك دليل^(١) عل أنها صطت تماءع في جلسة من جلسات دقات اءائءة عام ١٩٠١،
وقررت أن تترك انحلثرا إلى القدس حيث تزوجت برحل بصعورها سنة عشر عاماً
سقطاعت أن تقعه بأها أصعر مه ستيب، ومات عام ١٩٣٠ وهي في اارابعة
ولسعين من عمرها، ولكنها طلئت تكذب حقى الهاية، حتى في شهادة وفاتها ذكرت أنها ٥٦
عاماً.

هذه لمصانع غير المقولة من وسبطات يكتشف ملباسهن لءاحية وأشبح
بمفاصل مردوجة في إصع القدم، وغير ذلك، كان لها بكل أسف تأثيرها الءى أءى
إلى وصف جمعية الحوٲ النسانية بأنها جماعة من البلاء عريبي الأطور، ولكن بما
سظروا إلى الورا إلى القرن الماصي لاسقطعا أن يرى أن إءارثها حلال العقدين
الآخرين من الرمان كانت إءجازات مءهشة، فقد بدأت نجيب عن السؤل: هل
يمكن أن ساءد حوارق العادات بعبءية أم أنها مجرد مجموعة من روايات لمءائر
والأوهام؟ ولعل الءى يسب الدهشة بلا شك أن الرواء الأوائل أصبحوا يؤكءون
لءيل الواصح على أن هناك شءصاً واحداً على الأقل من بين كل عشرة أشخاص
مصاب بالهلوسه، وأن الكثير من الناس قد شهدوا ظهور الأءرب الراحلين، ومارسوا
تجربة التواءء خارج الجسد

وحبسا تءءث كالدن روس عن الشك والاشمئزار الءى نثيره جمعية الحوٲ

John & Campbell and Trevor Hall. Strange Things. 1968 P. 211 (١)

المصائب إنما كان يعبر عن مشاعر معظم أصحاب العقول السوية من الناس تجاه موضوع مرض الحوث المصائب، ولكن كون الأمر مرضياً أمراً لا يمكن استعداده ولقد أدى المجتمع إلى صعوبة تجاهل الأمر نتيجة لتراكم الكثير جداً من الأدلة الإنجيلية. وتعل كتاب «الصور الذهبية للأحياء» يعتبر من بين أكثر الكتب التي كست تعمماً، ولكن صفحاته الدالة التي صفحة مليئة بالحالات التي بخطر العقل أن يعترف بأن الأمر ظاهرة يجب مواكبتها.

وبطراً لأنها حصصاً مساحة كبيرة للفصائح وكشف الحالات من المناسب أيضاً أن تبقى نظرة فاحصة عن بعض بوغيات من التراهير التي أدت في النهاية إلى إضاع الرواد الأوائل بأنهم كانوا يتعاملون مع حقائق.

في الحادي والعشرين من أكتوبر سنة ١٨٩٣ ذهب الأمير فيكتور دوليب سم من المهرح إلى فراشه في فندق في برلين كان يقيم فيه مع لورد كارمارفون وقيل أن يظفي، الأور بخطر في أرجاء الحجرة فرأى في الحجاب الآخر منها صورة معقنة في إطاره وشدة دهشته رأى فيها وجه أبيه ينظر إليه وفي ملامحه صرامة، واعتقداً أنه الصورة تشبه صورة أبيه فام من فراشه لتأملها فوجد أنها في الحقيقة صورة فتاة تحمل زهرة وهي واقعة في شرفة وفي صبيحة اليوم التالي وصف الأمير فيكتور، ذلك بورد كارمارفون وكان الأمير قد رأى صورة أبيه الذي كان مهراجاً في ذلك الوقت سي كان فيه عن فراشه فاقد الوعي بعد إصابته بصدمة ومات بعد ذلك ساعات قليلة.

وفي ليلة السادس عشر من أكتوبر سنة ١٩٠٢ استيقظت روجة أحد حراس السكة الحديد من نومها في الثالثة صباحاً لشرب الماء، وكانت وحيدة في فراشها لأن روجها كان في توبة بيضاء، وكانت الحجرة مصاة إضاءة خافتة بمصباح زيتي وبسما هي تنظر في الماء رأت صورة عربات تصادم مع بعضها، ولاحظت أن وحدة منها دمرت تدميراً شديداً، فقلق على روحها فربما وقعت له حادثة وفي الساعة صباحاً عاد الروح إلى الممر فأحبرته بما رأت فأحبرها بأن حادثة وقعت بالفعل أثناء الليل في الخط الحديدي وأنها بالخط كذا رأت.

ولعل انقطة العربية في هذه الحالة هي أن الروح مر على موقع الحادثة مرتين إحداهما كانت في الوقت الذي رأت فيه الروحة الصورة في كوب المياه ثم رها مرة

أخرى بعد أربع ساعات حينما كان القطار الذي يستغله عائداً ولكن حينما مر بها في المرة الأولى كان الظلام عميقاً فلم يشاهد ما حدث، وكانت الدنيا أصعب في الساعات السابعة صباحاً فاستطاع أن يرى منظر الحادث بوصوح كما رآته زوجته على صفحة الماء في الكوب طبعاً ربما يكون الزوج قد شاهده في اللاوعي وليس وهو واع، ولكن إذا كان ذلك نوعاً من التحاظر إذن يكون قد استطاع أن يوصل في زوجته أشياء أكثر مما كان يراه بوعيه

ربما كانت أشهر الحالات هي التي سجلتها جمعية البحوث النفسية في ٩ يولييه سنة ١٩٠٤ حينما عانى الكاتب الروائي رايدر هاجارد Rider Haggard من كابوس أو حلم مرعب حتى أن زوجته هرتة ليستيقظ رأى في ذلك الكابوس أن كذب ابنه الأسود بوب مستلق على جانبه وسط الحشائش بجوار بعض الماء، ورأسه في وضع غير طبيعي بزاوية يبدو منها أنه كان يحاول أن يخرجه أنه يموت.

أخبر هاجارد أحياناً هذا الحلم في اليوم التالي فلم يزعجها الأمر لأنها كانت قد رأت الكلب بوب مساء اليوم السابق سليماً معافى ولكن فيما بعد أثناء انبهار تير أن الكلب قد اختفى. وعثر على جثة الكلب طافية في نهر قريب بعد ذلك بأربعة أيام إذ صدمه بالصدفة قطار نصف الليل من تلك الليلة التي رأى فيها هاجارد الحلم، واستطاع فيما بعد أن يكشف أن الحادث وقع بالضبط قبل أن يستيقظ بضع ساعات

وفي مارس سنة ١٩١٧ كانت مرس دوروثي سيرمان في حجرته بالمصدق في كلكتا تطعم وليدها، وكانت استهوا الأخرى أيضاً معها في الحجرة وأحست بوجود شخص وراءها فطرت إليه فوجدت أحاساً لأمرها الدريد بويار بوار وفقاً لحلمها وكان صديقا في سلاح الطيران الملكي هذا طبعاً للعافية، وظلت مرس سيرمان أنه عيب في الهند وحاء لبراهما وتحدث معها طويلاً، ولكنها حينما انتهت من ارتضاع ويدهف وجدت أن أحاساً قد اختفى، ومن الواضح أن ابتهما لم تره ثم علمت مرس سيرمان فيما بعد بقتل أخيها برصاصة فوق الخطوط الأمانية وكان ذلك بالتقريب في نفس الوقت الذي رآته فيه.

وفي ديسمبر ١٩١٨ كان الملازم لاركن Larken ل.ل.ل الصديق في القواب الخفية يكتب خطاً في كراس الخطابات حينما سمع وفد أقدام شخص سر في البحر

الخارجي، ثم فتح الباب وظهر صديقه الملازم دايفد ماك كويل بصيح - هالوب صديقي، والتفت لاركن فرأى ماك كويل واقفاً وعمكاً ممكس الباب فقال له مرحباً، فاجابه ماك كويل «أجل رحلة سعيدة» وكان مكلفاً بقيادة طائرة إلى مطار قريب، ثم احتفى ماك كويل بعد أن أغلق الباب بحفاة شديدة

وحينما علم لاركن بعد ذلك نصح ساعات أن ماك كويل قتل في حادث تصادم دبث المساء، اعتقد أن ذلك قد وقع له بعد أن راه، وفي الحقيقة كان ماك كويل قد قتل تقريباً في نفس اللحظة التي راه فيها لاركن يعلو الباب

ولقد أصبحت الحادثة التالية أيضاً من الحوادث الشهيرة، وتعتبر واحدة من أحسن الأدلة على الحياة بعد الموت هي بوبه سنة ١٩٢٥ رأى جيمس شافين الذي يقطن في مقاطعة كوني سولايه كارولينا الشمالية حلمًا مؤداه أن أمه واقف بحواره بمعطيه الأسود القديم ويقول له «ستجد الوصية في جيب معطمي» كان والد جيمس شافين قد مات مد أربع سنوات تاركاً مودعته لانه الثالث مارشال، ولم يترك شيئاً لزوجته أو لأولاده الثلاثة الآخرين الذين لم يجدوا مودراً للمطالبة شيء

في اليوم التالي أسرع جيمس شافين إلى أمه، وسأفا عن معطف الوالد الأسود القديم فأخبرته بأن أحاه جون أحده ووجد المعطف في مرل جون ولك فحصه جيداً وجد ورقة مطوية ومحيطه داخل الحيب الذي أشار إليه والده في المسام وفيها عبارة «اقرأ الأصحاح السابع والعشرين من سفر التكوين في الكتاب المقدس القديم الذي تركه أبي».

وأحد أحد الحيران كشاهد، وعاد جيمس شافين إلى أمه بالمرل، ووجد في صفحة الإصحاح المشار إليه وصية أخرى كتبت في تاريخ نال لتاريخ الوصية الأولى التي أعطت كل شيء لمارشال شافين، وفي هذه الوصية تقسيم للممتلكات على الروحة والأحوة الأربعة كان رد الفعل الأول من جانب مارشال هو إنكار الوصية برعم أب مزورة، ولكن بمجرد أن فحصها ما كان منه إلا الاعتراف بصحتها، وشهد عشرة شهود بأنها مكتوبة بخط شافين الراحل، وبذلك أعيد تقسيم الممتلكات وفقاً للوصية الجديدة

ولعل الانطباع الأول لدى القارئ سيكون مشابهاً لرد الفعل الذي حدث لمارشال وهو التشكك في وجود حدة ولكن الأعضاء الكثيرين لجمعية المحوث

انتمائه الدين سمعوا بالحادثة، اسأحروا محاماً للتحقيق في الموضوع وبحثت أصالة الوصية وبعدها عن أي شكوك. أما عن دلالة الأصحاح السابع والعشرين من سفر تكوين فهي أن هذا الأصحاح يشمل على قصة يعقوب وكيف جدع أباه لأعمى إسحاق وجعله يعطيه ميراث أخيه عيساو. يبدو أن هذه الفكرة قد طرأت على ذهن شافين العجور قبل وفاته بهذه قصيدة فكتب الوصية الجديدة، ولكن بدلاً من أن يشهد عليها الشهود وضعها داخل الكتاب المقدس معتقداً بلا شك أنها سوف يعثر عليها بعد وفاته مع ما توقعه من موقف أنه مازال. ولسوء الحظ أهملت نسخة لكتاب المقدس ثلث ربما لأن الأسرة لم تكن متدنية، ومن ثم يبدو أن المزارع لعجور أراد بعد أربع سنوات أن يلصق النظر إلى تعبير ما كان في قلبه

حصصت مسر كرو فصلاً كاملاً في كتابها «الحجاب الليلي من الطبيعة» مثل هذه الحالات، فصمته رسائل مهمة وصلت عن طريق اهلوسية المصرية في أحلام يظهر فيها أشخاص. فنذكر على سبيل المثال جرّاراً رأى في منامه أنه سيتعرض للاعتداء عليه ويقتل وهو في طريقه إلى السوق على يد رجلين في ملابس ررقاء، فقرر أن يذهب إلى لسوق برفقة حار له. وحينما وصل إلى المكان الذي رأى في منامه أن الحادث وقع فيه رأى فعلاً رجلين في ثياب ررقاء ينتظران هناك، وكل ما تجربا به مسر كرو عن تفصيل الحادث هو أن الحرار اسمه هوسون، وأنه كان يسكن في هوي توب، ويصعب علينا أن نعتبر أن هذه تفاصيل مؤكدة. أما تقارير جمعية لبحوث المسامية فإنها تحتوي على مثل هذه الحالات الأساسية ولكن مع اهتمام خاص بالحصول على توقيعات على الاعترافات من كل من لهم صلة بالحالات مما يجعل الأمر أكثر إقناعاً. فهي إحدى الحالات المثالية التي وقعت عام ١٨٦٩ حالة روحين عرف باسم مسر ومسر «ب»، كانا مستلقين في الفراش بحجرة حافة الأصواء حينما رأت مسر «ب» رجلاً في ثياب كتياب الصايط البحري واقفاً محوار الفراش، وكان «العاس قد عبد روحها، فلمست ذراعه وبادت «ويلي، من هذا الشخص؟» فرد روحها عاصفاً «ماذا تفعل هـ يا سيدي؟» فرد البحار مبادياً «ويلي» وقهر مسر «ب» من لفراش وإد بالرحل يسير عبر الحجرة ويختفي في الخدار. قالت مسر «ب» إنه يشبه الإنسان المحسم، وأن طله ظهر حينما مر بحوار المصباح.

ولتاكدتهما أنها قد شاهدتا شخصاً فإن مسر «ب» بدأت تفكر فيما إذا كانت كثرثة

قد أصابت شفقها الذي يعمل في السحريه، وحيثما ذكرت ذلك لزوجها قال لها «لا»، بل إنه أبي»، وكان والد مستر «ب» قد مات منذ سنوات.

بعد هذه الرقعة أصاب المستر «ب» بحرص حظيم لعدة أسابيع، ولما شفي أحرر روحته بأنه كان في صائفة مائية، وأنه قل أن يرى هذه الطاهرة كان قد قرر أن يتمسك بالصيحة من شخص معين أدرك الآن أنه ربما تسبب في القضاء عليه، وربما أسدده الأمر إلى السحر، وكان مفتعاً بأن الشخ جاء ليحذره من ذلك الفعل

لا تعتبر هذه الحالة في مضمونها أكثر إقناعاً من الحالة التي وقعت للمستربون في هوني تاو، ولكن جمعية البحوث البصائية حصلت على اعترافات مكتوبة من مستر ومستر «ب» ومن صديقين آخرين كانت مستر «ب» قد أحترتها بالحكاية بعد وقوعها مباشرة مما يدل بالإمكان أن نرفض اعتبار هذه الحالة حلاً أو هلوسة مشتركة أو حتى بساطة مجرد كذبة، ولكن الاعترافات الموقعة تجعل الأمر يبدو على الأقل خلاف ذلك

ومن النقاط الهامة بالنسبة لهذه الواقعة تعليق مستر «ب» عن أن الشكل الذي ظهر به كان يشبه الإنسان المحسم العادي - كما تفعل معظم الأشباح - وإن لها طلاً ظاهراً، فمن الواضح أن هذا التعليق يوحي بأنه كان مكروباً من مادة صلبة مثل التحسيم الذي يظهر به في المحررات التي تعقد فيها الجلسات

وهناك مدار من نوع آخر يبدو أنه دخل بوصوح في الحالة المعروفة باسم «الخدشة الحمراء» وهي حالة خاصة بناحر متقل عرف باسم «ف. ج.»، كان في ححرته بالصدق في مدينة سانت جوزيف بولاية ميسوري سنة ١٨٧٦، وأدرك بأن هناك شخصاً يجلس أمام المائدة. كان ذلك الشخص هو اخته أبي التي ماتت منذ تسع سنوات بالكوليرا، كانت تبدو تماماً كأنها حية، عدا خدشة حمراء على جديها الأيمن. وانحنفت حينها قفز ف. ج. واقفاً على قدميه.

صدمه هذا الحادث حتى أنه ركب القطار من هوره عائداً إلى مرل والديه في سنت لويس، وحيثما أحرهما بالخدشة الحمراء سقطت أمه معشياً عليها ثم أفاقت فأحبرتهم بأنها قد حدثت وحه الخثة بالصدفة ثم عطفها بالمساحيق وأنها لم تذكر ذلك لأحد.

بعد أسابيع قليلة. ماتت الأم وهي سعيدة، معتقدة أنها سوف تنضم إلى رفيقة أبيها المقصدة ومن الواضح أن الابن اعتقد أن ظهور الأخت هكذا ممثلة أمه

كان نوعاً من نهيئة الأم للموت. ويعتبر هذا موضوعاً آخر يساير تماماً التقارير الخاصة بظهور الموت ورؤيتهم في المراش التي جمعتها جمعية البحوث النفسانية. ولقد حصص السير وبام باريت فيما بعد كتاباً كاملاً لهذه الحالات. كانت أول حالة افصح بها ذلك الكتاب بمثابة نموذج للدقة التي كانت جمعية البحوث النفسية تتقدم بها في تحقيقها.

كانت روحه باريت تعمل في جراحة التوليد بمستشفى الولادة في كينتاون بشمال لندن، وكانت هناك امرأة أطلقت عليها اسم مسر «ب» تحت الجراحة، وتعاني من هبوط في القلب. قالت لليدي باريت وهي تمسك بيدها «الديب تطم» وكبو قد أرسلوا لاستدعاء والدتها وروحها. ثم نظرت مسر «ب» إلى جانب آخر من الحجرة وقالت «شيء جميل» «فألقتها ليدي باريت «ما هو الجميل؟» فردت قائلة: «شعاع الجميل». أشياء مذهشة» ثم صاحت «ما هذا، إنه أبي» وأحسروا لها وليدها لئلا، فسألت هل تعتقد أن بقائي ضروري من أجل الوليد؟ نوحته إلى أبيها وقالت «لا أستطيع البقاء»، وحينما وصل روحها نظرت إلى الجانب الآخر من الحجرة وقالت «ماذا؟ فيديا هناك»، وفيديا هي أختها الصغيرة التي ماتت قبل ذلك بأسبوعين، ولكن أخفي أمر موتها عن مسر «ب» لعدم إثارة أحزانها، ثم ماتت بعد مسر «ب» بعد ذلك مباشرة.

أجمعت كل من ليدي باريت والمرضة والروح والأم على أن كانت واعية بأقاربها من الموت حتى لحظة وفاتها. وبالدقة المعهودة من باريت حصل على خطاب من أمها يؤكد فيه كل ذلك وكانت هذه هي أول حالة ذكرها باريت عن أناس على حافة الموت يرون أقاربهم الذين لا يعلمون بموتهم، ويشير باريت إلى عدم وجود أي حالة معروفة عن شخص في سكرة الموت يرى شخصاً ما زال حياً.

قدم السير أوليفر لودج الذي تولى رئاسة جمعية البحوث النفسية مرتين، حالة من أكثر الحالات إقناعاً عن الاتصال بالموت، وقد سجلت في كتابه بعنوان «رايموند».

ففي ٨ أغسطس سنة ١٩١٥ تلقى السير أوليفر لودج رسالة من وسيط في سومرست هو ليونور بايبر Leonore Piper تتضمن إشارة عامصة إلى قصيدة شعر لشاعر الروماني هوراس عن شجرة أصابها الصاعقة. وكان تفسير لودج لذلك بأن إصدار لوقوع كارثة. وتبين من محتوى الرسالة أنها جاءت من فريدريك مايرر الذي مات

مد أربعة عشر عاماً وبعد أسوع من ذلك سمع لودج أن ابنه الأصغر راييموند قد قتل في معركة أيريس.

أظهر عدد من الوسطاء بعد ذلك عدداً من الرسائل التي يصل إليها جاءت من راييموند، ولكن ظن لودج عبر معتنع، فمعظمها من السوع الذي يحمل أحياناً عن قصائده أوقاتاً سعيدة في عائلته. ولكن حدث بعد شهر من ذلك أن روجة لودج صحت صديقة له إلى جلسة من الجلسات التي تعقدها إحدى مشاهير الوسيطيات وهي مسر أوسبرن ليونارد. لم يكن هناك أي تعارف سابق بين ليدي لودج وبين تلك الوسيطة، ومع ذلك فإن مسر ليونارد أعلنت أنها تحمل رسالتين من راييموند ويقول فيها إنه مذل ودينه وهو يقاتل عدداً من أصدقاء أبيه. ولما طلب منه ذكر اسم أحدهم أجاب باسم «مايرز»

ووصلت رسالة أخرى من راييموند إلى ليدي لودج عن طريق وسيط آخر يسمى فوتو ترر، وفيها أن راييموند يتحدث عن صورة فوتوغرافية يظهر فيها مع مجموعة من الناس ويذكر فيها عكاراً. ولم تكن أسرة لودج تعرف شيئاً عن هذه الصورة. وبعد شهرين كتبت السيدة والدة أحد الصباط رملاء راييموند رسالة تقول فيها أن لديها صورة جماعية يظهر فيها راييموند، وعرضت أن ترسل نسخة منها. وقبل أن تصل الصورة، قام لودج بنفسه بزيارة مسر ليونارد الوسيطة، ولما تم لمسومها السيطرة عليها أعدت فيدا عن حضور راييموند، انتهت الفرصة ليسأل عن الصورة الفوتوغرافية، فشرحت له أنها صورة ملتقطة في الهواء الطلق، وأن أحد الأشخاص الموجودين بالصورة أراد أن يسحق فوق راييموند. وحينما وصلت الصورة بعد ذلك بيضع مسوت ظهرت فيها مجموعة من الأصدقاء خارج النكات، ورايموند جالس أمام الصف معصاً وضعها فوق رحله. وكان الصباط الجالس حلقه متكئاً على كتفه.

هذا ويعطي لودج في كتابه أمثلة أكثر تدل على بقاء راييموند، ولكن هذا الدليل كما يذكر ليس دليلاً مقنعاً لأنه أتى عن طريق وسيطين كلاهما تحدث عن الصورة قبل أن يعرف لودج شيئاً عن وجودها، وبذلك رفض وجود أي نوع من التحاظر في الأمر.

ولكي يصل إلى خلاصة لهذا الفصل نقدم هنا مثلاً أخيراً عن نوعية الظاهرة التي أحيثها مسر كرو وغيرها من الكتاب الأوائل في موضوع من موضوعات حوارق الطبيعة وهو موضوع التلبس الكامل بالروح.

في فبراير سنة ١٩٣٢ رفض أثناء مظف المداخن صمويل بول أن يذهبوا إلى فراشهم للوم، وهم مصرون على أن هناك شخصاً خارج باب منزل الصغير (كانوا يسمون في حجرة بالدور الأرضي في ذلك الوقت التماساً للشقاء من برية اسرد لي حاققت بهم) وبطرت والدتهم ماري إدوارد خارج الباب ولكن لم يجد أحداً وبعد ذلك مباشرة شاهدت هي والأطفال شكل صمويل بول الذي كان قد توفي في يولييه لسائق راوه يسير عبر الحجرة ويصعد الدرج (وكان معلناً) فصاحوا كانت هذه مرة من مرات عديدة ظهر فيها الرجل الميت في كوخه بشارع اكسورد في مدينة رامسيري بمقاطعة ويلشاير ويبدو أن الشبح كان يدرك وجود أسرته، لأنه وضع يده مرتين عن جبين زوجته حين بل ونطق باسمها في إحدى المرات كان صمويل بول الذي مات بالسرطان يظهر مجسداً بحيث يشاهد بوصف لدرجة أن أطفاله لاحظوا بياضاً في مفصله التي كانت ظاهرة من تحت الجلد الشاحب، ولاحظوا أيضاً سمات أخرى على وجهه وبعد ظهوره الأول لم تعد الأسرة تشعر بأي تهديد، ويبدو أن الأطفال صاروا مدهوشين لا حائضين، ورغموا أن الشبح يبدو حريصاً بسبب الحالة السيئة التي يعيشون فيها فالكوخ تأكله الرطوبة وبعض حجراته غير صالحة للسكن، وفي المراتين الأخيرتين من ظهوره لم يعد الحزن نادياً على وجه صمويل بول، وأرجعت مسر إدوارد ذلك المظهر الحديد إلى أن الأسرة كانت بسيلها إلى الانتقال إلى منزل من منازل مجلس المدينة.

كانت الأسرة على وشك الرحيل حينما جاء باحثان محققان من جمعية البحوث المسائية وكان نائب الأسقف قد استجوب الأسرة من قبل وسجل تقريراً بما حدث، وبدأ العصب على وجهي المحققين لعدم إخطارهما بالخاصة في وقت مبكر، ولكن حدثهما مع الشهود، والدليل الذي أحلوه من تقرير نائب الأسقف جعلهم لا يتشككون في أن المنزل كان مسكوناً بالروح حقاً.

إن حقيقة وجود نوعيات متعددة من المشاهدات والظهور، بلغت النظر إلى نوع الحالات التي تم التحقيق فيها وبحثها بمعرفة جمعية البحوث المسائية خلال القرن لأول من وجودها ولا يوجد من بينها ما هو أعجب من الحالات التي ذكرها جوج سنلج أو كاترين كرو أو روبرت ديل أويس، بيد أنها كانت أكثر إقناعاً لأن الأعضاء من الباحثين المحققين بدلوها ما أمكنهم من جهود ليشتموا أصالة تلك الحالات

وإذا ما رعب أحد في أدق قصي الساعات الطوال يفلت صفحات المجلدات التي تصم
محاصر جلسات جمعية البحوث المسائية (الفرع الأمريكي منها) فلا بد وأن ينتهي إلى
الشعور بأن المرید من الشك مصيبة للوقت. فلو ثبت أن نصف الحالات المذكورة
مقلقة أو مرونة بطريقة خاطئة فيستظل النصف الآخر وهو كبير الكمية، ومن السهل
أن ندرك ما كان يسبب الصيق للدروفسور جيمس هايسلوب حينما كتب يقول

أظن أن وجود الأرواح التي محل بداتها على أنها أمر ثابت علمياً، كما أنني لا أشعر إلى أن
للمتشكك أي حق في أن يكلم عن الموضوع لأن أي إنسان لا يتقبل فكرة وجود الأرواح في محل
بدتها في أحسن، يعطياً دليلاً على أنه إما جاهل أو جاد، وأنا لا أعرف له، ولا أرى مافشة أي
أمر من أمرية معه على الإحلاق عن أحوال أنه لا يعلم شيئاً عن الموضوع

من الواضح أن للدروفسور هايسلوب مقصدين بالنسبة للمتشككين فقد قال
سير جون بلاند ساتون المبراح المشهور «إن الموت هو نهاية كل شيء» وأعلم من
حرق بكل من درسوا الموضوع علمياً أنهم توصلوا إلى نفس النتيجة. تعترف مثل هذه
لمعارة بساطة إلى روح الحقيقة، فهناك الكثير من المحققين الذين كانوا في أصلهم
متشككين، ومن بينهم هايسلوب نفسه امتاروا بصلابة الرأي لحد كبير، وكان
هايسلوب مكروهاً من زملائه أعضاء جمعية البحوث المسائية لأهم اعتراضه شخصاً
متشككاً لا يمكن تقويمه بيد أنه في كل حالة فردية أصر أحد المتشككين على شك
فيها أثناء دراسة التحقيق كان الأمر ينتهي إلى اقتناع لدرجة ما بوجود حياة بعد
الموت. وأقول هنا لدرجة ما لأن القليل من الباحثين المحققين مثل دكتور جاردنر
مورفي وأفسر لويس راين قد شعروا بأن معظم الحقائق يمكن أن تفسر أيضاً بـ قد
يسمى ما فوق الإدراك المتحاور للحواس (Super E S P) وقراءة الأفكار،
والاستشفاف وغير ذلك. ولقد ألقى هايسلوب نفسه في نهاية الأمر بطريقة ما فوق
الإدراك أو الإدراك المتحاور للحواس من خلال تجربة عرفت باسم «حالة اليخامات
الحمراء» إذ أنه تلقى رسالة من وسط في إيرلندا مؤداها أن روحاً تسمى نفسها وليام
جيمس طلست إليه أن يوصل إليه رسالة يسأله فيها عما إذا كان يتذكر بعض
اليخامات الحمراء. كان وليام جيمس الذي مات منذ عام ١٩١٠ قد التقى مع
هايسلوب على أن من يموت معها قبل الآخر لا بد أن يتصل، وأن الرسالة الخاصة
باليخامات الحمراء لم تكن تعني شيئاً عند هايسلوب في أول الأمر، ولكنه تذكر قصة
أنه حينما كان هو وجيمس في شاطئهما ذهبا إلى باريس معاً، واكتشفا أن حفائهما

تصل، فذهب هايسلوب لشراء بعض البيجامات، ولكنه لم يجد إلا بيجامتين لوسهما
أحمر وقمع سبي هايسلوب تلك الواقعة التي كان قد مضى عليها زمن طويل، وعلى
حد ما تراءى له لم تكن هناك أي طريقة لشرح رساله البيجاما الحمراء سوى في ضوء
افتراض أن وليام جيمس هو الذي بعث الرسالة جميعه

وبعد ست وعشرين عاماً من وفاة هايسلوب نقل عالم النفس كارل جونغ
عنه رسالة من رسائله فقد كان جونغ يعبر شخصية الأرواح التي تتصل من خلال لأرواح
قائلاً:

دأب مره بأفشت مرهات الهوية طويلاً مع صديق من أصدقاء وليام جيمس استاذ هايسلوب في
نيويورك، فاعترف بأن كل الأمور تؤخذ في الاعتبار وأن كل الظواهر العاصفة يمكن أن تفسر عن
طريق نظرية الأرواح بصورة أفضل من تفسيرها في ضوء بوعه وخواص بعض الباطن وهذا،
أحد، من واقع حربي، علمنا بأن أسلم بأنه كان على حق فلا بد أن أتأكد في كل حبه على
حدة، ولكن لا بد لي من المدى القوي أن أسلم بأن نظرية الروح تأتي في الواقع العلمي بتأثير
أفضل من غيرها^(١)

مع ذلك فمن الواضح أن جونغ لم يعلن هذا التسليم في أي عمل منشور به،
وحصل متمسكاً بأن الحقائق الخاصة بحدائق العادات يمكن تفسيرها في ضوء قوى
العقل الباطن^(٢).

أما فيما يتعلق بالبحث الذي بين أيدينا فسوف نتقل إلى افتراضات جونغ بأن
نظرية الروح أكثر مناسبة للحقائق من غيرها أما التساؤل عما رد كان ذلك حقاً
مطلقاً بالضرورة فإنه سيبقى حالياً موضوعاً مفتوحاً.

Collected Letters, Vol L. P. 431 (١)

Jung, The Lord of the Underworld, (1984) (٢)

إعادة اكتشاف تدفة فريجة

في حريف عام ١٨٦٣ مرت سيده اسمها سارة هول بتحرية هامة إذ شاهدت نفسها كشخص كانت جالسة على مائدة العشاء مع زوجها وروحها وأحريين، وشاهد الأربعة جميعهم مسر هول أخرى واقفة في الطرف الآخر من المائدة وكانت في ثوب منقط مختلف تماماً عما كانت بلبسه مسر هول قال روحها «لماذا هذا يا سارة؟» وبينا الجميع يحدقون فيها احتضت.

حالة مثيرة بدهشة لعدم وجود أي معقبات لها وكانت مسر هول ما زالت في صحة جيدة حينما كتبت إلى حوري نجره بالحكاية بعد وقوعها نحو عشرين عاماً، ومن ثم لم يكن الأمر بدير شؤم وبعد بضع سنوات من ذلك يبدو أن مسر هول حصلت عن ثوب منقط مثل الثوب الذي كان شحها يرتديه، ولم يكن لذلك أيضاً أي دلالة من أي نوع كان ولكن العصر الوحيد الذي كان له معنى هو تعليق مسر هول بأن لمرون لدي يسكنونه امداك كان فيما مضى مستخدماً للكيسة وسبق أن رايت لكثير من بكائس المسيحية عالياً ما كانت تقام فوق مواقع العبادات الوثنية، كما لو أن للأرض ذاتها سلطة ذاتية أو قوة جعلت القدماء يعترفونها مقدسة ولكن حتى هذه الحقيفة لا تقربنا من تفسير رؤية الأشخاص الأربعة الخليل المسر هول

وبو أن هذه الحلة كانت فرسدة من نوعها فلربما أدى ذلك إلى العصا عنها باعتبارها رواية فيها مراوغة، إلا أن هناك مشات التقارسر عن وجود الخليل الآخر في كتب السحوت لنفسه وليس ذلك أقل أهمية مما سجله الشاعر جوته عن رؤية مثله راكياً ومتجهاً نحوه في طريق الألراس وفي فراقه لعشيقته وكان الخليل يلبس حلة رمادية مذهبة، وبعد ذلك شاني سنوات كان جوته في طريقه لزيارة تلك الغناء بمر نفس النقطة وأدرك فحاه أنه يرتدي أمداك حلة رمادية مذهبة ولقد سجل روبرت

دبل أوين تفاصيل عن حالة خاصة بإحدى المجلات واسمها إميلي ساحي، كانت ترى مثلها يظهر في كثير من الأحيان واقعة بجوارها في الفصل. ولاحظ أحد السلايميد أن إميلي لأصديه كانت تبدو شاحنة ومعبلة حينما يظهر مثلها كما لو أن مادة المثيل قد أخذت من جسم إميلي ذاتها.

أمثال هذه الحالات تكشف لنا موضوع أنه مع وجود بعض نظريات مصونة شكلاً عن الأشباح والصور الذهنية أو اعلوية البصرية وأمثالها نوضح أن أما ما ربا يعتبر إلى نظرية شاملة تفسر ذلك كله. فحتى الاعتقاد في الأرواح لا يفسر من تفسير التجربة الخاصة التي مرت بها مسز هول.

كان فردريك مايرد الذي كونه جمعية البحوث النفسية يدرك تماماً هذا النقص، فبعد السادسة والعشرين من عمره بدأ مسيرته المحورية مع هنري سيري حويك حتى وفاته بعد ذلك بـ ثلاثين عاماً لم يتوقف أثناءها عن محاولة إيجاد غمض واحد تطلق عليه كل طواهر حوارق العادات، وظهرت نتيجة تلك الجهود بعد موته ستين في كتاب مؤلف بعنوان «الشخصية الشريفة وبقاؤها بعد موتها الجسدي»، ويعتبر هذا الكتاب بحفة رائعة، ربما كان أشمل الكتب التي تناولت موضوع حوارق العادات، ولكنه مع الأسف لم يكن معروفاً للقارئ العام بسبب عنوانه الخاص الذي يجمعه يبدو وكأنه مليء بحكايات من جلسات الأرواح ورسائل الأموات لا شيء يمتنع عن التحقيق، فهي محاولة طموحة لتصوير القوى العنصرية التي يشار بها العقل البشري، فمسألة الحياة بعد الموت قد قاربت التوصل إلى نهاية بشأنها.

ونظراً لأن هذا الكتاب غير معروف على نطاق واسع، ولأن ما توصل إليه من أمور مهمة للعامة مستأولة بشيء من التفصيل يبدأ مايرد في هذا الكتاب بمناقشة حالات مرصية بما سميها اليوم حالات «تعدد الشخصية» ففي ٧ سبتمبر ١٨٢٤ قتل رجان أناني كان مصاباً بالصرع اسمه سورجيل كان حطاباً يقطع الأحشاب في إحدى العابات. قام القاتل بقطع رأس الحطاب وقدمه معاً ثم شرب من دمائه، وحينما عاد إلى المدينة أحد يتحدث بصراحة عما فعله، وذكر أن شرب الدماء يشبه من داء الصرع كان معروفاً أن لسورجيل شخصية دكتور جيكل ومستر هايد الذي نمو وتظهر عنده ميول إجرامية أثناء السنوات التي نضيه. وبعد أسبوع من ذلك حادث حينما وقف أمام القاضي كان قد عاد إلى شخصية دكتور جيكل الهادئة

لهذه لم يكن مذكر أي شيء عن حريمه القتل وخرج بريئاً من الهممة وأودع في
مصحة أمراض عقلية

حكاية أخرى أوردها مايرر تعظيماً على الأقل مفتاحاً لحل أسرار الشخصية
المتعددة هي حكاية لويس فيفي، الذي كان في العاشرة من عمره حينما أرسل إلى دار
الطفولة عام ١٨٧٣، كان لويس يادي الهدوء والطاعة، ثم دخل بعد أربع سنوات في
معركة رهبة مع أفعى مما تسبب له في صدمة ظهرت عليه بعدها نوبات الصرع التي
يحدث له أثناءها شلل هيسيري في أرجله وأرسل إلى مصحة سوبهال حيث وضع
تحت الملاحظة واشتغل خلال الشهرين التاليين بحدوه كامل في أعمال الحياكة. ثم
مرت به نوبة استمرت يومين كاملين صحبتها نوبات عيفة وحالات من التشوش
وحينما أفاق احتفى الشلل، وأصبح شخصاً مغلفاً تماماً عن دي قبل، وفقد ذاكرة ما
حدث له من هجوم الأفعى كان عيماً عاشاً في السلوك، وبينما كان لويس السابق
لا يتعاضى الخمر لم يقتصر الأمر مع لويس الحديدي على أن أصبح سكيراً فحسب بل
به أصبح أيضاً يسرق الخمر من المرضى الآخرين

وبعد أداء الخدمة في البحرية وقضاء فترة في السجن بسبب السرقة أدخل إلى
مصحة روشفورت، فلفت حائه أنظار ثلاثة أطباء أصبح آنذاك يعان من شلل في
النصف الأيمن من جسمه، ومن صعوبات في النطق جعلته يطق بالألفاظ سيئة ورغم
صعوبات النطق لم يتوقف عن الثروة، وكان ميالاً للدعوة إلى الإلحاد والعنف

وشهدت ثمانينات القرن الماضي صحوة في الاهتمامات بمبادئ مسبار بما في ذلك
اعتقاده في وجود قوى حيوية يمكن أن تتحرك حول جسم الإنسان بواسطة مجالات
مغناطيسية، وكان الأطباء الذين يعالجون فيفي مهتمين بهذه التوعية من المبادئ،
وأصبح بالإمكان التخلص من الشلل باستخدام أنواع من المعادن، حينما جربوا
صرب درع فيفي الأيمن بالصلب ترك ذلك أثراً مدهشاً حيث انتقل الشلل إلى
الجانب الأيسر من الجسم، وبمجرد أن حدث ذلك عاد لويس فيفي السابق إلى رفته
ودمائه السابقة وفقد من ذاكرته تلك الشخصية التي تحول إليها بعد نوبة الصراع
الطويلة.

أصبح نديب ها حل للفر الذي لم يكن معروفاً لأطباء فيفي وهو أن صواط
الشطر الأيسر من محه تتحكم في الجانب الأيمن من الجسم، والعكس صحيح، لد

فحيثما كان الحساب الأيمن لمح المجرم فيفي مشلولاً تأثر الحساب الأيسر من محه، وأصبحت شخصيته هي المستفه من الشطر الأيمن من مح فيفي وما كان لشطر الأيسر من المح هو نصف الكرة المحبة الخاص بالكلام أصبح فيفي يثرثر ويهأىء، وأصبحت مشكله فيفي معروفة بوصوح، فلقد كانت طفولته صعبة، كانت أمه سكيره عيفة التصرفات مما حوله إلى شخصية مقهورة تنصف بالجن، أم الأبا الإحسائي عنده فيعيش في الشطر الأيسر من المح، وداته الموحودة في الحساب الأيمن أو الحدس لديه لم يكن له فرصة للتعبير عن العدوان والفهر ثم أدت صدمة الصراع مع الأفعى إلى تراجع كلي لصفة الجنس وهي الموحودة في ذات الشطر الأيسر من المح وتركزت فيفي لأخر يعبر عن نفسه، ومد ذلك الحين تحول فيفي إلى حالة كلاسيكية من حالات تعدد الشخصية

هذه الرواية التي قدمها مايرر عن هذه الحالة (وهي رواية تعطي انطباعاً على أنه قد استحوط لويس فيفي بنفسه) تنتهي بتعليق هام في الهامش، فهو يشير إلى أنه حينه وضع المعاطيس على رأس فيفي عاد إلى حالته المعتادة مرة أخرى إلا أن ذكرته توقفت عند اليوم السابق لصراعه مع الأفعى. ويبدو واضحاً تماماً أن لمعناطيس كان له مفعول، وأن العلم الحديث ربما أهمل اتجاهات هاماً من اتجاهات البحث

وبواصل مايرر مناقشة أمثلة أخرى لتعدد الشخصية فهناك حانة شهيرة لرحل يسمى أسل بورن، كان واقفاً في ركن في شارع بروفيداس في رودآيلند وقد ذاكرته وكان الشيء التالي الذي أدركه هو الاتجاه نحو حجرة عريية وفراش عريب وبعد شهرين كان في نوريس ناون بولاية سلفانيا وفي الوقت الذي ذهب بورن إلى سوريس استأجر محل حلواني وأدار العمل تحت اسم ح. براون، ولم يشك أحد في أن هذه الحالة هي حالة وهل أو فقدان ذاكرة.

ولعل الأعرب من هذه الحالة حاله كلارا فولر التي وصفها المعالج النفسي مورتون سريس وأطلق عليها اسم كريستين موشامب وفي محاولته لشفاء كلارا من الاكتئاب الشديد وإحضارها للتتويم المعناطيسي ظهرت بها شخصية أخرى مختلفة، شخصية طمعة ذكية لعوب أطلقت على نفسها اسم سالي، واستطاعت سالي أن تحل محل كلارا كلما شعرت بميل إلى ذلك واعتادت أن تمتع نفسها بهذا الخداع فكانت تذهب في برهات طويلة إلى الريف كانت سالي قوية شديدة الحمل كالبعل وتخرج

فحالة من حسدها لتترك كلارا مبهكة عائدة إلى مرلها وفي إحدى المناسبات استعادت سالي جسد كلارا عدة أسابيع، وذهبت إلى مدينة أخرى، وهناك حصلت على وظيفة مصيفة في محل ثم في النهاية خرجت عنه وتركب كلارا لتعود نفسها إلى بوسطن، وكانت سالي على مثال لويس فهي تثرثر بطريقة سيئة.

يبد أن حالة كلارا فولر تمتاز بأنها أكثر تعقيداً من ذلك فعندما نكون تحت تأثير التوسيم المعاطيسي تظهر شخصية نائمة أكثر نصحاء وانزاعاً من كل من كلارا وسالي ومن هنا بدأ أن تفسير الأمر بانقسام المح إلى شطرين، وهو التفسير الذي طلق عن لويس فهي، لا يمكن تطبيقه على هذه الحالة ويحاول مايرر في الفصل الذي خصصه للتوسيم المعاطيسي أن يجد تفسيراً جديداً، فهو يصف سلسلة من التحارب التي أجراها آدموند جورري ثم المرسيدجويك فيما بعد وكشفت عن أن بالإمكان إحضار معظم أساس للتوسيم المعاطيسي على مستويين أو عمقين مختلفين، وأن التاسع الوحيد يمكن أن يتم تويمه من خلال تسع أعماق مختلفة، فقد يوضع تحت تأثير التوسيم ويُلق بعض الحقائق، مثلاً تلقينه أن الصدق المحلي احترق من نوره، ثم يؤم بدرجة أعظم ويُلق حقيقة أخرى، كأن يقال له عن وقوع حادثة سكة حديد، ثم يرل به التوسيم إلى عمق ثالث يتلقى فيه حقيقة أو خبراً ثالثاً كأن يقال له أن امبراطور الماي قطع ريارته لملك فيكتوريا لأن أحد أقاربه مات، وهكذا وحيما يستعاد التبع من التوسيم فإنه يتذكر كلاً من هذه الحقائق حينما يصل إلى المستوى الصحيح لها، ولكن من تبقى في ذاكرته أي من الحقائق الأخرى التي لقها له التوسيم فاستط مايرز أن هذا قد يكون التفسير الخاص بتعدد الشخصية، فلكل منا طبقات أو مستويات مختلفة، وأن أي صدمة - مثل التي حدثت للويس فهي - يمكن أن ينجم عنها تأثير يشبه تأثير التوسيم المعاطيسي بنقل المريض إلى مستوى آخر من الشخصية. ربما يكون هذا التفسير صحيحاً أو غير صحيح، ولكنه يكشف لنا عن مدى إصرار مايرر في محاولته لإيجاد معنات لعوامض العقل الباطن.

يظهر ذلك بصورة أكثر وضوحاً في الفصل الخاص بالعمقية، فهو يقول. «إن للعمقية يجب أن تعتبر بمثابة قوة الاستخدام الواسعة للطاقت للقدراات التي هي إلى حد ما موروثة لدى الجميع». وهذا هو ما أدهش مايرر، فإن مثل هذه القوى ليست مصادفة، ولكن من المحتمل أن تكون موحدة في كل منا. وبواصل ذكر الكثير من

الرويات عن الأعمال العقلية المدة غير العادية، فهناك صبي في الخامسة من عمره اسمه سيامين ثلاث، كان سر مع والده فسأل عن الوقت، فرد عليه أبوه بأن الساعة الساعة والنصف، وبعد دقائق قال الصبي «في هذه الحالة أكون قد عشت مدة كذا» وذكر عدد الثواني التي مرت به منذ ولادته وحيثما عاد إلى المنزل أحد الوالد ورره وقام بحسابها وقال لانه «لقد أخطأت هناك ١٧٢٨٠٠ دقيقة زيادة»، فرد الطفل قائلاً «لأن لم أخطئ»، ولكيك نبت السنين الكيستين ١٨٢٠ و ١٨٢٤.

وتحدث مايرر أيضاً عن الأستاذ ترومان هيري سافورد الذي استطاع وهو في سن العاشرة أن يقوم بعمليات حسابية في رأسه تصل إحاطتها إلى ست وثلاثين رقماً، وكذلك عن طفل من أبناء المزارعين اسمه فيتوماس حيا مبلي كان يستغرق في التفكير نصف دقيقة ليستخرج الجذر التربيعي لأي رقم كبير مثل ٣٧٩٦٤١٦

وهناك حالة حديثة يمكن أن تصور لنا القصة التي بين أيدينا بوصف شديد، هي حالة التوأمين جون وميشيل اللذين كانا يقومان بحسابات التقويم ثم قضيا معظم حياتهما في مستشفى للأمراض العقلية في أمريكا وصعها انصالح الصبي أوليفر ساكس فرغم أن التوأمين كانا من الناحية العقلية أقل من المتوسط أي في درجة ٦٠ في اختبارات الذكاء، فقد كانا قادرين على تحديد يوم الأسبوع لأي تاريخ يعطى لهما في الماضي أو المستقبل على مدى ٤٠ ألف سنة مثلاً مرة عن يوم ٦ مارس ١٨٧٧ مطلقاً معاً الخميس، ولم تكن لديهما أي مشكلة بالسبة لأي تاريخ حتى لو كان سابقاً لساء الأهرام، ومع ذلك فمن العريب جداً أن التوأمين كانا يعديان من صعوبة كبيرة في عمليات الصرب والقسمة العادية، ولقد أجمع العلماء الذين درسوا حالتها على أن لديهما صيغة أو معادلة مسطحة ولكن الدكتور ساكس توصل إلى نتيجة مختلفة تماماً فقد كان حاصراً في أحد الأيام حينما سقطت عدة ثقاب على الأرض فقال التوأمين معاً في صوت واحد مائة وأحد عشر، وحيثما قام ساكس بعد أعواد الثقاب تبين أن عددها كما ذكر التوأمين، فألهما «كيف عرفتما ذلك؟» وكانت إجابتهما «أربابها» هكذا قام التوأمين بعد أعواد الثقاب وهي تتساقط، وأحياناً نفس الإجابة حينما سألهما ساكس «كيف حسنتا أن ٣٧ هي ثلث رقم مائة واحد عشر، يبدو أنهما قد شاهدا المائة واحد عشر تنقسم إلى ثلاثة أقسام.

New York Review, 28 February 1985 P. 16. (١)

وفي فرصة أخرى تنعها ساكس وهما يسيران كانا يرددان أعداداً، فيذكر أحدهم عدداً من ستة أرقام يحفظه الثاني في الوقت الذي يطلق فيه بعدد آخر من ستة أرقام، وهم ساكس يتدوين هذه الأرقام، وحينها عاد إلى منزله قام بدراستها بدقه، وكشف أنها جميعاً أعداد أولية (أي لا تقبل القسمة على أي رقم آخر بدون كسور أو بواقي مثل خمسة وسبعة وأحد عشر... وهكذا)

وحديثاً أن يذكرها شيئاً طريفاً عن الأعداد الأولية لا توجد أي وسيلة لمعرفة أن العدد لمكون من عدة أرقام عدد أولي إلا تقسمته على أعداد معينة (وكن ساكس يستخدم كتاب جداول عددية لذلك).

كيف كان هذان التوأمان يعملان ذلك؟ لا يمكن أن يقوموا بحساب هذه الأرقام لأن قدرتهما الحسابية محدودة ذهب ساكس إليهما في اليوم التالي وهو يحمل كتاباً عن الأعداد الأولية، وكانا مستمرين في لعبتهما، وانضم إليهما ساكس، ومضت فترة نصف دقيقة وهما يطران إليه بذهشة شديدة ثم انشم الاثنان، وبدأ كل منهما يتدفق بذكر أعداد أولية مكونة من ثمانية أرقام، وبعد مضي ساعة وصلا إلى التساري بأعداد أولية مكونة من أربعة وعشرين رقماً بسرعة كبيرة، هذا يسما يحتاج أي عقل الكتروني إلى بعض الوقت لتكوين مثل هذه الأعداد ومعرفة ما إذا كانت أعداداً أولية أو قابلة للقسمة.

استنتج ساكس بطريقة غير عادية أن التوأمين كان يشاهدان الأعداد في حينها تماماً كما شاهدنا أعواد الثقاب التي سقطت من العلبة، أو بمعنى آخر كانا يستخدمان انشطار الأيمن من المخ بطريقة ما بدلاً من الشطر الأيسر الذي نستخدمه جميعاً في العمليات الحسابية ومع ذلك يبدو أن ظاهرة كونها غير دكبين تكشف لنا أن هذا لا يعتبر نوعاً من العبقرية بل اللعب أنه قوة قد تنأى لكل فرد، ولكن معطساً لم يرغم على تطوير وعي الشطر الأيسر من المخ

لم يكن مايرر يعلم أي شيء عن نصف الكرة الأيمن ونصف الكرة الأيسر من المخ، ولكنه كان يعرف فقط أن القوى أو الطاقات تعث من العقل الباطن، أو كان يفصل أن يسميه العقل دون الوعي أو العقل الناقص وهو لا يساوي اللاوعي الحديث للأحود عن فرويد وجونج، فالعقل دون الوعي عند مايرر ليس صدوق

القيامه الذي يحتوي على الكت والعصاب والشعور بالذنب المجرمي أو الذنب لعشيد المحرمات، بل إنه مصدر لومضات تأتي بالحدس وهي التي سميها العفوية، ويمكر لذلك أن يعتبرها نوعاً من المزيج بين العقل الساطع في سيكولوج هرويد ونفس العليا عند كاهانوس كما وصفها ماكس هريدم لويج ولقد عر الدوس مكسلي عن هذه المكرة بدقة ووضوح في مقدمة كتابها للطبعة الأمريكية من كتاب مايرر فصل «هل تكون النفس أشبه بمجرد منزل مكون من غرف؟ أم أن له طباقاً عديداً فوق الأرض من الإدراك، ومكاناً لتحزين المهملات تحت الطابق الأرضي» ويتابع قوله بأن مايرر يميل إلى الرأي القائل بأن نفس الإنسان لها طبق حمي فوق الوعي العادي، وآخر كقاعدة من تحت، وأن الشخصية البشرية واستمراريتها بعد الموت الحسدي «تعتبر المستودع الصالح المليء بالمعلومات من الأحداث العريضة والمدهشة التي تجري في الطوابق العليا من منزل النفس الإنسانية»، هذا حقاً وبالتحديد هو ما يجعل لكتاب مايرز تلك القيمة المرموقة.

وكل ما يشته طيفاً لما يذكره مايرز هو أن قوانا أو طاقاتنا أعظم بكثير مما نعلمه عنها، فإذا ما بدا ذلك أمراً مألوفاً، فإنما لأننا قد سبق أن واجهناه في كتاب كاترين كرو «الحجاب البيلي من الطبيعة»، والفرق بينهما أن مسز كرو تذكر الحقائق وتترك الحرية للقارئ أن يأخذ بها أو يرفضها، أما مايرر فإنه يعتمد إلى أن يذعن انقاريء ويعترف بأما حقائق. فتذكر مسز كرو بعض التجارب المهمة عن مومين معطيسين يدخلون في معركة للإرادة مع حيوان، أما مايرر فإنه يتحمل المشاق فيقوم برحلة إلى الهافر ليشارك تجربة يقوم فيها الدكتور جيبتر بتويم مريضة تسمى ليوي متواحدة عن بعد اثني عشر ميلاً ليرغمها على الدخول في عشية والواقع أن ليوي قاومت ذلك العمل، وقالت لعالم النفس بيير جابيت: «إنني أعلم تماماً أن مسز جيبتر حاول أن يسومي، ولكنني حينما شعرت به بحثت عن بعض الماء ووضعت يدي في ماء بارد فإني لا أريد أن يسومي من ذلك البعد لأن ذلك يصمسي بالعناء الشديد» ويوصل مايرر ذكر التجارب ومنها تجربة ناجحة: بعد أن حاول جيبتر تسويم ليوي ذهبوا جميعاً واحتسأوا بجوار منزلها ليراقبوها وهي تسير خارجة من باب الحديقة وعباسها معمصان وتمشي في اتجاه منزل جيبتر

وفي الكتاب الصغير الذي ألفته مسز كرو بعنوان «الروحانية والعصر الذي نعيش فيه» والذي نشر عام ١٨٥٩، ذكرت:

إن هناك قسماً من المعرفة، هو كما نعلم غير خاضع للنقاش العلمى وأقصد أن هذا معرفى أو علمياً بأنفسه، فمن أحكاماً أمكننا خلال فترة قصيرة من الزمن أن نعرف الكثير، ولكن أنفسنا نكون من كليات معتقده لا نعرف عنها شيئاً إطلاقاً، ولم نصف أي شيء على معلومات القدمى عنها، ورنى بعدنا ما عرفوه أو تشككوا فيه من أمرها تعطىنا الميامير والكليات دور أي أفكار محدده، والسيكولوجيا أو علم النفس هو اسم بلا علم

بعد عشرين سنة لم يصح ذلك صواباً، فسرعان ما اكتسب علم النفس أهمية العلم الحقيقى، وكان سبيله إلى كشف أسرار نفوسنا، الأمر الذى اعتبرته مسر كاترين كرو أهم المعارف جميعاً وتعرض هذا لنا تلك التيارات التحتية الداعية على الدهشة وتتأول التي أنست من خلال كتاب مايرر، فقد كان مقتنعاً تماماً، كما يقول كثيراً في الصفحات الأخيرة من كتابه - بأن الإنسان كان في نقطة تحول حاسمة من تربيته، وأن هذا نعم الحديد عن أنفسنا قد يحول الوجود الإنسانى تحولاً كاملاً كي يحوله النعم الذى قدمه جاليليو ونيوتن منذ القرن السابع عشر.

ويرى مايرر أن الأمر غير العادى الذى تعلمناه من علم النفس هو أن عقولنا أعنى الكثير وأعرب عما نتصور، حتى أن تصور الدوس هكسلي لمزل العقل المكون من طابق علوي يمثل في إعطائنا صورة عادلة عن رؤية مايرر للشخصية الإنسانية، فهو أكثر شبهاً بساطحة السحاب التي نضم عشرة طوابق فوق السطح وعشرات أخرى تحت سطح ويبدو أن تجاربه أو خبراته مع المستويات المختلفة للإدراك كشفت أن للإنسان سلسلة من القواعد الأساسية توحد تحت نفسه اليومية، وبالتالي يبدو أن له سلسلة أخرى من المستويات تسمو عن إدراكاته اليومية أو تعلو عليها فضلاً عن ذلك، إذا فكرنا في حالة مثل حالة لويس فبهي سوف نرى أن داته المتغيرة إلى لإحرام كنت شخصاً أكثر بدائية وعمماً من شخص لويس المهذب الحس السلوك يوحى بنا هذا أيضاً بأن المستويات العليا لم تنطور عند مايرر بحيث تعتبر خطوة في الاتجاه العكسى نحو الإله الخالق.

وما عن الحالات الأخرى التي ناقشناها في أول هذا الفصل، وهي حالة السيدة لتي رأت مثيلتها وقمة على حاب المائدة، والمدرسة التي كانت تجد مثيلتها واقعة بحورها في الفصل، فإن هذه الحالات لا تعتبر عند مايرر مجرد أوهام نفسية أو حالات شدة بل إنها دليل على وجود قوة معينة لا ندرك كنهها ويشير مايرر إلى حالات مثليه من الصورة الذهنية للأحياء مأخوذة عن إحصاءات جمعية البحوث

القصصية عن حالات الهلوسة منها ما حدث في مساء يوم من أيام الأحد في شهر أغسطس عام ١٨٨٩ حيث عيرت فتاة اسمها مسز كي رأيا في الذهاب إلى الكنيسة وقررت قضاء ذلك المساء في مكتبة خالها لتدرس خريطة شجره السب بيد أن شقيقها الذين ذهبا إلى الكنيسة شاهداها تمثلي في بحر الكنيسة ونحت دراعها لقافة ورو (من الواضح أنها خريطة شجرة السب) وكنت الأخوات الثلاث مذكورة بهذا الحدث الغريب.

حالة ليست عربية كما تبدو، فهناك مئات الحالات المشابهة لها، في إحصاءات الهلوسة، وفي كتاب حيالات الأحياء، ويبدو واضحاً في معظمها أن الشخص الذي يتكون شبحه البديل عنه في ذهنه لا بد كان يفكر في المكان الذي رأى فيه ذلك الشبح البديل ويصف لنا الكاتب المسرحي ستريندبرج Strindberg في سيرته الذاتية المشورة تحت عنوان «حكايات خيالية» كيف أنه خلال مرضه الخطير الذي أصيب به في باريس مرت به تجربة الإحساس بالشوق إلى الرجوع لألمانيا مع أسرة زوجته، وشعر في لحظة من اللحظات أنه في داخل المنزل وأنه يرى والدته زوجته تعزف البيانو، وبعد ذلك بقليل تلقى رسالة من والدته زوجته تقول فيها: «كيف صحتك؟» كنت أعرف البيانو في يوم كذا (ذلك اليوم) ونظرت إلى أعلى فرائتك واقفاً هناك من المهم هنا أن تلاحظ أن ستريندبرج كان أسداً في شدة المرض مما يوحى بأن ميكانيكية الأمر أقرب ما تكون للحالات التي يكون فيها الإنسان على حافة الموت فيرون أقاربهم لأقربين.

يوجد حقاً دليل على أن الظهور القصصية يمكن أن يتم وفقاً للإرادة، بيد أن آدموند جوري كان بلا شك محدوعاً بالعند الصحم من المراهقين الذين يرغم كل منهم أنه رار فتاته وهو تحت تأثير التسويم المعاطيسي^(١) وإن كانت هناك بعض هذه التجارب التي تمتاز بالأصالة فهي عام ١٨٨١ قرر تلميذ يسمى س ه بيرد أن يحاول إظهار نفسه على بعد ثلاثة أميال في منزل حبيبته مس ل. س. فريتي، وقام هذه المحاولة بعد أن دخل فرائشه مساء الأحد وفي يوم الخميس التالي ذهب إليها فأحترته بأنها أصيبت برعب شديد حينما رأته واقفاً أمامها بحدوار القرش مساء الأحد سابق، وأنها حينما رأت تلك الصورة «الذهبية» تتحرك نحوها صاحت فأيقظت

(١) نظر ص ١٤٣

أحتها البالعة من العمر أحد عشر عاماً، وشاركها في رؤيته تلك الصورة الذهبية وذكر بيرد في اعترافه.

إن جانب ممارسة قوة الإرادة بشدة، بذلت مجهوداً لا أحد من الكهات ما أعزبها عنه كنت وعياً تماماً بوجود تأثير عامض تسوع من الجسم القادر على الاحتراق، وعصوي انطباع مثير ساني أمارس بعضاً من قوى لدفع الي لم أكن بذلك قد اعتدتها، ولكني أستطيع أن أحركها ببرادتي

بعد أن درس مايرر التويم المعاطيسي وحد أن من السهل جداً الاعتقاد في مثل تلك القوى، فإذا كان الدكتور جبريت قد استطاع أن يقوم ليومي على بعد نصف ميل، فلا بد أنه كان بصورة ما، يعكس نفسه أمامها، أو في ظروف أخرى ربما كان يجمعها ترة. وكان مايرر، مثله في ذلك مثل نومسون راي هندسون، مدهوشاً بالقوى غير العادية للعمل النقص (ما دون عتبة الإدراك)، فقد أمر أحد المتومين لمعاطيسيين أحد المرضى بأن تعمل صلياً بعد مضي ٢٠١٨٠ دقيقة من استيقاظها من العشية التنويمية، وفعلاً بعدت ذلك ورغم أن الفتاة المربصة لم تكن ماهرة في الحساب فإن شيئاً ما بداخلها قدم بحساب أكثر من ٢٠ ألف دقيقة (حوالي أربعة عشر يوماً) ثم أطع الأمر بعمل الصليب، فهذا نوع آخر من القوة التي يمتلكها كل ما، وهي أن تقرر أن تصحو بعد فترة محددة من الرمن فتصحو بالفعل في اللحظة المحددة كما لو كان هناك من ينفق. فإذا كان بالعقل الناقص ساعة مسية تستطيع أن تعمل خلال نوم، وتعد اندقائق في أربعة عشر يوماً، فإن القدرة على إظهار صورة الشخص في مكان آخر تبدو أقل عراية. وفي ربما هذا حيث أجهزة الإرسال التليفزيونية ترسل صوراً إلى القمر، فإنه من السهل أن تتقل تلك الظاهرة أكثر مما كانوا يتقبلونها أيام مايرر.

ويرى الدكتور برود C D Broad الذي وصف حالة سارة هول^(١) التي شاهدت مثلتها بحدود المصدة الحاسية إن ما رآته سارة ربما كان جسماً ثورانياً، ولكن ذلك التعليق يبدو غير مقبول أولاً لأن معظم الروايات عن الأجسام الثورانية تذكر أن الآخرين لا يمكنهم مشاهدتها، وثانياً أن الكثير من الحالات التي تشمل على ظهور لشبل أو الشبح السذيل تشمل أيضاً على أشياء مثل خريطة شجرة السب التي كان يحملها شبح مسر كي في الكيسة، فلا يوجد أي مسب يدعو لأن نكون لعافة الورق

(١) Lecture on Psychical Research, P 173.

حسم نوري. وفي حالة من الحالات الأخرى التي ذكرها مايرر اشتمل الشح النديس أو الثيل على حصان وعربة وشخصين آخرين. إذ وصف قسيس بوسطن لأسقف مونتفورد كيف أنه كان واقفاً أمام النافذة في منزل أحد أصدقائه فوجدت أمامه عربة حصان، ودارت العربة حول المنزل إلى المدخل الأمامي، ولكن لم يصل أي روار وبدلاً من ذلك وصلت ماري أنه أحي المصنف بعلو وجهها الملو، وكنت قد وجدت لتوها من منزل أنوبها نازكة إياهما جالسين أمام المدفأة ولكنها وهي في طريقها إلى منزل عمها مرت أمامها عرتها وتجاهلها لأنها كانا يظنران إلى الأمام

وحدث بعد عشر دقائق أن سمع مونتفورد صوت عربة، وكان «السطر ههما قادمان في الطريق الثانية»، في هذه المرة كانت العربة حقيقية ودهش ركابها حينما قبل هم من العربة قد وصلت منذ ربع ساعة، وأبها مرا على ابتها في الطريق

السؤال الذي تادر إلى ذهن مونتفورد حينئذ هو هل كان أحدهما مستغرقاً في حلم بقطعة وهما جالسان أمام المدفأة وتصوراه يفود العربة إلى منزل أحيه؟ لا بد أن الإجابة على ذلك هي بالإيجاب.

ويبدو أن مصمود ذلك هو أن العقل الناقص فيه نوع من المرسل المتفري، ونوع من جهاز الاستقبال، فكل من مونتفورد ومصيفه واة أحيه رأوا عربة، وكل من أحيي مسز كي شاهدتها تسير في عمر الكنيسة وهي تمسك بصفة بورق، وفي كلتا الحالتين بدت الصورة كالحقيقية والعادية.

هناك نقطة أخرى لها أهميتها عن حالة بيرد التي سبق ذكرها، فقد محاولته الساجحة الأولى أدرك أنه تعلم حدة، وأنه يستطيع منذ ذلك الوقت أن يعددها حسبها يريد. وطلب جاري من بيرد أن يحبره في المرة التالية التي يحاول فيها التحربة وقام بيرد بالتحربة مرة أخرى في ٢٢ مارس ١٨٨٤، ووقعت مسر فيرتي على اشتراك كتيبي بأن بيرد ظهر في حجرتها في منتصف الليل تقريباً ونحس شعرها، وأبها أحررت أحتها الصعري التي أكدت ذلك أيضاً

اهتم أخصائي القلب الأمريكي الدكتور ميشيل ساموم بحالات مرضى القلب وهم على حافة الموت، وكتب كتاباً بعنوان «تذكرات الموت» شر عام ١٩٨٢ وقد أشار فيه إلى أن المرضى الذين يمرون بتحربة الطهور خارج الحسد كانوا في أغلب الأحيان قادرين

على تكرارها وفعل الإرادة وصفت فتاة في الثامنة عشرة من عمرها كيف أن سيارة صدمتها وهي تعبر خطوط المشاة، وكيف أنها أصعبت من فورها تشاهد الحادث من أعلى فترقب رجال الإسعاف عند وصولهم، وحرصهم الشديد على تحديد لطريقه الصحيحة لكي يحملوها بها على النقالة، واسيقظت أوعاف بعد ذلك في المستشفى وحيثما استجوبها سابقوم بعد الحادث ثلاث عشر عاماً أحبرته بما يلي «أعرف أنني حترحت من جسدي لأن ذلك أصبح أمراً استطيع أن أفعله غالياً حسناً أريد وأدركت أنني تعلمت أن أفعل ذلك في الوقت الذي اقتربت فيه من حافة الموت» وواصلت وصفها كيف أنها وهي وحيدة في المقطورة أثناء الليل (روحها يعمل نوبات ليلية) قد ترك جسدها وتذهب لتفحص أحرار المقطورة وأنها في إحدى الليالي لاحظت أن انساب الخلمي للمقطورة مفتوح فعادت إلى جسدها وقامت فأغلقتة

ما يستنبطه من هذا قد يكون أن لدينا جميعاً إمكانية هذه القوة، ولكننا ببساطة لم نتعلم كيف سنستخدمها فلو صح ما قاله مايرر، فلي يكون هناك عموم أو متافريقا تتعلق بهذا الشيء المؤكد، بل إن الأمر لا يخرج عن الاعتراف أو معرفة الحقيقة على أساس من البراهين العلمية.

نصل الآن إلى نقطة حرجة حقاً في مناقشتنا عن مايرر، وقبل أن نواصل بعود بظننا إلى الوراء لننظر إلى الخطوات التي أوصلنا إلى هذه النقطة

الاعتراض الوحيد على بقاء الشخصية هو أن الشخصية نوع من العنصر بصاعي، إذ أن بناءها يتم شيئاً فشيئاً بواسطة خبراتنا، ولذا فليس هناك مرور لعدم بقاء شخصيتي بعد موتي يختلف عن مرور بقاء مرلي بعد أن يهدم

يجب مايرر على هذا بالإشارة إلى أسرار تعدد الشخصية، فليقد كان كل من لويس فيمي وكلازا فولر يظهران أكثر من شخص واحد، ومع ذلك كان واضحاً جدياً وجود طبقة تحتية دائمة تحتفي تحت تلك الشخصية، هي كاش كانت شخصياته أقعة متنوعة ويصف الفريد راسيل تجاربه في التوهم المعنطيسي مع تلاميذه في سيرته الشخصية. ويتحدث عن أحدهم قائلاً:

«ما ران هناك ما هو أعجب من ذلك، أن تشرح الذاكرة تماماً لدرجة أن شخص لا يستطيع حتى ذكر اسمه ويصبح مستعداً للعمل أي اسم آخر يمل عليه، وربما لاحظت مدى عبثه في أن يسي اسمه وقد يكرر ذلك عدة مرات مع إعطائه أسماء مختلفة بقلها جميعاً صعباً، ثم يندف

له «أنت الآن تتذكر اسمك ثانية، فما هو؟» تمر عليه لحظات من الارتياح الذي لا يعدله شيء وقد يقول لماذا «ب»...؟ وهو يشعر بشيء من اللوم والإدانة لنفسه

ولكن «ب» الأصلي كان موجوداً بصفة دائمة رغم أنه سمي اسمه

والذي يقوي هذه النقطة بعض الحالات الحديثة لتعدد الشخصية، ففي مدينة سبيل مريضة هي فلوراريتا شراير كان لها أربع عشرة شخصية متعددة بعضها المذكور، كما أتت رير النساء بيلي ميليجان أن له ثلاثاً وعشرين شخصية فرعية بعضهم أدكى وأكثر موهبة من بيلي نفسه^(١)، وكذلك كريستين سيرامور موضوع كتاب «أوجه حواء الثلاثة» وهي التي وصلت إلى رقم قبلي لا يصدق إذ كان لها أربعون ذاتاً بديلة وتؤكد لنا حالة إيف هذه أن الشخصية قد تتوجد بطريقة ما خارج الجسم كانت كريستين سيرامور حساسة لأقمشة البابلون، ولكن بمجرد أن تحمل ذاتها البديلة ينهي أثر تلك الحساسية كانت قصيرة النظر، ولكن ذاتها البديلة كانت تستطيع أن ترى بلا بطارات، فهي ذات مرة كانت تحت تأثير المحدر، ولكن حينها حلت ذاتها البديلة رال تأثير المحدر تماماً فإذا صحح ذلك نجد أن رغم الاعتقاد أن الشخصية تعتمد إلى حد ما على الجسم يصبح أمراً غير مقبول للمهم، فقد يكون الجسم فقط أداة تستجيب لمطالب الشخصية بنفس الطريقة التي تستجيب بها السيارة لقائدها ولكن استجابة الجسم لمطالب الشخصية يكون أعظم درجة من استجابة السيارة لقائدها، وهذا بدوره يوحي لنا بأن المرض العصوي قد يعتمد على الشخصية وليس على الجسم، فحينما يكون الشخص محي الطهر عاجزاً ومقعداً فإن الشخصية هي التي تكون عاجزة ومقعدة وإذا كانت هناك شخصية أخرى قادرة على الحلول فيه، مثل سالي النائسة التي حلت في جسم كلارا، فإن الشخصية ستتحول من فورها

كل ذلك يحده في مناقشة مايرز للموضوع، فصلاً عن أنه قال إننا قد نمثل قدرات كانت توصف في وقت من الأوقات بأنها سحرية مثل القدرة على نقل أفكارنا إلى شخص من الجانب الآخر من العالم، بل وقد نقل صورة محسنة لأنفسنا إلى عقول أناس آخرين وتزعم الإحاة العلمية على ذلك أن كل قدراتنا تطورت على مدى ملايين السنين كاستجابة لتحديات التطور، وعلى ذلك نساء لماذا يجب أن نكون لنا تلك القوى التي يزعمها مايرز؟

(١) Daniel Keyes, The Minds of Billy Milligan

قد يكون إحاطته إشارته إلى قدرات العاقرة مثل مورارب الذي يعرف كوتشرو
 كمن بعد الاستماع إليه مرة واحدة، والطفل يامير بلايت البالغ من العمر خمس
 سنوات ويستطيع أن يحسب عدد الثواني التي مضت من عمره من المؤكد أننا لم نكن في
 حاجة إلى أي من هذه القدرات أثناء تطورها. ويشير مايرر أيضاً إلى أن أعداد العميات
 الحسية مثل لبروفسور سافورد والقس هواتلي قد تحتوي قدراتهم غير العادية في سن
 البلوغ فيصبحون مثل بقية الناس. فإذا ما أمكن لكل من هواتلي وسافورد أن يصحوا
 مثل بقية الناس فإن ذلك يعني بوضوح أن باستطاعة بقية الناس، مع بدل بعض
 المجهود أن يصحوا أعداداً في العمليات الحسية مثلها، أو قد تتعلم كيف يخرج من
 أجسامهم بوزناتهم، مثل ميشيل سابوم، لكي نؤكد أننا قد أغلقنا الأبواب ولواءد (ومن
 السهل أن تدرك فائدة مثل هذه القدرة عند إسان الكهوف كي لا يتعرض لافتراس
 انضواري له).

يمكن استخدام النقاش حول التطور كدليل يساعد كلاً من الطرفين، فهناك
 أدلة كثيرة تثبت أن الإنسان الأول كان أكثر حسية من، إذ كان باستطاعة بعض
 الاستراليين الأصليين أن يكتشفوا وحود المياه الخفية دون استخدام أي أجهزة ولو
 عامود لحس الأرض ومن الأمثلة الأخرى التي ذكرها البروفسور هورنيل هارت '،
 فنان لرياضي الاسكتلندي بيدي دافيد ليسلي الذي كان شعوراً بمعرفة ما حدث لثيابة
 من الكافير النعير له والذين صحبوه في رحلة صيد على بعد مائتي ميل، واستدع
 أحد لأهواء السحرة من الزولوا أن يحبره بما حدث لهم، وتبين فيما بعد صحة
 المعلومات في كل صغيرة وكبيرة منها، كذلك الكوماندوز جوكس هوجر الذي كان
 يخدم في منطقة لترسكي وتلقى تعليقاً سريعاً من أحد المواطنين المحليين عن معركة
 قائمة على بعد ثلاثمائة ميل وثبت أيضاً صحة تلك المعلومات.

عن أي حال يبدو واضحاً أنه خلال أكثر من مليون سنة من التطور تقدمت
 قدرات والقوى ثم احتضت أو تراجعت ثانية حينما توقفت الحاجة إليها، ولكن رغم أنها
 محتمية إلا أنها ما زالت موجودة في الحيتات أو الخلايا الوراثية محيياً وصل دورين إلى
 جزيرة حالاباوس اكتشف وجود الكثير من أنواع العصافير التي حملتها الرياح من
 الأراضي الأصلية لأمريكا الجنوبية وعاشت هناك لمدة قرون عديدة، وفي أوئل بعد

الرابع من هذا القرن نزلت بعض هذه الطيور إلى كاليفورنيا، فأظهرت من قورها
تخوفاً من الصقور والسنور وغيرها من الخوارج التي لم تكن موجودة في جزيرة
جالاجوس ولم ترها العصافير التي عاشت هناك أزماناً طويلة، مثلها في ذلك مثل ربة
لبيت التي يجعلها الطور لا تلمى أي شيء قد يكون له نفع في يوم من الأيام وعلى
امتداد ثلاثة قرون استطاع الإنسان أن يكون لنفسه حصارة، ولكنه في أعماق وجوده
الواسع المعرف في الرمز هناك آلاف من الصفات التي طورها في فترات الخفاف العظيم،
وعصور الحديد الراحف التي مرت خلال الثلاثة ملايين الماضية من السنين والتي
جمعت في مستودعات التحريش صفات وراثية متراكمة نخباً لمحيء وقت تكون فيه
دات فائدة للإنسان

ويقول مايرز: وهكذا يبدو أننا قد كشفنا عن وجود نوع من الطبقة التحتية في
الإنسان هي أقوى من أي شخصية في الحياة اليومية، ويبدو أن هذه النفس الأعمق
بعض القوى والطاقات عبر العادية التي قد تدهش النفس التي تعمل في الحياة
اليومية. بالوصول إلى هذه النقطة نصل إلى الجزء الواقعي المهم من المناقشة، وهو
وجود أدلة تثبت أن هذه الطبقة التحتية تتجاوز الموت، وأن بإمكانها أن تمارس بعض
القوى حسب الإرادة

ويدأ مايرز يذكر واحدة من أهم الحالات وأكثرها تكراراً وهي حالة الاقتراب
من الموت؛ مثل حالة الطبيب الأمريكي ويلنس A S Wiltsch الذي مات في سكيدي
بولاية كانساس في صيف عام ١٨٨٩ وعاد إلى الحياة بعد بضعة ساعات وشرت
الرواية التي رواها ويلنس ذاته في مجلة سانت لويس للطب والجراحة في عدد فبراير
سنة ١٨٩٠.

مات ويلنس بحمى التيفود، بعد أن حصل على إجازة من زوجته وأصدقائه،
استيقظ بعد أن فقد وعيه. وربما كان ذلك في داخلية جسده، ولكن مع شعور تام
بعدم الاتصال بذلك الجسد واستطاع أن يستلقي هناك ويلاحظ كيف تعمل وتتفاعل
أجهزة جسمه مع روحه، وقال «أنا أعلم أن الطبقة السطحية من الجسد تمثل الحدود
الخارجية لكل الأسمجة أو بمعنى آخر النفس» ثم شعر بأنه يهتز إلى الأمام وإلى الخلف
سواءً بفصل عن جسمه، ثم جاء شعور باهتزازات حقيقية في كل الأربطة الصغيرة،
وأحسن كما لو أنه يتراجع إلى خارج جسمه بدءاً من أقدامه نحو رأسه ثم رأى نفسه

نظر من خلال حجمته، كما شعر كما لو أن شكله أصبح مثل السمكة الهلامية المويه
«س» كنت أطفو من رأسي إلى أعلى وأسفل مثل فقاعة الصابون حتى تهورت في
الهبانة من الجسم وسقطت كشيء خفيف على الأرض حيث قمت ببطء وتقدمت في
شكل رجل كامل، كانت هناك سيدتان في الحجرة، لذلك أعصه أنه كان عذبة،
ولكنه بمجرد أن وصل إلى الباب وجد معه مكتسباً بالملابس، واستدار فلما عرفه
بصطدم برجل آخر، ولشدة دهشته أن مرفقه مر من خلال ذلك الرجل

ثم بدأ يشاهد الحجاب الهولي من الموقف، بجسمه الميت المستلقي على الفراش،
فيحي عليه مداعباً، ثم ضحك ضحكة عالية لم يسمعها أحد، وخرج من اسباب
ولاحظ خيوطاً رفيعة تشبه خيوط العنكبوت تمتد من كتفيه وظهوره إلى الجسد الميت
المستلقي على الفراش.

وسر في الطريق الذي ذكر أنه كان يراه بوصوح، ثم فقد الوعي مرة أخرى،
وحبما أفاق يبدو أنه كان تحت ضغط من الامام بواسطة أيدي غير مرئية، وأمامه ثلاثة
صحور ضخمة بينما وجدت مساحة ثقيلة متراكمة خلف رأسه، وإذا بصوت يتكلم
مباشرة داخل رأسه ويخبره بأنه إذا ما تحطى الصحور سيدخل إلى عالم الخلود. ولكن
بدلاً من أن يرجع إلى جسمه وكان على وشك المرور في عمر تحت سقف
مقرب بين الصحور، ولكنه حينما حاول أن يذوق النظر في حط الحدود رأى سحابة
سوداء صغيرة، وعرف أن شيئاً قد أوقفه، واستيقظ فجأة وهو مستلق في فراشه،
وأصر على أن يجر جميع الحاضرين بما حدث رغم أنهم حاولوا منعه من ذلك حفاظاً
على قوته المتبقية.

من السهل - كما يذكر مايرر، أن مريض هذه التحيرة على أنها نوع من الرؤيا أو
لأحلام، ولكن هناك نقطة جديرة بالملاحظة هي أن وبلست توقف تنمسه وأعين
لأطباء موته، وطبعاً ربما كان فاقد الوعي وظل كذلك لمدة أربع ساعات ثم سيقظ
ثباته، ولكن اعرب أن كانت لديه مثل تلك التفاصيل الدقيقة عن رؤيا الموت بين
كان نصه متوقفاً

أما فيما يتعلق بالفناء، فمن الواضح أن أكثر الحالات أهمية هي التي لا يمكن
رخصها على أنها أحلام أو هلوسات. ويشير مايرر إلى حالة السيدة الحمراء (التي
ذكرناها في الفصل السابق) وأتبعها بذكر حالة أخرى مقبلة مثلها قامت جميعها لحوث

لنفسانيه بدراساتها، وهي حالة الملاح المدعو ميشيل كويلي من أيوبا بمقاطعة شيكاساو، وقد وجد ميتاً في فناء منزل أناس مسنين ونقل جثمانه إلى المشرحة في دوبيوك بولاية أيوا، ونظراً لأن ملابس الشعل التي كان يرتديها قدرة فقد ألقوها حرج باب المشرحة، وحيثما أبلغت انه الملاح بموت أبيها أصيبت برعماء، ولما أفاقته ذكرت بإصرار أن أباها ظهر لها، وأنه أخبرها بأنه حاط صرة من الدولارات في بطنة قميصه الرمادي، ووضعت بدقة الملابس التي كان يلبسها بما في ذلك بعله، وقالت إن النقود ملفوفة في قطعة قماش حمراء من أحد أثوابها العديدة

لم يؤخذ هذا الحلم مأخذ الجد، رغم أنها كانت شديدة الحزن على موت أبيها، ولكن الطبيب نصح بأن يرجحوا عقلها بالبحث عن الملابس، لم يكن لدى أي من أفراد الأسرة فكرة عن ملابس الملاح وقت وفاته، ولكن الحاموي أكد أن الملابس كانت كما وصفتها ابنته وفي بطاقة القميص الرمادي الذي كان ملفى في الصاء، وحدث صرة النقود في القماشية الحمراء محيطة فيها من الخلف.

قام مايرر بنفسه بالتحقيق في كثير من هذه الحالات، وأحد من الشهود إقررت موقعة، ولعل هذا الإصرار الذي تورط فيه هو الذي أدى به في النهاية إلى الاقتناع بوجود حياة بعد الموت ويبدو واضحاً أن كل فرد من أفراد مجموعة كامبريدج الشديدة التشكك عن درسوا الأدلة على وجود حياة بعد الموت قد انتهوا أيضاً إلى الاقتناع. إذ أن مايرر نفسه بدأ من نفس العرصة التي بدأ بها تومسون جاي هدمسون وهي أن كل الطواهر الخارقة للعادة قد تكون قوى غير عادية (للعقل الشخصي أو العقل الناقص كما يفصل مايرر تسميته). واستخدم هدمسون لتويم المعنطيسي كبرهان، كما هو الحال في حالة المربصة التي قامت بعمل الصليب بعد نهاية نحو عشرين ألف دقيقة التي أحدها ليدلل بها على أن للعقل الباطن قدرات غير محدودة في محل الملاحظة والتذكر، كذلك قدرات التحاطر والاستشفاف، وطبقاً لما ذكر هدمسون فإن روح الميت هي في الواقع عقل باطن يلعب ألعابه يمكن هذا التفسير أن يمتد لينطبق على معظم الحقائق. فمثلاً في حالة الذبة الحمراء ربما يقول هدمسون بأنه رغم أن الأم قد عطت النذبة بالمكياج فإن شفيق المتاء الميتة لاحظته من اللاوعي وهي متفة في داخل التابوت إن المعرفة التي تأنت له من اللاوعي بأن الموت كان قريباً من أمه جعلت عقله الناقص يستحضر رؤية شح أحته كاملاً بالنذبة الحمراء لكي يرود أمه بالارتياح وهي تواجه الموت...

(هذا النوع من الملاحظة اللاواعية نظرية تعرف باسم الذاكرة الموقوتة) ولكن من الصعب أن تمتد نظرية الملاحظة اللاواعية لتطبق على حالات مثل حالة ميشيل كولي، فقد كان هذا العلاج بعيداً عن أسرته حينها مات، ولم تكن لديهم أي فكرة عن ملابسه، وانتصر الوحيد الذي يتمشى مع نظرية العقل الناقص أو ما تحت عتبة الوعي هو أن ابنته استخدمت نوعاً من الاستشفاف أو الرؤية الثانية كي تتعرف على ما كان يلبسه أبوها والنقود التي كانت محبطة في بطائه القميص، ولكن ذلك لا يعتبر تفسيراً عميقاً، وهو احتمال بعيد عن فرضية أن روح ميشيل كولي ظهرت لاته في المنام

حاول صديقان حميمان أن يقوموا بدور رئيسي في إقناع مايرر أن الشر يقفون بعد موت الحسد هما القس ستيتون موزيس Stanton Moses ووليام جيمس، والعريب أن كيهما كان أشد تشككاً من مايرز نفسه.

كان وليام ستيتون موزيس يمثل بصور مختلفة نموذجاً للحساسية المرصية، فصحته دائماً معتنة، وكان على وشك الوفاة في سن الخامسة والثلاثين، واضطر إلى لتحلي عن كثير من مباحح الحياة بسبب إهيار صحته. كان أفعاله الأول جزءاً من روحانية عدوانياً، إذ أعلن أن كتاب لورد أداري عن دانييل دوبجلاس هوم هو أسوأ اثره رأها في حياته، ولكن كتاب روبريل ويل أوين الثاني عن حوارق العادات وهو كتاب «لأرض المتنازع عليها» أعجبه كثيراً. وفي النهاية استدرجه طبيب اسمه سيرس ليحضر إحدى الجلسات عام ١٨٧٢، وأعجبه الأمر حينما تلقى وصفاً دقيقاً عن صديق له كان قد توفي في شمال إنجلترا. ومنذ ذلك الوقت أخذ يحضر جلسات دانييل دوبجلاس هوم وافتتح أخيراً بطواهر هوم المعجينة. وبعد ذلك أدرك أنه هو ذاته وسيط منذ بدأت تحدث له أحداث غريبة، سمع أصوات دقات حول حجرته، وكانت الأدوات الموحودة في حجرة النوم تملو وتطمو في الهواء وتكون شكل صديق ثم يسقط بعضها مثل رجالات الروائح والدبابيس. وحدث أن ارتفع سوريس نفسه في الهواء فكانت هذه علامة إنذار. وفي المرة الثالثة التي حدث فيها ذلك سقط فوق المائدة ثم فوق المقعد، وبدأ هو نفسه يعقد جلسات تطمو أثناءها المائدة في هواء ونعرف لألات الموسيقى وتعودح العطور من مختلف الأنواع في أرجاء الحجرة. كانت أماته واحترامه لنفسه أمراً واضحاً للدرجة أنه لم يحتاج إلى المرشد لإقناع مايرر بحقيقته كونه وسيطاً.

ونظراً لأن الدقات على المائدة كانت تسمر لمدة طويلة، قرر موريس أن يجرب الكتابة التلقائية، فيكتب سؤاله على رأس الصفحة ثم يجلس والقلم في يده حتى تبدأ الكتابة وكانت الكتابة تظهر صغيرة ومرتبعة وتختلف تماماً عن الخط المعتاد الذي يكتبه موريس، واستطاع أخيراً أن يجمع أربعة وعشرين مجلداً من تلك الكتابات تلقائية، وبعد وفاته انتقلت إلى ماسرر الذي قام بعمل مختارات منها لكتاب أسماه «تعاليم الروح»، الذي أصبح مع «كتاب الأرواح» تأليف آلان كارديث أهم ما تم تأليفه عن الكتابة التلقائية بين المؤلفات الخاصة بالروحانيات.

كان ستيتون موريس على مثال مايرر ميالاً للاعتقاد بأن كل لكتابات تأتي من العقل الباطن وفي إحدى المرات طلب من الروح التي بدا أنها كانت متعلمة ودكية أن تكتب السطر الأول من قصيدة أسيد للشاعر فرجيل، فكتبت اسروح السطر صحيحاً بما دعا موريس أن يعتقد أنه ربما استعاده وتذكره من أيام الدراسة رغم أنه هو نفسه لا يعرف ذلك السطر وهو في وعيه الكامل لذلك طلب من الروح أن تنجّه إلى الكتاب الأخير في الرف الثاني وتقرأ منه ص ٩٤، يبدو أن الروح فعلت ذلك دون أن تأخذ الكتاب من الرف، ولم يكن لدى موريس نفسه أي فكرة عن ذلك الكتاب ولكن الروح اقتبست الفقرة كلمة كلمة.

طبعاً يمكن تفسير ذلك على أساس نظرية الذاكرة المدفونة على أن موريس قرأ الفقرة في وقت من الأوقات، وأن ما دون الوعي في العقل الخفي استطاع أن يتذكر الفقرة كلمة كلمة هكذا عن طريق إقناعه قررت الروح أن تختار كتابها الخاص، وأملت فقرة عن الشاعر موب ثم أحبرت موريس أنه قد يجدها على نفس الرف في كتاب اسمه الشعر والرومانسية والبلاغة، وحينما أخذ موريس الكتاب من الرف فتحتّه الروح على الصفحة الصحيحة.

يعتبر كتاب تعاليم الروح من الكتب المدهشة لأنه يتعارض مع فكرة ستيتون موريس في كثير من الأمور، فبالنسبة لرجل دين مسيحي شأ في الاعتقاد بأن المسيح إله، فإن الأمر لا يسعج مع القول بأن المسيح كان مجرد معلم عظيم مثله مثل الآخرين، وربما جرد نفسه عن الخيال المبالغ فيه بأن الناس أكرهوه على ذلك، فهي اليوم الذي حدثت فيه هذه الاتصالات المدهلة دخل موريس في مناقشات طويلة ومربرة يحاجم فيها تعاليم الروحانية ويصفها بالعناء والتعاهة إن لم يكن مجرد عث

أما المعلمون (من الأرواح وكانوا تسعة وأربعين) فقد رفضوا أن يتراجعوا إطلاقاً وأحدوا بشرحون لموريس أن التاريخ الشرقي «وحي منزل مسطور من نفس الإله الواحد» أو بمعنى آخر إن فكرة المسيح على أنه هو الاس الوحيد للإله مد هي إلا فكرة بشرية خالصة

في كتاب تعاليم الروح تأليف موريس كما في كتاب الأرواح تأليف كاردنيك إصرار على وجود الكثير من الأرواح المؤدية حول، معظمها مرتبطة بالأرض وهي لأسس بما قد ماتوا أو لا يريدون مغادرة الأرض إلى مكان آخر ويذكر موريس ملاحظة هامة عن أنه من العبء عقاب المجرمين بالإعدام، نظراً لأن ذلك يترك في لأرض أرواحاً انتقامية أو قتالة تعمل قدر إمكانها للتأثير المؤدي على الأحياء وعلى مثال ما جاء في كتاب كاردنيك جاء في كتاب تعاليم الروح أن الأرواح قادرة على أن تدخل إلى عقولنا، وأنتا غالباً ما تتأثر بها دون أن تعرفها.

ولعل من أكثر الأمور قيمة في تعاليم الأرواح هو أن لدى موريس نفسه شعوراً متناقضاً بشأنها، فقد نشر بعض مقتطفات من مجلة الضوء وهي مجلة كنية لعلوم نفسية، ولكنه عمد إلى تجاهل بعض المبادئ المرعبة، فحقاً هناك دليل على أنه أعدم إحدى كراسات المذكرات التي سجلها لأن الأرواح كانت عبر راضية عنه فضلاً عن ذلك تعرض لمتاعب حمة في سبل تحديد هوية المتصلين به من المعلمين التسعة والأربعين لإحساسه بأن كشفهم سوف يظهر أن من بينهم ستة من أنبياء العهد القديم فضلاً عن أفلاطون وأرسطو، وهذا قد يؤدي إلى أن معظم الناس سيحترونه محسباً أو سيقولون إن الأرواح قد جرت قديمه وأوقعته ثم بكشفت أسماء هؤلاء المتصلين به فيما بعد، وذلك بعد مضي أكثر من نصف قرن على وفاته، وجاء كشفهم على يد باحث يسمى تراثيواي A. W. Tretheway.

أما ويليام جيمس وهو الشخص الثاني الذي كان له تأثير كبير على هودريث مايرر، فقد كان اسماً لأحد أتناع سويدسبرج ودعم ذلك أو ربما بسبب ذلك كانت نظريته الأصلية للأرواح نظرية عدم اكتراث وقد بدأ جيمس حياته كعالم طبيعي مثله في ذلك مثل انمريد راسيل والاس وتشارلز داروين، وذهب في بعثات لاربيد أعدي لأمرون، ولكن اعتلال صحته اضطره إلى العودة إلى بوسطن ثم قام بدراسة نصب في ألمانيا وأصبح طبيباً. وكما فكّر لم يصبر ويليام جيمس على الاستمرار في محار

التي صيرها بل طور مذهب المعروف بالبراهمانية (أو المصعبية) وهو نوع من طريقة التفكير التي سقت مرحلة المنطق الوضعي، وخلاصة المذهب ببساطة «لا يهم ما نعتقدونه ما دم بالإمكان تطبيقه» ويعبر وليام جيمس عن ذلك بقوله «إن لنا الحق في أن نعتقد - على مسؤوليتنا الخاصة - في أي نظرية فيها حيوية كافية لدفع إرادتنا» وهو مذهب يقر بأن صحايا التاربية أمر يجب أن يؤخذ ببساطة ولقد أدى كتابه الذي ألفه بعنوان «مبادئ علم النفس إلى اكتسابه شهرة كعالم نفس يعتقد في أن الاعمالات مادية هي لا مجرد احساسات طبيعية، (وهو المذهب المعروف باسم نظريته جيمس ولاسح في الاعمالات)

يمكننا أن نتصور بسهولة أن رجلاً براهمانياً مثل جيمس - وقد ابتكر تعبير الحمود العقلي - قد تكون لديه مثابرة كافية مع مذاهب الروحانيات، فمراجعة كتابه المسمى «لدوحة الصغيرة» الذي ألفه حينما كان يدرس الطب نجد أن جيمس يشكو فيقول «نحن نفضل في أن نكتشف من بين كل الحقائق (الخاصة بالظواهر الطبيعية) حقيقة واحدة لها قيمة عمالية أو أصالة فكرية أو استخدام مادي»

وحينما حضر وليام جيمس إلى إنجلترا عام ١٨٨٢ تقابل مع مايرر وهورني وبادمور، ولكنه بالنسبة لخوارق العادات ظل من المشككين. وفي عام ١٨٨٥ سمعت أليزا جيبز والددة روحته عن وسيطة شابة مرموقة تسمى ليونور باير، فذهبت لزيارتها وراحت مسر ليونور في عشية تنويمية ثم أحدثت تحير مسز جيبز كل الحقائق عن أفراد أسرتهما مع ذكر أسمائهم الأصلية. وحينما قصت مسز جيبز ذلك لاستنها وروح انتهت وليام جيمس آثار الموضوع اهتمامه، ومن مطلق تشككه المطروح عليه رغم أن مسر باير قد تكلمت بعبارات عامة عامصة بدت وكأنها حقائق، أو أنها، كمتروص بديل، قرأت أفكار مسر جيبز. وفي اليوم التالي ذهبت شقيقة روحه جيمس إلى مسز ليونور ومعهما خطاب مكتوب بالإيطالية، فوضعت مسز ليونور الخطاب على جبهتها ثم وضعت كتاب الخطاب بدقة، مما زاد اهتمام وليامس جيمس برؤية مسر ليونور باير بنفسه

كانت مسر باير قد اكتشفت قدراتها النعمانية حينما كانت تستشير أحد المعالجين النعمانيين في بوسطن واسمه كوك J R Coke، وهالك دخلت في عشية تنويمية، ومرة أخرى ذهبت لتري المستر كوك وكان عمله أساس أحرون من بينهم القاصي

فروست، فمتحرد أن وصع استر كوك يده على جنبها راحت مسر باير في عشية
تويعية و تجهت إلى المائدة وكتت رسالة بلغائه على ورقه وأعطتها لنصافي ويسو أنها
كتت رساله من بخته المراحل، وأعلن أنها «أهم ما تلمى في حياته»، وبعد ذلك
نوقت اصصح لمسر باير شهرة محلية كبيرة

ذهب وبيام جيمس ليراها بعمله باقة بصحة روحته الحميدة الدكية أنيس،
وحرص جيمس وروجه على ألا تعرف مسر باير شخصيتها، أو اتصاتها بأخوت
أنيس اللاتي سقبت بهن وراحت مسر باير في العشية السويعية حيث تسته
شخصية رجل فرسي يسمى فيوي Phinuit ولشدة دهشة جيمس أشار فيوي من
حلاه إلى العديد من أفراد الأسرة الذين سبق أن وصفهم لمسر جيسر، وتحدث عن
ولد أنيس على أنه «جيلين» كما تحدث عن طفل لجيمس فقد في العام السابق، وكان
يسمى هيرمان وذكر اسمه هيرين وهو قريب جداً من الاسم الحقيقي للطفل

خرج جيمس من الخلسة وهو مليء بالدهشة، إما لأن مسر باير عرفت أسرة
روحته عن طريق اسرؤيا، أو أنها علمت «بالصدفة والخط» كل التفاصيل الدقيقة
عنه، أو ربما كت حاصعة لنوع من الاستحواد عليها بواسطة قوى خارقة للعادة
ووصل جيمس ريدته لمسر باير، وبعد أن راقها لمدة طويلة قرر أنها بلا شك
عفوية ولكن هل كت الأرواح عفوية؟ يشعر جيمس بأن من الصعب التوصل
إلى نظرية تحكم أمر الأرواح مع كل تلك الاتصالات البالغة التعاهة بالإضافة إلى
ذلك فإن فيوي لدي رعم بأنه رجل فرسي كت معرفته بالفرنسية سطحية بعبية
وقرر جيمس أن أقرب نظرية لتفسير الظاهرة هي أن فيوي كان عنصراً من عناصر
شخصية مسر باير، أو بمعنى آخر أن مسر باير كت ذات شخصية منقسمة مثل
ليس فيوي ومع فشل جيمس في إيجاد تفسير للطريقة التي استطاع بها فيوي أن
حصل على مثل تلك المعلومات الكثيرة فقد استمر جيمس يرسل اصدقاءه إليها تحت
سم مستعارة، واستمرت مسر باير تقدم لهم معلومات دقيقة عن أقاربهم الموتى

سمع جيمس لنفسه بأن يقتنع، وقال فيما بعد «إذا أردت أن تسهك انفسك
بشي يقول بأن العربان سوداء فلا داعي لأن تثبت أن ليس هناك عربان سوداء، بل
يكفى أن تثبت أن هناك عرباناً واحداً أبيض اللون» كت هذه واحدة من أهم
ملاحظات التي علق على الروحانيه حكمه فإن «العرباء» الذي في ذهن جيمس
كان هو مسر ليونور باير.

وفي عام ١٨٨٥ تأسس المزرع الأمريكي لجمعية الحوث النفسية في فيلادلفيا على يد البروفسور وليام نارت، وأرسلت جمعية لندن أحد ناحتيها الشبان المنتظر لهم مستقبل باهر وهو رينشارد هودجسون، وكان شخصاً صلب الرأي، عمل في الهند في التحقيق مع مدام بلافانسكي وقرر أنها محادعة دعا هودجسون مسر بير من فوره ودهش حينما تحدثت معه عن فتاة اسمها جيسي كانت محطوبة له في استراليا وماتت أثناء وجوده بالخارج. ومما أدى إلى اقتناع هودجسون حتى بأكثر من الوصف الذي قدمه فيسوي عن جيمس التقرير الذي سمعه عن محادثة لا يعرف أحد عنها شيئاً سوى هودجسون نفسه، لم يصح لدى هودجسون الذي عرف بتشككه الكبير حول الظواهر النفسية أي شك في أصالة مسز باير، فتعاقد معها على أن تخدم جمعية لبحوث النفسية نظير مائتي جنيه في السنة ودهت إلى اسجلترا وبلغ حرص هودجسون درجة أنه كان يراقبها بواسطة محبرين لمعرفة ما إذا كانت لها شبكة اتصال خاصة بجمع المعلومات، واحترها كل من مايرر ولودج وسير جويك اختبارات دقيقة وقرروا أنه مهما كانت طبعة القوى التي تمتلكها، فإنها لا شك أصيلة، ولكنها تعتمد كثيراً على التخاطر.

ولعل ما أقع هودجسون أخيراً هي حالة شاب يدعى جورج بيليو، قتل شبيحة مسقطه عام ١٨٩٢. واصطحب هودجسون الذي كان يعرف بيليو مع أحد أصدقائه للجنوس مع مسز باير، وعرف عن طريق فيسوي من فوره أنه كان صديقاً لبيليو أو بالأحرى أن روح بيليو قد عرفته وبادته باسمه الحقيقي. وجمع الصديق رراري القميص التي كان يلبسها وأعطاها لفيسوي، وقال جورج بيليو من فوره (خلال فيسوي) إنها أرراري وأمي هي التي أعطتها لك. أنكر الصديق ذلك، ولكن تبين فيما بعد أنه خاطيء، ذلك أن والدته روحه بيليو خلعت الأررار من قميصه وهو ميت، وحينما طلب منها ذلك الصديق شيئاً من ذكرى الراحل، اقترحت أن ترسلها له وهذه حقيقة لم تعرفها مسز باير عن طريق التخاطر.

وواصل فيسوي كلامه عن جيمس وروجه وعن ماري هوارد الذي عاش معهم بيليو فترة في نيويورك وكان ذلك الصديق يعرف القليل عن هوارد، ولكن بيليو واصل حديثه موجهاً الكلام إلى استنها كاترين وبعث لها برسالة يقول فيها «قل لها إنها سوف تعرف، وسوف أحل مشكلة كاترين». ولم يكن لهذا أي معنى بالنسبة

هودجسون أو لصديق بيليو، ولكن عرف جيمس هوارد في اليوم التالي أن تلك لرسالة قد جاءت بلا شك من بيليو الذي اعتاد أن ينفشه عن الرمان وللكان وانفصاء وخلود مناقشات طويلة تشترك فيها كثيرين هوارد، وكان يستخدم أثناء حياته عبارة معينة يكررها هي «سوف أحل المشكلة يا كاترين».

أخيراً اقتنع كل من مايرر وهودجسون بأن رسالة مسر باير جاءت فعلاً من الأرواح، ولكن جيمس استمر يشعر بأن نظرية مايرر عن العمل الخفي كانت نظرية حيدة مثل غيرها من النظريات ومضت أربع عشرة سنة أخرى قبل أن يعترف بأن العقل الخفي لا يمر كل الطواهر، ففي ديسمبر ١٩٠٥ كان هودجسون يلعب كرة اليد في نادي بوسطن فاشهار ومات، وفي تلك الليلة رأت مسر باير في مامها أنها كانت تحول الدحول في نفق مظلم، وأن رجلاً ملتجئاً يشبه هودجسون كان يجاور معها من ذلك وفي صبيحة اليوم التالي علمت بوفاته وبعد ثمانية أيام من ذلك كانت تمسك بالقلم وفتحاة كتب اسم هودجسون، ومنذ ذلك الوقت بدأ هودجسون يتصل عن طريق مسر باير، وحضر وليام جيمس وابنه جلسة من الجلسات، واضطر جيمس إلى الاعتراف بأنها كانت بالعمل شخصية هودجسون مع ذلك، ورغم أنه كان مستعداً للتسليم بالأمر لم يكن مستعداً للتصديق بأن روح هودجسون قد بقيت بعد موته بصورة من الصور، ورغم أنه كان يواحه نوعاً مما يسمى «الصورة للعديّة» أو تصوير لتأخر مثل الفيلم أو مشعل الأسطوانات، وما لم يشرحه جيمس هو كيف أن الفيلم أو مشعل الأسطوانات يمكن أن يكون إجابة على التساؤل عن حياة هودجسون بعد الموت ويقع عدداً من الناس بأن هودجسون كان هو المتكلم ولقد مات جيمس نفسه عام ١٩١٠، وكما عرفنا في الفصل السابق ربما أوقع البروفسور جيمس هايسلوب بقاءه بعد الموت عن طريق رسالة بالألغار عن البيجام الحمراء عن طريق وسيط لم يسبق أن سمع عن جيمس أو عن هايسلوب.

ويقدم لنا كتاب والشخصية الإنسانية والبقاء بعد الموت الخسدي «خلاصة نظرية عن مسر باير، فقد كانت كما يبدو مثل العراب الأبيض في نظر مسرر وكذلك في نظر جيمس، ولم يعش مايرر لبشاهد إنناحه الرائع مطبوعاً، فقد بدأت صحفه تمثل بعد أن تورط في عملية أدا جورديتش فراير (كانت مسر جورديتش قد ذكرت تشاؤمها المعهود أن كل من يمر بها سوف تكون هايه ميتة). وكتب وأسم جيمس

تعليقاً طويلاً عن الكتاب حينما ظهر أخيراً بعد ميتين من وفاة مؤلفه مايرر، لم يخرج التعليق عن كونه تعاطفاً معه «إن الكتاب، رغم ما به من نقاط ضعف قد أعجبي كتخفة فريده رائعة من السيق والوحدة إن ما احتواء من حشد الحالات قد تؤدي بأي عالم طبيعة أو مؤرخ أن يحسده» وبدون المطور العدم أن جيمس كان في ذلك أقل من أن يوصف بالكرم، حقاً أن بالكتاب نقاط ضعف ربما كان مايرر يعضل أن يستبعدها لو علم بها مثل إشارته إلى تجربة أدا جودريتش في رير الحفصة بالتحديق في انكرة الملورية، ونحن نعلم ما فيه الكفاية عن تلك السيدة مما يجعلنا نشعر بأن معظم مراعاتها لا بد وأن ينظر إليها بعين الشك ولم يعلم مايرر كذلك عن سكرتيره الذي عمل معه سنوات عديدة وهو جورج ألبرت سميث، الموم الذي كان يستعرض نسج درجات مختلفة من ذاكرة العشية التويفية، فقد اتهم يوماً بأنه كان يحدع في تجاربه الأولى التي عرضها في ترايتون مع الشاب المسمى دوجلاس بلاكير (حقاً لم يوجد سبب حقيقي يدعو سميث لأن يواصل العش حينما بدأ يعمل مع مايرر، وعترف أشد ناقدية بأنه موم معاطبي أصيل ولكن لا بد أن تذكره مرة ثانية فإن أقل درجة من التشكك يجعل الدليل فاقداً لعرصه العلمي). ومع ذكرنا لكل ذلك لا بد لنا أن نعترف بأن كتاب الشخصية الإنسانية يرقى على جميع كتب البحوث النفسية الأخرى مثل الحبل وسط السورج.

أما فيما يتعلق «بالعرب الأبيض» ليونور مايرر فهناك سؤال يطرح نفسه إذا لم يكن فيوي رجلاً فرنسياً أصيلاً فما هو إذن؟ درست ليونور سير جويك هذه المشكلة من قبل مدى ثلاثة وعشرين عاماً، وفي عام ١٩١٥ أعلنت خلاصة رأيها وهو أن فيوي عبارة عن أحراء من شخصية باير، الشخصية المتعددة مثل سالي بديل شخصية كلارا فولر وأجريت دراسات أخرى فيما بعد مع وسطاء آخرين مثل مسر أوسبورن ليونارد، وإيلين حاريت قادنا إلى التأكد من أن ذلك وقعي فهي سنة ١٩٣٥ قام الباحث المسمى هواتلي كارميجتون بعمل اختيار كلمات المسر ليونارد، فيقول الكلمة ويتنظر مسر ليونارد لتجيب بكلمة تربطها بها فانهي إلى اكتشاف هام هو أن مسر ليونارد والمتحكم فيها «فيدا» كانتا مثل صورتني امرأة بمعنى بكلمة، فكانت انعكاسات وردود فعل فيدا سريعة وعكسية، ووجد مثل ذلك تماماً بالنسبة لمسرحيت والمتحكم فيها «يوقاني» لا يمكن أن يكون ذلك مجرد صدفة، وحتى في دراسات تعدد الشخصية لاحظ الباحثون أن المريض وداته البديلة هما صفات

عكسة متقابلة. ففي عام ١٩١١ كانت هناك فتاة اسمها ماري ويسولدر تعيش في
سلافيا، غشيتها يوم عميو لمدة عشرين ساعة وحسباً استيقظت كانت شخصية
أخرى فمري الأصلية فتاة عسة، شديدة الخرص والحذر معرضة لوبسات من
الاكتئاب أما ماري الجديدة فكانت مرحلة مستهترة للعامة، وظلت لمدة عشرين سنة
تتردد بين الشخصيتين ثم استطاعت بعد ذلك وسطاء أن تمزج بين الشخصيتين لتخلق
شخصية جديدة جيدة، كما لو أن شخصية ماري كانت مصنوعة عالياً من لعبة تركيبية
من لعب لأطفال فكانت ماري رقم ١ تستخدم مجموعة من القطع، وماري رقم ٢
تستخدم بقية القطع أما مريضة حاييت المساة ليوني والتي كان باستطاعته ترويضها من
مسافة نصف ميل، فقد كانت لديها نفس صورة المرأة للذات البديلة كانت تلك الذات
البديلة عمية سادحة. ولاحظت ليدي أوساروسريدح التي نشرت دراسة عن مسر
ليونارد عام ١٩٢٢ أن «فيدها كان يشعر باراداء للوسيط».

ولكن، لو أن شخصيات فوبوي وفيدها ويوفاني وغيرها هي ببساطة جراثيات من
الوسيط، فكيف يمكن أن نأخذها بجدية؟ قد يتوحد الحل في حالة لويس فيمي الذي
كانت داته البديلة هي أيضاً وبوصوح نفسه المشقة من الشطر الأيمن من المح وقد
عرف أن الشطر الأيمن من المح هو الذي قصد به تومسون جاني هادسون المح الداتي،
وهو الذي يقصد به مايرر المح الخفي فإذا صح قول كل من هادسون ومايرر يكون
الشطر الأيمن من المح هو مصدر القوى والطاقات العسابية أو على الأقل يكون سوعاً
من جهاز الاستقبال ومكبر الصوت وتحت تأثير التسويم المعاطيسي يوضع الشطر
الأيسر من المح في حالة النوم، ويستطيع بذلك الشطر الأيمن أن يمارس قواه بدون أي تدقيق
أو إعدام الطر من جانب الشطر الأيسر ولقد اهتم كل من والاس وباريت بحورق
لعدادات عندما راقوا التابع الخاص للتسويم المعاطيسي وهو يشارك بأحاسيسه الخاصة،
فيتمكن لشطر الأيمن من محه أن يلتقط مشاعرهما تخاطرياً فإذا صحت هذه النظرية
فإن فيدها وغيرها كانوا جميعاً عناصر للمح الأيمن الذي كان قادراً على أن يلتقط
الرمائل من الأرواح

يمكنا هذا أيضاً أن نمر فشلهم، فبعد تلس مسز باير شخصية فيبوي
أصحت حاصعة لمجموعة كاملة من الأرواح التي دعمت أمها هي التي كرسست نفسها
لستانتون مورس، ولكن حينما مثلت عن الأسماء التي اتصلت سرّاً مع ستانتون

موريس أعطت إحانات حاطقة ولقد انتكر عالم النفس ستاسلي هول اسمه تحت أسماها
س بيلى طلت من المحكمة في مسر ليوبارد أن تتصل بها فاضطرت الروح
المحكمه أن تعث بأسرة يلى المتحيلة بكل أنواع الرسائل، ذلك أن الشطر الأيمن من
المخ، أو المخ الذاتي واسع الوهم ويستطيع أن يسحصر أي روح نفس السهولة التي
ستطيع بها الشخص الموم معاطيسياً أن يسحصر حياً لشخص ما يجلس على مقعد
حال أما عن استطاعة فيسوي أن يقدم الكثير من المعلومات الدقيقة عن جورج بيلى
بما في ذلك حقائق غير معروفة للحاضرين فهي تؤدي بنا إلى الزعم القوي بأنه كان روحاً
حقيقية تستخدم الشطر الأيمن من مخ مسر باير كخط اتصال هاتفي .

لم يمت بعد من موضوع مايرز، فالحقيقة أن علينا أن نذكر أن الدور الذي أداه
مايرر بعد وفاته أو بواسطة شخص سمي نفسه مايرر، كان أكثر أهمية من الدور الذي
أداه في حياته .

عالمياً ما كان مايرر يشير إلى أن إحدى الطرق التي يستخدمها «المتصلون» أو
الموصلون لكي يشتوا - بما لا يدع مجالاً للشك أهم أرواح موق، هو توصيل أجزاء
مفصلة من الرسائل لوسطاء متعددين، وبدا تصبح مقبولة حين تصم إلى بعضها
يحدد لنا هذا الفرق بين التحاظر والذاكرة المدفونة أو بمعنى آخر استحضار ما في شطر
الأيمن من المخ . وإذا ما اعتقدنا في دليل لوجود تلك السلسلة من الاتصالات التي
نعرف باسم المراسلات المتقاطعة فإن ذلك بالتحديد هو ما يحدث بالفعل

مات مايرر في ١٧ يناير سنة ١٩٠١، وقبل وفاته سبى قديمة سلم رسالة إلى
أوليهرلودج في مطروف معلق على أن يبقى مغلقاً إلى أن تأتي روح ترعم أنها مايرر
وتدعي أنها تذكر ما في الرسالة .

وكان من أقرب المقربين إلى مايرر صديقه الدكتور آرثر فيرا أحد علماء
نكلاسيكيات، وروحه مارجريت التي كانت تحاصر في الكلاسيكيات في كلية بيوتهم
قشرت مارجريت فيرا بعد وفاته أن تحاول الكتابة التلقائية لتري إذا
ما كنت قادرة على الاتصال بمايرر أم لا كانت سيدة عقلانية متشككة ولكنها رأت
أن الأمر يستحق المحاولة وسرعان ما كانت يدها تكتب مدانها عبر الصفحة، ولكن
بدا أن الرسالة مضككة ومجراة، ثم وصلت في يوم من الأيام رسالة باللغة اللاتينية
بركيكة موقعة من مايرر . ومد ذلك الوقت بدأت الرسائل تتوالى بشيء من الحرية،

وشتمت إحدى تلك الرسائل على العبارة التالية: «مايرر أعلى المظروف المروك مع لودج». وفي عبارة من كتاب المحاورات عن الحب وإزالة الخلافات، أرسلت الرسالة بسرعة إلى لودج الذي فتح المظروف ولكن لشدة أسفه لم يكن يحوي شيئاً عن أفلاطون ووجد فيها النص التالي: «إذا استطعت أن أعود لزيارة مسرح الأرض فسوف أجد موطي الوادي بأراضي هولستير في كامبرلاند». ثم تذكر شخص ما أن مايرر أشار إلى محاورات أفلاطون عن الحب في كتاب مطبوع طعة خاصة تحت عنوان: «مقتطفات من الحياة الداخلية» كته تحليداً لذكرى أبي مارشال روجة والترين عم مايرر التي كان يحبها مايرر، وقد انتحرت أبي بإعراق نفسها في مياه هر أوبيس، وعاشت في هولستيد في كامبرلاند، وبدا وجدت صلة فعلية بين الرسالة المعينة وبين محاورات أفلاطون.

كان ريتشارد هودجسون بعد ذلك مباشرة يعقد مع مسز مايرر في بوسطن جلسة من المحادثات واقترح أن تقوم الروح التي تسيطر على مسز مايرر، وكانت آنذاك روحاً تسمى ريكتور، بمحاولة الظهور لاسم مارجريت فيرال المسماة هيلين وهي تحمل حرية (وكانت هيلين فيرال أيضاً نفسانية موهوبة). لم يسمع ريكتور جيداً معنى كلمة (Spear حرية) فسأله لماذا (Sphere مجال)؟ فصحح له هودجسون الكلمة فوافق ريكتور ووعد بأن يحاول التجربة في الأسبوع التالي. وبعد ثلاثة أيام تنقت مارجريت فيرال رسالة تتضمن الكلمة الإغريقية سفيروس (Spheros) ومعناها المقابل باللاتينية «الحديد الطائر»، وهو وصف فيرجيل للحرية. وفي المرة التالية جلس هودجسون مع مسز مايرر وقال ريكتور إنه قد بعد مطلقه وأظهر لمسز فيرال حرية.

وقبل أن يذهب إلى أبعاد من ذلك علينا أن نعترف بأن معظم الدلائل عن المراسلات المتقاطعة لا تخرج عن كونها شيئاً شديد العموص والإيهام مثل ذلك الذي ذكرناه، ولم يسبق شره بصورة كاملة، كما لو أنها سوف تحتل محلدات عديدة صحيحة ولدي لا شك فيه هو أن معظم الدلائل المقنعة على النقاء قد أحدثت عن الوسط، ومعظمها أيضاً متكررة وعملة للغاية، ولذا فإن أي متشكك ربما يتساءل: إذا أراد مايرر أن يثبت أنه ما زال حياً فلماذا لم يحبر مسز فيرال بأن رسالته المعلقة تشير أي منطقة هولستير في كامبرلاند بدلاً من أن يتحدث بطريقة مصللة عن محاورات أفلاطون؟ وإذا كان يريد أن يعقد اتصالاً بين مسز مايرر ومارجريت فيرال فلماذا لم يكتب بالإنجليزية؟

«طلب مني هودجسون أن يجعلني أرى سهماً هاك إجابته ممكناً قد تتأني في عبارة من عبارات مايرز في النصوص المكتوبة

إن أقرب تشبيه أجده لأعبر عن صغوه إرسال رسائل هي أبي أظهر واقعاً حثي نوح من الرجاء معطى بالصلاب الذي يحث الرقبة ويكسر الصوت، وأملية مطبقه صعبة ليكنه سكرتير متراخ ومتبلد الدهن إلى حد كبير

وقد بلغ سانتون موريس أيضاً أن الأرواح التي كتبت الرسائل كانت نوعاً من الكتبة والسكرتارين.

إن الأدكياء الذين يستطيعون أن يمارسوا الكتابة المباشرة قليلون ففي كثير من الأحيان يقوم بالكتابة عملاً شخص اعتاد ممارستها بهذه الطريقة بحيث ينصرف ككتائب بالأرواح التي تريد أن ترسل، وفي كثير من الحالات يتعلق الأمر بالعديد من الأرواح.

وفي لحظة تعاقم الموقف اقترح وليام جيمس تفسيراً آخر يبرر به غموض الأرواح.

اعترف بأنني حاولت في وقت من الأوقات أن اعتقد في أن الخالق قرر بصفة أولية أن تنفي خواص الطبيعة محيرة كي يستثير حب الاستطلاع والأمل والشك بصورة مساوية، فحق وجود لأرواح والاستشفاء والدقات الحية ورسائل الأرواح كلها لا يمكن أبداً أن تفسر تفسيراً كاملاً، كما لا يمكن أن نثق فيها ثقة مؤكدة.

أو بمعنى آخر تبدو كما لو أن الأرواح قد تلقت الأوامر بأن تقدم الأدلة في الحدود التي تكفي فقط لإقناع الذين يريدون الاقتناع، وليست الأدلة الكافية للانتصار على المشككين وهذا هو الرأي الذي يمكن أن سميه قانون جيمس - فلا بد وأنه قد مر بذهن كل إنسان له اهتمام بخوارق العادات فالأدلة كثيرة وعريضة ولكنها دائماً تترك مجالاً للشك.

بقولنا هذا نحن سلم بأن بعض الأدلة عن المراسلات المتقاطعة مقبولة جداً، فهي مرحلة مبكرة تلقت مسز فيرال جملة تقول:

«سحلي الحزنات، وحينما تجتمع مع بعضها سوف تصبح كلاً متكاملًا قررت رودبارد كيلسج شقيقة اليس فليمسج (التي كانت تعيش في الهند) أن تحاول تجربة الكتابة التلقائية، وسرعان ما تلقت رسالة تقول:

«عزيري مسز فيرال (يبدو أن سكرتاري مايرز اختلطوا مع بعضهم) أبي شعوف بأن أحدث إلى بعض الأصدقاء القدامى: إلى «مشرح» وإلى «و» وهذا

يشير إلى أليس جوسون سكرتيرة جمعية البحوث النفسانية وارثرو فيرال روح مسر فيرال واستمرت الرسالة في إعطاء وصف لمسر آرثر فيرال، وانتهت بما يلي «أرسلني هذه إلى مسر فيرال في المنزل رقم ٥ حدائق سلوين - كمريدج» وكان هذا هو عنوان الصحيح لمسر فيرال، ولكن لم تكن هناك وسيلة لتعريف مسر أليس فليمنج، لا بد أنها كانت تعرف اسم مسر فيرال - ولئن كانت قد فرأت كتاب الشخصيه الإنسانية، فإنها لا تعرف أي شيء آخر كما لم يسبق لها الذهاب إلى كمريدج. وكانت مسر فليمنج على اتصال مع مرجريتا فيرال في عنوانها رقم ٥ حدائق سلوين، وأصبحت هي لأخرى من الوسيطات اللاتي كن يتلقين المراسلات المتداخلة وأطلقت على نفسها اسم مسر هولاند لأن أهلها كانوا يعارضون في اشتغالها بالبحوث النفسية) وكانت معظم الرسائل المكرة التي تلقتها أليس فليمنج موقعة بخرف «ف» وهو توقيع ظهر كثيراً

وفي مناسبة أخرى تلقت أليس فليمنج وصفاً تفصيلياً عن الحجرة واعتبر هذا الوصف فيه بعد أدق وصف لحجرة حلوس مارجريت فيرال. والنقطة الوحيدة غير الدقيقة هي أن الوصف ذكر وجود تمثال نصفي في الركن وحسباً ذكرت مسر فيرال ذلك لأحد الأصدقاء قال لها «لا بد أن هناك تمثالاً نصفياً في الحجرة»، وكان لدى مسر فيرال مرشح مباح له شكل معين بدا في ركن الحجرة أشبه بتمثال فوق قاعدة

وانضمّ مراسلات آخران إلى اللعبة زعماً أنهما هنري سيدجويك ودمون جوربي، ولكن ظل اللغز معقداً لدرجة كبيرة، فقد طلّت إحدى أحوات مسر بيير أن يبعث مايرر بمراسلات متداخلة يرسم مثلث في داخل دائرة، وبعد أسبوع تلقت مرجريت فيرال رسالة انتهت بمثلث داخل دائرة ومثلث آخر في نصف دائرة وبعد شهرين تحدث مايرر من خلال مسر بيير وذكر أنه أعطى مسر فيرال دائرة، وحاول رسم مثلث ولكنه لم يظهر. وهذا يبدو الاضطراب الحقيقي الذي سبب لوح الرجاج المعطى بالضباب وكذلك السكرتارية المختلة.

حتى هذه الحالة السبطة فيها أمور شديدة التعقيد، فبعد الاقتراح المباشر على مايرز أن يبعث بمثلث داخل دائرة سجلت مسر فيرال رسالة خطية تبدأ بما يلي « ربما رنست مجموعة الحروف اللاتينية في كلمات أفصل (Star - tars - rats) أو - Stare tears) وبعد خمسة أيام بدأت كتابة مسر فيرال أيضاً بمجموعة الحروف اللاتينية

المرتبة في كلمات لانييه ويونانية «Astar» اللاتينية (لكلمة Star أي نجم) و Teras باليونانية (لكلمة عجيبة) وتحدث أيضاً عن الأمل وتصمت افساساً من براوسج وبعد أسوعين جاء في كتابة مسر ناير قوله وأشرت أيضاً إلى الأمل عند براوسج، وذكرت كلمة Star (بمعنى نجم). وبعد أسوع من ذلك تلقت هيلير هيرال (الآنه) نصاً خطياً يبدأ برسم نجم واشتمل هذا النص على إشارة لكتاب براوسج بعنوان «ناير الملونة في هاملتون» لا يلوم عالية القراء ها إذا ما شعروا بأن مثل هذه الألفاظ المعقدة قد لا تفي بالعرض عندهم.

انضم إلى المجموعة أيضاً وسيطة أخرى من الهواة في عام ١٨٠٩ هي ويسفريد كومي - تينانت Winferd Combe - Tennant وهي من أقارب مايرر (كانت روجة مايرر شقيقة روح مسر كومي تينانت). وبدأت تتلقى الرسائل الموقعة من مايرر وجورج وفي عام ١٩٠٩ شرح النص المكتوب أن مايرر وجورج كانا يقومان بتجربة جديدة تجعل الكلمات تدخل إلى عقل مسر كومي تينانت تلقائياً ولم يقتصر الأمر على سرعتها في النقاط الكلمات التي تحوم في عقلها بل كانت أيضاً تتلقى انطباعات واضحة عن الشخصيات التي ترسل الرسائل، وتحكم إذا كان المرسل هو مايرر أو جورج من فورها وكانت المحادثات في أول الأمر تخاطرية، فساها صوت مايرر في دخل رأسها «هل تفهمين ما أقول؟» فأحاطته بعقلها «أجل»، ثم استمرت كتابة النص التلقائية وعالياً ما كان النص يشتمل على كلمات نسمعها وطلب منها مايرر فيما بعد أن تستحضر السير أوليفر لودج في كتابتها التلقائية، ولش كرهت مسر كومي تينانت هذه الفكرة إلا أنها أدعت في النهاية ثم سأها جورج عما إذا كانت تقبل حضور بالمر G W Balfor - الذي كان صديقاً لجورج وكان يعلم الكثير عن الفلسفة، وكانت النتيجة دائماً مرهقة لمسر كومي تينانت، فقد كان عليها أن تجلس هناك تعمل كالسكرتيرة في جلسة مناقشة فلسفية لا تفهمها وبعد أن أعطى بالمر محاضراته في كامبريدج دخل معه سير جويك في نقاش عن العلاقة بين الجسم والعقل ونظرية المصاحبة في العمليات العقلية والتفاعلية العقلية ورغم أن مسر كومي تينانت (أو كما أصبحت تسمى نفسها مسز ويليت) كانت ذكية، إلا أنها كانت تجهل تماماً عما يتحدثون عنه وحيثما وصل الأمر إلى نقطة كان فيها سير جويك يحاول أن يصع الكلمات في عقلها فقدت أعصابها وصاحت فجأة قائلة: «لا أستطيع أن أدرك

لماذا يكلم الناس في مثل هذه الأمور العيية كانت هذه المصايقة التي أصابتها أكثر
إفصاحاً من حل أي علم من الألفاظ.

هذا، ويمكن القول بصفة عامة إن المراسلات المتداخلة والنصوص التي كتبتها
مسر وبلت بعد من بين أكثر الأدلة إفصاحاً بوجود حياة بعد الموت، لأن أي شخص
لديه استعداد أن يقضي بضعة أسابيع في دراستها ست لهم بما لا يدع مجالاً للشك أن
ميرر وهورري وسير حوبك قد واصلوا اتصالاتهم بعد الموت وتبقى مشكلة لسبب
في أنهم لم يقدموا دليلاً مباشراً مثل فكرة استخدام المثلث داخل الدائرة، مما قد
يجعلهم أسط ومانتالي أكثر إفصاحاً للمتشككين الإحانة على ذلك في ضوء قول نقاسون
جيمس هو أنهم لم يهدفوا إلى إفصاح العامة، وهذه طعناً هي نوعية الإجابة التي تجعل
المتشككين يهرون أكتافهم استكاراً واردة.

لم يكن مايرر ليحصل على شيء لولا استمراريته، ففي نوفمبر سنة ١٩٢٤
دعيت وسيطة إيرلندية هي جيرالدين كومير Geraldine Commis إلى حفل شاي في
صباحة قطار متقاعد وروجنه، وكانت صديقتها الأسة جيس Miss E. B. Gibs مدعوة
أيضاً كانت جيرالدين كومير أسة البروفيسور أسلي كومير قد حاولت الكتابة
التلقائية قبل ذلك سحو عام كامل، وتبين لها أن لها موهبة وسيطة طبيعية وكان
يقطرون وروجنه يأملان في الاتصال بأصدقائهما عن طريق أوي جا Ounja^(١)، وتتكون
من كأس رجاجة توضع فوق سطح أملس تحيط بها حروف الهجاء فحينها يلمس
الحاسون حوله الكأس بأصابعهم تتحرك مسقلة من حرف إلى حرف فتكون كلمة
وفي هذا الحفل تحركت الكاس بسرعة لتكوين حروف الهجاء التي يتكون منها اسم
فردريث مايرر، وسأله القبطان «هل تعرف أصدقائي؟» فأجاب «ناريت وبالفور»
ثم شرح أنه يريد أن يبعث برسالة متداخلة، فعصب القبطان وروجنه هذا الاتصال
الذي تم مع مايرر دون أصدقائهم، وانتهت الجلسة بذلك، ولكن مايرر واصل
اتصاله، فعند أسوع أعلن تواخده في جلسة أخرى من جلسات الكنانة التلقائية التي
تعقد مسر كومير وسؤال عن مشكلة الاتصال شرح أن طريقتهم هي أن يؤثر
في عقل الوسيط الداخلي بالرسالة التي يريدون إرسالها ثم يقوم ذلك العقل الداخلي

(١) كلمة مركبة من Oun الفرنسية و Ja الألمانية ومعناها معرفة خبر الأحل

بإرسالها إلى المح، والمح محرد جهاز ميكانيكي في حين أن العقل الداخلي مثل السمع
المصهور يتلقى أفكارنا ولكنه بدلاً من أن يصدر الكلمات يعكس الأفكار، وذلك هو
ما يجعل الاتصال المتداخل يبدو دائماً في اضطراب

وأعلن مايرر من فوره مشروعاً جديداً يحاول فيه الاتصال من خلال فيدا
المتحكم في مسر ليونارد مباشرة بعد اتصاله السابق عن طريق جيرالدين كوميسر،
واقترح أن يصل موضوع الرسالة نحاطراً، وأن يكون متصفاً بآراء صديقه لورد
بالمور. وذكرت مسر جيس أنها فكرة غير جيدة لأنها كانت منذ فترة في اجتماع كان
بالمور يتكلم فيه عن التحاطر، وأن هذا الاجتماع قد شرعه في الصحف، وربما
يكون هناك اعتراض على أن الوسيط فكر سالفعل في الموضوع ووفق مايرر على
ذلك وفي هذه الحالة وافق على أن يتكلم عن كتاب يرمع كتابته قبل موته. كتاب
يعبر فيه عن اقتناعه بأن فكرة الحياة بعد الموت أمر ثابت لا يرقى إليه الشك

وفي اليوم التالي أسرع مسر جيس لتعامل مسر أوسبورن ليونارد لتؤكد من
أنها لم تتلق أي إشارة عن العرض من حضورها، وذكرت فيدا المتلينة في مسر ليونارد
أن هناك أرواحاً متعددة معلقة حولها تنتظر الاتصال وقالت مسر جيس إن في دهمها
شخصاً معيناً مهماً، وفي محاولتها معرفة اسمه استطاعت فقط أن تتوصل إلى معرفة
أول حرف منه وقالت إن الرجل يعرض عليها شعراً، إذ كان الشعر من اهتماماته
الرئيسية، «ويسدو أنه كان ذكياً لدرجة أنه يفهم في الشعر القديم وبخاصة شعر
فرجيل» ثم أصافت تعليقاً هاماً «إنه يحافظ على موعده معك»، وبعد ذلك مباشرة
أعلنت اسمه «فريد» أنا مستعدة يا فريد (كان مايرر معروفاً بين أصدقائه بهذا
الاسم) ثم أصافت أن مسر جيس كانت على اتصال به في اليوم السابق

وفي المرة التالية ظهر مايرر في الجلسة مع جيرالدين كوميسر، واعتذر عن عدم
حضوره حضوراً واضحاً، وذكر أنه كانت هناك مشكلة مع فيدا التي تميرت بالحيوية
المالعة (واضح أنه يقصد بهذا الوصف أنها كانت مشقة الدهر)، وأن أفكاراً أخرى تتردد في
الحجرة ابداء. وحينما قالت مسر جيس أنه جاء في أحسن صورة، أجاب مايرر
وحسن، لقد فاحتاني وعلى أي الأحوال قال إنه شعر بأن الجلسة كانت فاشلة،

وأن ما أراد توصيله هو أنه كان يوي كتابة كتاب يعلن فيه إيمانه بالكامل بالحياة بعد الموت، ولكن فيدا لم تستطع سيطرة أن تلتقط ما كان يحاول إعلانه، وشعرت مسر جيس بأن محاولات الاتصال عن طريق الوسيطتين خلال يومين مختلفين كانت باحثة تدماً، ولكن من الصعب موافقتها على ذلك، وكان لهذه الجلسات أيضاً أهميتها لأنها تعطي فكره واضحة عن تداخل المشاكل التي يبدو أن الأرواح تواجهها حينها يحاول الاتصال بالأحياء، أو بالأحرى مثل شخص يريد أن يسمع في حط تليصوب فيه تشويش مستمر من خطوط أخرى

أما عن الكتب التي جاء ذكرها خلال هذه الاتصالات فهي الطريق إلى الخلود وفيما وراء الشخصية الإنسانية، وسوف يعجب بعض القراء بها وسوف يراها آخرون محلة ونافهة، وفيما يلي نموذج منها:

قد يتخصص العرص من الوجود في عبارة واحدة هي أن تطور العقل بحذف في سدرجة واسعة وعمل ديث فين العقل يتطور من خلال ما يستمره في عالم متحدد باستمرار في قوته الفريدة ومكاسبه فيما يتعلق بتحقيقة مفاهيم الواقع

يبدو الأمر وكأن هذا كلام بلا معنى صاعه المسيح الدجال، ولكن إذا ما فحصناه فحسباً دقيقاً فسنجد أنه معقول بل معقول جداً وهذه الفكرة عن أن العقل يحاول أن يفهم نفسه في المادة فكرة شائعة تنطبق على كل أفكار لتطور الحيوي بدءاً من هيكل إلى براردشو وتذكرنا بأن المادة تختلف في صفتها وبنوعيتها، بما في ديث كونها مادة صلبة أو مادة تتجاوز مجالات الخواص (ويذكر مايرر في مكان آخر أن مسألة معدلات الاهتزاز، وهي فكرة من الأفكار التي شاعت في الطبيعيات الحديثة) ويتطور العقل خلال عملية اقحام نفسه في المادة، فيطور القوة بظه وعمق الإحساس بالواقع، وحينئذ ينظر إليه مرة ثانية يستطيع أن يرى أن انطباع العموض يرجع إلى عدم وجود علامات موضحة مما يسبب ذلك العموض وطقاً لما ذكره مايرر لا بد بدروح سي تقوم بالاتصال أن تستخدم الجهاز العقلي الخاص بالوسيط (وبالطبع معرداتها) وهذا هو السبب في أن الاتصال الكثير بالروح قد يؤدي إلى انطباع يصعب عصفه (كان مايرر هو أول من اعترف أن الكثير من الأرواح ضعيفة العقول)

ولنترك التساؤل عما يتم توصيله من رسائل إلى ما بعد، ويطرح الآن سؤالاً عما إذا أمكنا أن نتصل رسائل الموت بحدية مهما كانت الاعتبارات والإحسان بالإيجاب، فإذا كانت حيرالدين كومير وجيسر يصولان الحقيقة عن ظروف تلقيهما المراسلات، إذن يتأكد لنا بذلك صحة الرعم بأن مصر الروح قد حاولت التحدث من خلال كل من ممز كوميتز وممز ليونارد.

ولعل هذا مما يقوي الإحساس بأصالة كتاب شر فيها بعد عن النصوص التي كتبها حيرالدين كومير وعنوانه «بجعة فوق بحر أسود»، ويتضمن سلسلة من الاتصالات التي أتت من مسر ويليت وهي ويعريد كومبي تحت متقية الرسائل المتقائية التي تعلمت كيف تستمع إلى مايرر وجاري ماثلة وماتت عام ١٩٥٦ في الحادية والثمانين من عمرها محتفظة بشخصيتها التي سمعت نفسها بها سرأ وهي مسر ويليت حتى النهاية وبعد سنة واحدة من وفاتها طلب رئيس جمعية البحوث النفسية من حيرالدين كومير أن تحاول الاتصال بوالدة الميجور هري كومبي تيات ولم تكن حيرالدين تعلم شيئاً حتى عن مسر كومبي تيات وفي ٢٨ أغسطس سنة ١٩٥٧ احتجت «أستور» المسيطرة على حيرالدين كومير لمصايفتها هذه المهمة الشاقة وهي الاتصال بوالدة شخص لم تسمع عنه، ولكنها استطاعت عن حطاب سانتر أن تكتفط شعوراً «بضرورة الاحتياط بالكتابات والأسرار»، ثم أعلنت أن سيده عجوزاً في الثمانين من عمرها اتصلت بها، وقالت أستور إنها سألت المحور عما إذا كان اسمها وير أو وايس، ومد ذلك الوقت تلتست فيها ويعريد كومبي تيات، وأحدثت تلقها مجموعة مذهشة من الأحبار الشخصية مليئة بالعبارات الدقيقة عن حياة مسر كومبي تيات وتعتبر هذه أيضاً إحدى الوثائق الشخصية المباشرة «بقي أمتها ما تسمى الأرواح ولو أن حيرالدين كومير كانت مخادعة لكان مستحيلاً أن نجد كل ذلك القدر الكبير من التفاصيل الشخصية الدقيقة عن حياة سيده لم يسبق أن قبلتها، ونصح العرصة الديلة المعقولة هي أن حيرالدين كومير وأساء مسر كومبي تيات تعاونوا على تطبيق النصوص، ويبدو أن ذلك غير صحيح.

لكنا نقابل مرة أخرى ذلك التناقص الرئيسي حول مشكلة «البقاء بعد الموت»، فربما كان كتاب «بجعة فوق بحر أسود» من أكثر الأدلة إقناعاً بحقيقة وجود حياة بعد الموت من بين كل ما كتب عن الموضوع، ولكن مع ذلك لا يقدم لنا شيئاً ذا أهمية

كبيرة، لأن أي رسالة من العالم الآخر أو من عالم المورن العاصم تأتي من العارفين
مهم يبدو بوصفها أنها أمر مبتدل مثله مثل الثثرة التي قد تحدث في بهو الكيسه حول
مسائل البيع والشراء، فلن يؤدي الكتاب إلى تغيير رأي أي متشكك في مبادئ
الروحانية لأن أي متشكك لن يعيه أن يقرأه. وهنا نواجه مرة أخرى قاسون جيمس
الذي يصح على أن ما يجير في الأمر هو أن الدليل المؤكد عن الحياة بعد الموت سوف
يعطل دائماً مؤكداً بالنسبة للمفتع ولكنه لن يكون أبداً دليلاً كافياً له أقل تأثير على
غير المعتقد

دكتور شتاينر ومسألة التناسخ

في مساء يوم ٢٢ أغسطس سنة ١٩٠٠ قُدم شاب رقيق نحيف نفسه إلى مكتبة جمعية الشيوصوفي في شارع العيصر فردريك في برلين تحت اسم دكتور رودولف شتاينر، فطُرت إليه الكونيتيسة بروكدورف التي تعمل سكرتيرة لودج بدون اكتراث، وكان رودولف شتاينر آنذاك في الأربعين من عمره وفي نقطة تبدو لهجة فلاحية جنوب النمسا واضحة تركت المظاهرات المعلقة بسلسلة ومتدلية فوق أنفه انطباعاً على أنه مدرس غائب العقل وكانت ابنتاه تحمل علائم الحب والخلل علمت الكونيتيسة أنه ألف كتاباً عن جوته وأنه يلقي في الجمعية الترسوية للعمال محاضرات في التاريخ السياسي، وأنه سيلقي في تلك الليلة محاضرة عن بيتشه، وهو موضوع لا يباست الشيوصوفيين إطلاقاً إذ أنهم يعتقدون في أن أعظم حكمة العالم قد أتت من همد قديمة وأن بيتشه أولاً وقبل كل شيء ملحد ناثر على الكنيسة.

وحينما بدأ الدكتور شتاينر محاضراته ثبتت صحة شكوك الكونيتيسة فيه، فقد كان نقادوه عملاً ببعض الشيء وكثيراً ما كانت عباراته تحريضية وضمنية، وبدأ أن رأيته في بيتشه كان رأياً غريباً. وكان واضحاً أن دكتور شتاينر يعتقد في أن هناك حقيقة روحانية من وراء هذا الكون في حين لم يكن بيتشه يؤمن بشيء من هذا، فما الذي دعا الدكتور شتاينر إلى إلقاء محاضره عنه؟ مع التعود على طريقة الإلقاء المملة قد يجد الإنسان في دكتور شتاينر شيئاً حميماً، فعينه تلتمعان بالصدقة، وبينما هو يتكلم تبدو عنه الثقة في المستمعين وبعد المحاضرة، وأثناء إجاباته للأسئلة وصف شتاينر ريبتره فيميلسوف نيتشه في بلدة وايمر، كان الفيلسوف آنذاك مصاباً بحس من الحس، وكان على وشك الموت الذي حدث بعد هذه المحاضرة بثلاثة أيام، وتحدث شتاينر عن جهته الحملة وعنه الحادثتين اللتين ينظرهما في فراغ العشاء، وحينئذ قال شتاينر إنه يحس سواجد بيتشه تواجداً حقيقياً كما لو أن روحه تحوم حول رأسه.

وبينما كانت الكونتيسة تودعه في ذلك المساء سألتها عما إذا كان يقصد أنه رأى روح ينشئ بالفعل تحوم فوق رأسه، ولشدة دهشتها كانت إجابة شتاير «أن ما رأيت بعيني من روح ينشئ هي جسمه النوراني الذي يصعظ على جسمه الطبيعي» فادرت سائلة «هل رأيتها حقاً؟» فابتسم وقال «أجل، ولكن بعيني الطبيعية» وودعها ومضى لحاله ليس من شك في أنه كان رجلاً عامصاً وقد طلعت منه الكونتيسة باندفاع أن يعود في الأسبوع التالي ليتكلم عن تفسيراته الباطنية لرؤيا جوته المدهشة المسماة «قصة حيالية»، وفي هذه المرة تكلم في هدوء وثقة لدرجة أنه لم يدع مجالاً لأي من المحاصرين أن يتشكك في أنه يتكلم عن خبرة عميقة وسئل شتاير عن إمكانية إلقائه سلسلة من المحاضرات في جمعية ثيوصوفيا، وحينما اقترح أن يكون موضوع السلسلة عن الباطنيين العظماء قبلت الجمعية ذلك بالترحاب.

وأصبح شتاير خلال ذلك الشتاء هو الشخصية المفصلة عند جمعية الثيوصوفيا. حقاً كان بعض الأعضاء متحفظين من جهة لأنه كان كثيراً ما يتحدث بما يتناقض مع آراء الجمعية وعلى رأسهم مدام بلافاتسكي، ورعيمة الجمعية آنذاك التي كانت أب بيسات. وكان حينما يسترعي نظره إلى ذلك التناقض يتشم ويسأل سؤاله التقنيدي «أحقاً ذلك؟»، مع ذلك كان واضحاً أنه يحصر ليتحدثي أو ليصدم أحداً كان يتحدث من مطلق الخبرة الشخصية المباشرة، وكانت معارفه واسعة النطاق لدرجة يظهر معها وكأنه قرأ لكل كتاب القرون الثلاثة الماضية. وكانت هناك شاة جميلة تدعى ماري هون سايفرر المثلة التي كانت تدرس في باريس لم تحب هيامها به، وكان من الواضح أنها قد فتته وأعرب دكتور شتاير بتشعها لانتباهاته، فراحه ذلك فتفتحاً وثقة في النفس، وهز بعض الأعضاء رؤوسهم لعلمهم أنه متزوج، ولم تكن الكونتيسة قد قابلت زوجته، ولكنه أخبرها بأنها فلاحه، وأنها تكره بسوت عديدة.

وحدث بعد ذلك أن أصبح دكتور شتاير بين يوم وليلة رئيساً لمجمل الجمعية الثيوصوفية في برلين، وازداد عدد من اعتبروه داعية لها، وازداد عدد أعضاء الجمعية بشكل ملحوظ وتقاتلت مسر بيسات مع شتاير وأعجبت به، والظاهر أنها لم تكن شديدة الاهتمام بموضوع الباطنية المسيحية التي كان يدعوها شتاير، بينما كانت مدام بلافاتسكي آنذاك تنادي بأن كل الأديان طرق تؤدي إلى نفس الحقيقة، ومن ثم لم يكن هناك أي خطر من تعاليم شتاير. ويبدو أن شتاير تفصل فكرة مدام بلافاتسكي

سأن الإنسان الخيالي يمثل الحذر الخامس للنفس البشري (الحذر الرابع هم سكان
أطلاطس)، وأنا جميعاً عمر خلال التناسخ أو حلول الروح وأعلن أيضاً أنه قادر على
قراءة اللوح المحفوظ، وهو السجلات التاريخية الحقيقية المحترمة في الكون الأثيري،
وتكلم بثقة بانه عن طهولة المسيح، وعن الحركات الروحية المتعددة في تاريخ
لعرب

أصبح شتاير خلال عشر سنوات واحداً من أشهر رجال أوروبا وأصبح له
اتباع كثيرون، وبعد فترة قصيرة انفصل عن الجمعية الثيوصوفية حينها حاولت مسز
بيسبات أن تقدم داعيةً حديدًا هو جبرو كريشا موري الذي كان آنذاك مجرد صبي،
وكان الثيوصوفيون الألمان ينظرون إلى شتاير باحترام بالغ حتى أن معظمهم فصلوا
لانتحاق بتطلعه الخاص بالحديد الذي سماه الجمعية الأنثروبوصوفية أو جمعية الصوفية
لإيساية، وفي عام ١٩١٢ اعتقد الكثير من أتباع شتاير أنه عبارة عن تجسيد للإله،
و حلول عصر الإله فيه مثل بودا أو المسيح، وأنه أرسل إلى الأرض ليأتي لها بالنور،
وأن الصوفية لإيساية أو الأنثروبوصوفية سوف تصح في يوم من الأيام الديانة
الحديدية التي تحل محل كل ما قبلها من ديانات.

انتهت كل الأمل التي تنطبع إلى إحياء دين جديد إلى لا شيء، فقد كان تفجر
الحرب العالمية كانه صفة، وممرت أربع سنوات أصبحت فيها أوروبا مشغولة بتم
بأشياء أخرى خلاف مجرد التفكير في الأنثروبوصوفية، بل انتشرت الإشاعات عن أن
شتاير هيا هزيمة ألمانيا بإعطائه نصيحة خاطئة للبحرال مولتكبي الذي كانت روحته
وحدة من أتباع شتاير وقام شتاير ببناء معبده بمدينة دورناس في سويسرا، ولكنه لم
يخرج عن كونه مركزاً لنطقوس ولما انتهت الحرب طر شتاير أن فرصته قد حانت
بصبح مؤسساً للدين الجديد، فأخذ يتنقل ويلقي المحاضرات في كل مكان بلا كلل،
وبكمه أصيب شيء من الإعياء ومات في مارس سنة ١٩٢٥ قبل أن يبلغ الخامسة
وخمسين من عمره، وبقي اسمه معروفاً على نطاق واسع لأنه ارتبط بسوع حديد من
المدارس، وبالأساليب الثقافية الطبيعية.

وبلى حرب رودولف شتاير كان في مسيرته داعية كاللمسيح فيما بين سن الأربعين
والخامسة والخمسين، فقد كان أيضاً واحداً من أشهر دعاة الروحانية في القرن

العشرين، هو الرجل الذي مرّح مسيحية العصور الأولى بالروحانية الجديدة التي كانت تحاول أن تحمل محلها.

ولكنني منهم سبب كل ذلك لا بد لنا من كلمة عن مدام بلافانسكي التي كانت تسمى عند مولدها سنة ١٨٣١ باسم هيلينا هان، أي قبل مولد شتير ثلاثين عاماً، وكانت هيلينا هي الرئيسة المرشحة للجمعية الثيوصوفية سنة ١٨٨٠ كاتبة قصة روسية، وكانت من صباها ممتلئة الجسم فارة القوام، جلست في يوم من الأيام تحديق في المصاء ويدها قلم، ودهشت حينما رأت يدها تتحرك بالقلم وتبدأ الكتابة، قدمت الروح المتصلة نفسها على أنها تكللا لبيدروف حالة أحد ضباط الحامية التي يقودها والدها، دهش والد هيلينا من المعلومات التي أحرت بها الخالة تكللا عن نفسها، فاستخدم بعضاً من سلطته لمراجعة تلك المعلومات في السجلات الحكومية، ولشدة دهشته ثبت أن كل ما قالته صحيح، وأصبح واضحاً بذلك أن الموق يستطيعون الاتصال، ثم حدثت في أحد الأيام صدمة حينما قابلت هيلينا ذلك الضابط ابن شقيقة الخالة تكللا، وثبت أن المعلومات التي أعطتها لها عنه صحيحة، وتساءلت كيف ذلك؟.

من العجيب أن هذا التناقض الاستطلاعي يعتبر من الأدلة المقنعة على أن الإنسان قد يتواجد بعد الموت، وكان من أكبر الاعتراضات على البقاء أن النوم يتعارض مع ذلك بعد أن تنفصل كل أحسامنا السورانية عن الجسم الطبيعي أثناء النوم تماماً كما يحدث عند الموت لماذا إذن لا نشعر بأحاسيس بطوف حارح أجسامنا الطبيعية حينما نستغرق في النوم مثلاً يحدث عند الموت؟ إجابة مذهب الروحانية على ذلك هي أن الجسم السوراني يتنقل فعلاً أثناء النوم، ولكن تمررنا حالة من فقدان الذاكرة عن كل أشطننا، فيقال إن الوسيط أو الروح الأسرة قادرة على أن تجتذب روح الشخص النائم بنفس السهولة التي تجتذب بها روح الميت يبدو أن ذلك غير صحيح. ولكن ذلك هو ما حدث فعلاً في حالة هيلينا بلافانسكي وحدث أيضاً في إحدى الحالات المؤنفة خلال القرن العشرين أنه بينما كانت الروح المسماة حوردون داهير تنصل من خلال الوسيط دكتور سول S G Soal أعطى داهير معلومات وميرة ودقيقة عن المكان الذي تعيش فيه أرملته، ووصف المنزل الواقع أمام البحر وصفاً تفصيلياً فيه كثير من الدقة، وحينما تعرف سول على مكان المنزل أخيراً من منطقة

ساوث إند على البحر وجد المترل حسب ما وصفه دافيز تماماً. ولكن دافيز كان حياً
وفي صحبه حيدة جالساً أمام المدفأة هذه إذن حالة شبيهة بحاله تكللا لبيدروف يبدو
وصحفاً أنها تعطينا نوعاً من البرهان على أن الجسم البشري ينفصل بالفعل عن الجسم
لطبيعي أثناء النوم كما يحدث تماماً عند الوفاة.

تروحت هينينا من رجل يدعى سلافاتسكي، ولم يكن رواحاً سعيداً إذ أنه لم
يستطع اقتصاص بكارتها وهرب من المنزل وكان عمرها آنذاك ثمانية عشر عاماً في سنة
١٨٤٩، وهي السنة التي أعقبت بدء أصوات الدفقات العجيبة التي سمعت في منزل
لاحتين فوكس. ولما سافرت إلى نيويورك عام ١٨٧٣ كانت هيلين قد تحولت إلى
وسيط وأصبحت قادرة على تقديم أصوات الدفقات من كل أنحاء الحجارة. ولما أرسل
اسدوب لصحفي هنري سنيل ولكوت لعمل حديث معها أصبح من مريديها،
وساعدها في مرحلة خطيرة من حياتها وهي الفترة التي كانت تسيطر كتاباً بعنوان
«إيريس بلا قناع» وهو الكتاب الذي جلب لها الشهرة. وبعد أن تحققت الشهرة لم يلبث
قررت أن تتخذ من الهند وطناً الروحي. وأخذت جمعية الثيوصوفية التي كونتها معها
إلى الهند. وفي عام ١٨٨٤ وقعت كارثة حينما أرسلت جمعية البحوث النفسية
ريتشارد هودجسون للتحقق من مرامها، واستطاعت رؤية البيت التي كانت تعار منها
أن تقعها بأن كل أعمالها خداع. لم تستطع بعد ذلك أن تسترد سمعتها بسبب إعلان
أدائها في محاضرات جمعية البحوث النفسية، وماتت بمرض قلبي وهي في الستين
من عمرها وكان ذلك عام ١٨٩١. لكن مذهبها الجديد «الثيوصوفية» وهو مزيج من
بودية والروحانية استمر وكان له تأثيره على المستوى العالمي. ويمكن القول بأن هذا
شكل الذي قدمته مدام بلافاتسكي من الروحانية حقق نجاحاً أعظم بكثير مما حققته
صبغة التي أحرقتها الأختان فوكس في روشستر عام ١٨٥٠ حيث لم تجتذب هذه
الصبغة الأخيرة إلا القليل من المعجبين.

كان رودولف شنابر من أبناء الطبقة العامة في النمسا، هو والده مشعل جهار
يرى في محطة سكة حديد نمساوية، وكان من الناحية المادية محروماً في طفولته. لأهم
كأنوا فقراء للغاية، ولكنه نشأ في وسط منطقة بدعة المناظر بها عادات، وجمال
و استطاع بذلك الطبيعي أن يقرأ معظم الكتب التي وقعت في يده
في يوم من الأيام كان جالساً في المحطة بحجرة الانتظار حينما دخلت عليه امرأة

عريه وقالت «حاول أن تساعدني إذا استطعت الآن» وسارت نحو لدواة واحتضت فيها امتار الصبي بقدرته على نمالك نفسه، فلم يجر أحداً بما رأى حاصه وأنهم كانوا من الكاثوليك، وربما عموه على هذه الخرافة لكنه لاحظ أن أمه قد أصابه الحرب خلال الأيام التالية لذلك، ثم علم فيما بعد أن قرية من أقربائه لم يسبق له أن راهب قد اسحرت، في نفس الوقت الذي رأى فيه المرأة العريه في حجرة الانتظار بالمحطة. وبطراً لأنها ظلت منه العون بمعنى ذلك أنها ما رلت حيه

قص شتاير هذه العصة في إحدى محاضراته فقال:

مد ذلك الوقت بدأت حياة روحية تتطور في داخل الصبي جعلته يدرك عن عوالم لا تتكلم فيها الخيال الخارجيه والأشجار الخارجيه للروح البشرية بحسب بل والكائنات التي تعيش حلقها، ومد ذلك الوقت عاش الصبي مع أرواح الطبيعة التي يمكن ملاحظتها، وبخاصة في مثل تلك المنطقة التي عاش فيها، عاش مع الكائنات المبدعة التي هي من وراء الأشياء.

يبدو إذن أن شتاير كان على مثال ووردزورث قادراً على الإحساس «بالأمحاط غير المعروفة من الكائنات» عن الطبيعة المحيطة به، كما كان واضحاً أنه عن مثل هيلينا هان، وسيطاً طبعياً، ولكنه اختلف عن سائر الوسطاء الذين وجدوا في أواخر القرن التاسع عشر ناحية هامة هي قدراته الاستطلاعية العقلانية، فلقد أعماه أحد المدرسين مجلداً في حساب المثلثات، استطاع منه أن يكون أشكلاً لا ترى ماثلة نحو الداخل فقط ومفصلة عن شكلها الخارجي «لأن تكون قادراً على الإمساك بشيء روحي فقط بعمري سرور داخلي». وإني أعرف أنه من خلال حساب المثلثات مرت بي تجربة السعادة لأول مرة في حياتي.

ويصعد بنا الكلام عن حساب المثلثات على أنه من «الروحانيات الخالية» بحدة إلى الروحانية مباشرة، ومع ذلك مثل هذا الاتجاه الجوهر الرئيسي لفكر شتاير، ويعطيه أهمية خاصة تتسامى كثيراً عن أي روحانية في القرن التاسع عشر أو في القرن العشرين أيضاً إن ما تعلمه شتاير من الطبيعة، وكذلك من حساب المثلثات هو كيف يحسر في داخل نفسه قال الفيلسوف الداعركي كيركجارد «إن الحقيقة ذاتية» يعني أنها حيرة بالحقيقة، وبذلك فهي تتميز عن مجرد «المعرفة» بأن لها شيئاً حقيقياً وأنها نوع من التفرد إلى العوالم الداخلية، وهي كما يذكر شسترون «لوقلت إن

الأرض كروية فهي حقيقة ولكي نست أعيها، ولكي أعيها فإن احتاج إلى أن أكون رائداً أحوب أفاق الفضاء. سطبق نفس الشيء على حقائقنا، ولكن حينها أسترحي داحل حمام ساحر وأشعر بإحساس من السرور والارتياح يعمرني، فإني أحرب بذلك أيضاً شكلاً من أشكال الحقيقة. قد يجرب الرائد القصائي نفس هذا الشعور الداخلي بالتأكد حينما سطر إلى أسفل لأول مرة ويقول «يا إلهي إن الأرض كروية»

وطبقاً لما ذكره شتاير، فإن هذا الشعور بالتواجد الداخلي يعبر نقطة بداية في «الحياة الروحية»، إن ما يجب أن نتعلمه هو أن نربط أنفسنا هناك، وألا نسمح للعالم أن يجرنا إلى منطقة الشك والتارلات وهذا هو - بصورة ما - ما قصده شكسبير بقوله «كن صادقاً تجاه نفسك» لكن الأمر لا يحتمل ما هو أبعد من ذلك، إنها تعني أن نتعلم كيف نستمع إلى الأصوات الداخلية، نتعلم لغاتها، وأن نستمع إلى صوت داخلي ليس مجرد تساؤل لتقرير ما إذا كنا نعمل شيئاً أو لا نعمله وفقاً لصيحة لداخ الداحلي، بل إنه أشبه ما يكون بدراسة بعض الحكم القديمة التي كتبت بلغة غير معروفة، وقد تستمر دراستها لدى الحياة

والآن نستطيع معظمنا أن يفهم كيف أن الانحسار في داحل النفس يؤدي بنا إلى تقدير أفضل لكل شيء. لكي تقدر الموسيقى أعلق عيبك أو على الأقل ركر نفسك كلية على الموسيقى، وحينما نكون «في النعم» مع الطبيعة فإن ذلك أساساً يصل إلى حالة الانحسار داحل النفس، ونكون النقيضة أنه كلما زاد تعمقنا في «داحيتنا» زاد همق تقديرنا لما هو «في الخارج».

يتحاور شتاير ذلك إلى ما هو أبعد بكثير، فهو يصر على أننا حينما نكون في حالة الاستيطان (في داحلية النفس) نصبح أيضاً على وعي بعالم حوارات العادات، فكلاهما من قبيل الروحية ومن قبيل حوارات العادات. ربما بدا ذلك كما لو كان تجربة شخصية مر بها شتاير، فهو يرعم أنه بعد أن رأى أنة عم والده في حجرة الانتظار لحظة أصح واعياً بأرواح الطبيعة، ولعله يقصد نفس نوع العناصر التي زعمت رور ليد هايوود أنها قابلتها في دارغور، وكذلك أرواح الموق (ربما تتذكر تعبير روراييد هايوود ووصفها لمقابلتها التحاطرية مع صديقتها الميتة فيثيان حيث قالت «سرعان ما أصبحت مدركة أنني لا أستطيع أن أستمسك بحالة الدوبان التي يحتاجها لاتصال فيثيان» باعتبار أن الاتصال مع الموق يتطلب امتصاصاً داخلياً معيماً.)

ولقد رعم شتاير في سيرته الشخصية حدوث اتصالين مع شخصين من
الأموات لم يكن يعرف أيهما، لم تكن تجربة وسطاء على إنها تصمت نوعاً من
الاندماج الداخلي، فقد حدث في قيسا، حينما كان شتاير في أوائل العشرينيات من
عمره، أن قدمه البعض لأسرة مثقفة من الطبقة المتوسطة، وفي ذلك يقول «يستطيع
الإنسان أن يحس وهو وسط هذه الأسرة بوجود شخص غير معروف لنا، هو الأب،
ولم يسبق لنا [يقصد شتاير نفسه وبعض الأصدقاء الآخرين] أن قبلناه، بيد أننا
أحسنا بوجوده»، كان ذلك الأب الراحل رجلاً غير عادي بتحب الاتصال بالمجتمع
ويعيش مثل الناسك، وبما قاله عنه أسرته وبما كتبه هو في مذكراته، أحد شتاير
يشعر تدريجياً أنه يعرفه، وأخيراً مات الراحل وطلب من شتاير أن يلقي خطبة
الحسرة، فتحدث عن الأب وكأنه يعرفه عن قرب حتى أن الأسرة أحرته أنه كان
يتكلم وكأنه يعرفه تماماً.

يبدو أن معرفة شتاير الظاهرة بالأب جاءت من شتات المعلومات التي سمعها
من أفراد أسرته، ولكن فيما بعد أصبح واضحاً بما ذكره في سيرته الشخصية أنه كان
يقصد أكثر من ذلك. فبعد عشر سنوات انتقل وأمر إلى العمل في أرشيف جونيه ليشير
كتابات جونيه العلمية، وقدم لأرملة تسمى أنا أيوبكا التي أصبحت فيما بعد زوجته،
وقد أجز شقة في منزلها، وأصبح مديراً واعياً بعن لشخصية روحها الراحل يذكر
في سيرته الشخصية «أن قوى الرؤية الروحية التي أمتلكها قد مكنتني من الدخول في
علاقات وثيقة مع روحين بعد موتها الأرضي» والحقيقة أن ما زعمه شتاير هو قدرته
على متابعة تطور كلا الرجلين الراحلين في عالم الأرواح

والآن بدأ يتضح أمامنا لماذا كان شتاير غير صابر على الروحانية ولماذا أعلن
في إحدى المناسبات «أن الروحانيين هم أعظم الماديين جميعاً». يروح الوسيط في غشية
توسيمية، أو يستخدم القلم لتتبع كلمات روح من الأرواح وهو لا يعلم شيئاً عن
الطبيعة الحقيقية للميت أو حقيقة الداحلية. ونجد أن وصف روزاليند هايوود عن
اتصالها بصديقها فيقيان أوسورن بعد وفاته قريب من ذلك للغاية، فهي تقول
«دخلت مباشرة في أعماق فيقيان نفسه بأقصى درجات السرور والحسوة» وأن فيقيان
«نقل إليها بطريقة جميلة أن أفضل كلمة في نظره هي كلمة الاندماج» وهذا هو ما
أرادته من ذلك القول. وتحدثت مسر ويلييت أيضاً عن استشعاره لكل من مايرز

وجوربي نفس الطريقة وهذا هو ما يقصده شتاينر بعبارة الاتصال بالموثق، فهو يشعر بأن الروحانية بذاتها بانصال أكثر سطحية ومادية من عصر الداهلية.

وطبقاً لما ذكره شتاينر، كان للإنسان في الماضي السحيق قدرة مباشرة على الاتصال بالموثق، وهناك في الحقيقة دليل مدهش من قطعة أثرية قديمة، فالكائنات الشربة الحديثة تنتمي لسلالة تسمى «إنسان كرومانيون» ظهر على سطح الأرض منذ نحو خمسين ألف عام، والمعتقد أنه قصي على سابقه من إنسان بياندرتال، إذ كان إنسان بياندرتال صغير الحجم أشبه ما يكون بالقردة العليا وطريقته في الاتصال كانت تقتصر على أصوات أمية المخرج، ولكن قبوره احتوت على أحجار بيضاوية ربما كانت تصويراً للشمس وأشياء أخرى طقوسية تدل على أنه كان كالمصريين القدماء يعتقد في نوع من الحياة بعد الموت ومن الصعب أن يعتقد أن مخلوقات أرقى قليلاً من القردة يمكنها أن تطور فكرة الحياة الأخرى، ولكن شتاينر مثله مثل عالم النفس الحديث ستان جوخ عن حق في اعتقادهما بأن إنسان بياندرتال كان أكثر نفسانية من الإنسان الحديث، إذن كان اعتقاده في الحياة بعد الموت ليس مجرد مسألة فلسفية بل خبرة مباشرة.

لذلك فهو يقول:

«لو أننا نظرنا إلى الوراثة نظرة روحانية ولو لقروا قليلة مضت لوجدنا شيئاً لا ند وان يدهش أي شخص يجهل تلك الأشياء، سوف نجد أن الاتصال بين الأحياء والأموات يرداد صعوبة، وأنه منذ زمن قصير مضى كان هناك اتصال بشيط بينهم».

ويحتاج الميت، كما ذكر شتاينر - إلى اتصال مع الأحياء كي يعدي وجوده، وفي الأزمنة الماضية كان هناك اتصال مباشر بين الأحياء والموثق، وكان باستطاعة الأحياء أن يتابعوا ما يحدث لأقاربهم الموثق فيما بعد الحياة، ولكن هذه القدرة الاستشعافية صامت بالتدريج وحتى ذلك الوقت كان هناك نوع من شبه شعور بالوعي عن وجود الموثق، أما الآن حسب ما يقول، فقد اختفى ذلك تماماً، ولكن مع قدر ما يمكن للبشر أن يتعلموا كيف ينفذون إلى العوالم الخارجية من خلال العلوم الروحانية، وسوف يستعيدون بذلك القدرة على الاتصال بالموثق.

ووصف شتاير ما يحدث للإنسان بعد الموت في واحد من أوائل مؤلفاته الهامة وهو كتاب «التيوصوفية» (جدير بنا أن نصيب أنه حتى عام ١٩٠٤ كان مفهوم شتاير عن التيوصوفية قد تطور و تجاوز مفهوم مدام بلافاسكي)، وقبل شتاير مثل الناطقين فكرة أن الإنسان مكون من أربعة أجسام الجسم الطبيعي، والجسم الأثيري والجسم التوراني والذات. وبعد الموت يرحل الجسم التوراني والذات من الجسم الطبيعي أما الجسم الأثيري فيبقى ثلاثة أيام ثم يزول وحلال هذه الفترة تشاهد الروح (الجسم التوراني والذات) كل ما مضى من حياتها يسترجع أمامها ثم تدخل بعد ذلك في مجال سمي «كامالوكا» الذي يشبه الأعراف أو الصراط، ويحصن الإنسان كل حياته الماضية التي تمر عليه، ونظراً لأن الجسم التوراني يظل قادراً على الإحساس فسوف يعاني من الرعبات والشهوات التي لم تشبع، وحينما يتطهر بالمعانة والعذاب يمكن في النهاية أن يدوب وفي الكامالوكا يتلقى الجسم التوراني أيضاً خبراً عن كل أنواع العذاب التي صبها على الآخرين من وجهة نظره هو

بعد ذلك ترتفع الذات إلى عالم الروح حيث يمكنها أن تختار حياتها التالية، تختار الشكل الذي تريد أن تولد به، والظروف التي تعيش فيها، (وهذا يؤكد شتاير أن أي شخص لا يلام على نصيبه لأنه هو الذي اختاره بنفسه) وهذا الاختيار الدقيق يعطي الفرصة للتطور (وهو يعسر لماداً لا يختار حيناً الجحاح العظيم). وبعد فترة قصيرة تعود الروح إلى الأرض لتعيش حياة أخرى ومن بين الكتب الهامة التي ألفها شتاير كتاب من ثمانية مجلدات يسمى علاقات الكارما، يضم محاضرات ألقاها قبل وفاته فترة قصيرة، وفيها رعم أنه استخدم قدراته في رؤية الروح ليتبع التناسخ الماصي لكثير من عظماء الرجال وهو يقدم حتى لم يعتبرون الكتاب مجرد حيل رؤية مذهشة عن إدراك شتاير للطريقة التي يتم بها تناسخ الأرواح.

ومن الأعضاء البارزين في جمعية البحوث النفسانية والتون كاريجنون الذي أصدر كتاباً هاماً نشر عام ١٩٢٠^{١١} وعنوانه «نظرية ميكانيكية النفس» قدم لنا فيه نقداً لنظرية التيوصوفية يقول فيه:

(١) صدر الكتاب تحت اسم Whately Smith

في الكتابات الثيوسوفية. . . بواجه ظلاماً لأشياء مئة من اصطلاحات مثل المستوى النجمي أو النوراني، والمثل الأثيري والجسم السي، وكارما وغيرها، وبالرجوع إلى أصدقائي من الثيوسوفيين أعرفهم بأن ذلك لا يمكن أن يحصع للتفسيرات العلمية، ولا يمكن أن يكون كذلك ما لم يكن مقروء مستعدين لإحداها عن العلاقة بين المورى النوراني والعالم الطبيعي، وبين المثل الأثيري والجسم كما هو معروف للمسيولوجيين

هذه نقطة مقسولة، لكنها لا تنطق على شتاير بأقل مما تنطق به على مدام بلافاتسكي، فضلاً عن أن تفسيرات شتاير تشترك في كثير من أبحاثها مع الطريقة التي قدمها كارينجتون في كتابه، يبدأ كارينجتون من مفهوم الأبعاد الأربعة كما شرحها الرياضيون أمثال رايمان ولوبا تشيسكي، وواصل جدله الطويل حول دليل البقاء برغم أن الميت يبقى في عالم يوحد فيه بعد آخر زيادة فيه عن الأبعاد المألوفة في عالمنا (وتؤكد ذلك تجارب اقتراب الموت عند السير أوكلايد جيديس التي سبق وصفها في الفصل الثاني، حيث قال جيديس إنه أصبح حراً من بُعد رماني في المكان، بينما «لأن» كان بصورة مساوية بكلمة «هنا» من البعد الثلاثي للمكان» وفي محاضرة القيت عام ١٩١٨ تحت عنوان «الأموات معنا» شرح شتاير:

إن انماضي في المعنى الروحاني لم يمت حقيقة، ولكنه يظل موجوداً هناك، هي الحياة الطبيعية يكون للإنسان مفهوم يتعلق بالمكان فقط، ولذا وقفت أمام الشجرة ثم مضيت، وبطرت مرة ثانية، فلن تحتمي الشجرة نفس الشيء يصدق على اللحظة التالية من حيث الوعي الطبيعي بها، فإنها في منظور إدراكها الروحي قد مضت ويمكنك أن تنظر إلى الخلف إليها كما سطر إلى شجرة، وقد بين ل. ريشارد «يجر أن لديه معرفة بذلك جميعاً قال عبارته المشهورة «أصبح الرمان هنا مكاناً»

يعتبر الرمان في الطبيعيات الحديثة هو البعد الرابع، ويبدو أن ما يريد شتاير أن يقول هو أن عالم الروح فيه في واقع الأمر بعد آخر يعني الرمان هو ثابت بصورة معينة (توصل باحث حديث اسمه ليشريدج T.C. Lethbridge إلى نفس النتيجة تقريباً على أساس بعض التحارب العربية حول العاس مستخدماً التزول)^(١)

وبينما يميل بعض الناس إلى رفض حكاية شتاير عن الحياة بعد الموت على أنها أمر لم يثبت بعد فلا يمكنها أن تذكر أن هناك نوعاً من التناسك المدهش في آرائه، وأن ذلك يدعو بقوة إلى البحث، وهو يكتب قائلاً:

(١) أنظر كتابي «خدايا الحياة» القسم الأول، الفصل الأول.

يجب أن يؤكد على نقطة هامة هي أن العالم، (عالم الأرواح) مسروح من لماته التي يتكون
مها العكر الإنساني، ولكن العكر - كما يعيش في الإنسان هو مجرد ظل صورة، أو سراب يعكس وجوده
الخصي - ولما كان الظل شيئاً على الحائط يعكس الشيء الحقيقي الذي يلقي ساطعاً، كذلك العكر
الذي يستق من الإنسان يرتبط مع الواحد في أرض الروح التي ترتبط بهذا العكر

لعل هذه المكرة التي تقول بأن عالم العقل هو عالم الروح تكون أكثر إقناعاً
إنها بالتأكيد أكثر إثارة للتأمل من حكايات الحياة بعد الموت التي تجعل عالم الروح يبدو شديداً
الشبه بشيء مثل أرض الأحلام أو معسكرات الإجازات

وطناً لرأي شتاير في عاصرتة عن الموت معنا نحن بلاقي الأموات من لحظة دهبنا إلى النوم،
ويقبلهم مرة أخرى عند الاستيقاظ وتعتبر لحظات النوم والاستيقاظ هذه هي قمة الدلالة على
اللقاء مع من يقال أنهم موت، وكذلك مع الكائنات الروحية من العوالم العليا

ولحظة الذهاب في النوم لحظة عجيبة لنا لتوجهها فيها نحو الموت، ونعرض أب سريد سؤال الميت
عن شيء يمكننا أن نحمله في روحنا، ونسأله حتى لحظة الذهاب إلى النوم، وعدد وجه سؤال
إلى الميت، ومن جهة أخرى تعتبر لحظة الاستيقاظ هي أحسن لحظة للميت بتصل فيها بنا

ويقول شتاير إن ذلك يرجع إلى أنه لا يستيقظ أحد دون أن يأتي معه بآراء لا
عدد لها من الموت، ويذكر أن هناك مشكلة أخرى أكثر تعقيداً، فحينما نتكلم مع الموت
فإن العلاقة تعكس بصورة ما، وحينما يلقي سؤالاً على الميت فإن السؤال يأتي منه
«إنه هو الذي يستثير روحنا بما نسأله»، وحينما يجيبنا فإن تلك الإجابة تأتي من روحنا
نحن، ولكي نقيم اتصالاً مع الذين ماتوا فعلياً أن نبقى أنفسنا للاستماع منهم لما
يقوله نحن أنفسنا، وأن نتلقى من روحنا إجاباتهم.

ومن الطريف أن دكتور ويلسون فإن ديوسين يذكر في كتابه عن سويدنجر
السائق الإشارة إليه في الفصل الافتتاحي، أن مشاهدات سويدنجر لعالم الروح
جاءت في الشكل الذي نسميه «حالة العاس المحكومة» حيث يكون العاس هو الحد
العاصل بين النوم واليقظة، ويصف حاي توماس في كتابه «قانون الطواهر المصانية»
كيف أنه حاول استخدام طاقات العقل الشخصي الفائقة القوة لشيء قريب له كان
يعاني من حالة روماتيزم ميثوس منها، وكانت الطريقة التي اتبعها هي أن يركز على
التحفيف عن قربه الذي كان يعيش في مدينة أخرى عند لحظة النوم وبدأ العلاج
في منتصف مايو سنة ١٨٩٨، وبعد بضعة شهور تقابل أحد أصدقائه الذين يعرفون عن
العلاج المقترح على ذلك المريض ووجدوا أن حالته قد تحسنت وأنه عاد إلى عمله. بدأ

نحس الحالة في منتصف مايو، وطقاً لما ذكره هدمسون يعمل العقل الداني بصورة
أفضل عند حافة النوم لأنه يكون آنذاك محرراً من السيطرة المعتادة للعقل
الموصوعي، ويمكن القول طعماً بأن نصف الكرة المحية اليمنى تتحرر عند نقطة النوم
من سيطرة ذات الشطر الأيسر من المخ

وكما ذكر شتاير «علينا ألا ننحس عن الموت من خلال أمور خارجية، ولكن يجب
أن ندرك أنهم موجودون دائماً» ومن بين المهام العملية للأسترووصوفيا إقامة السـ
الدرجي للجسر أو المعبر الموصل بين الأحياء والأموات بواسطة علم الروحانيات،
وهو مقتنع تماماً بأن «التحول الكبير سوف يحدث في حياة الإنسان جميعاً لا تصح
لأفكار الخاصة بالناسح والكارما مجرد نظريات يعتفها القليل من الناس»

ونقد رأياً بالمعمل أن الجدل حول الناسح قد أدى إلى انقسام حركة
الروحانيات منذ مراحلها الأولى المبكرة، وأن روحانيات كاردريك التي تدعو إلى فكرة
نساسح كانت في حقيقة أمرها مدفوعة في السر بدعوة الروحانيات التي نشأت في
أمريكا، ونجد الآن أن المذاهب التي تنادي بالنساسح غير مقبولة على نطاق واسع لدى
الروحانيين رغم أن البعض بقلوبها كثيئة يمكن الحدوث فقط وحيثما كنت أكتب
كتابي عن العيبيات في أوائل السبعينيات طلبت من صديق من الروحانيين هو
سروفسور ولسون ثابت لو أنه حضر جلسة في المرات التالية فليسال الروح سؤالاً
مباشراً عن هذا الموضوع تكون إجابته مباشرة نعم أو لا وبعد فترة قصيرة أحبرني
هذا الصديق بأن الإجابة لم تكن بالإيجاب ولا بالنفي. وطقاً لما ذكره أتباع البروفسور
ثابت المتصلون، يحدث الناسح أحياناً بصورة متقطعة، ولكن يجب ألا نعتبره قاعدة
عامة

وفي تصالات مايرر مع جيرالدين كومير التي نشرت تحت عنوان (الطريق إلى
الحود) نجد تفسيراً غير عادي لمكرة الناسح، فهو يتكلم عن مفهوم يسمى «جماعة
روح» وهي مجموعة من الأرواح مرتبطة مع بعضها بواسطة روح واحدة اعتماداً على
سندادها العداء من تلك الروح الواحدة. ويذكر أنه هو نفسه كان ينتمي إلى «جماعة
روح» مماثلة حيثما كان على الأرض، ويقول: «إذا ما ظهرنا أحياناً لنلقى العقوبة
عن الخطايا التي ارتكناها في تواجدنا السابق فذلك لأننا أصبحنا روحاً متمية إلى
جماعة أقامت من أحلي إطاراً لحياتي التي عشتها قبل أن أجتاز بوابات الميلاد»

دهش فريدريك مايرر الحفقي، مؤلف كتاب «الشخصية الإنسانية ونواحيها»
بعد الموت الحسدي» عندما تناول حالة من أعرب حالات التباس التي جمعتها جمعية
البحوث العنصرية، وهي حالة لورانس فيوم، ويورد هذه الحالة في كتابه بالتفصيل
في الفصل المخصص لدراسة تفكك الشخصية

في ١١ يوليو سنة ١٨٧٧ أصيبت فتاة تدعى ماري لورانس فيوم من واتشيك
في إلينوا بوبنة وفقدت وعيها لمدة خمس ساعات، وحدثت لها البوبنة مرة أخرى في
اليوم التالي، ولكن كان من الواضح أنها راحت في عتبة نومانية لأنها أعدت أثناء
ذلك أنها ترى السماوات والملائكة، كما ترى شقيقها وشقيقها، وتكررت تلك
العشبات خلال الأشهر التالية، وكان واضحاً أن لورانس فيوم كانت خاضعة
لاستحواد عدد من الشخصيات السيئة عليها، ومن بينهم امرأة عجوز تسمى كاترين
هوجان، وقد أشار أقاربها على أبيها أن يدخلها مستشفى أمراض نفسية، ولكن أحد
الخيران ويدعى روف الذي كانت ابنته الراحلة تعاني من بوبات جنون كهده أقنع
فيوم بأن تعرض نفسها على الدكتور ستيفز W W Stevens في جسر فيل بولاية
ويسكونسن.

حيثما رآها الدكتور ستيفز لأول مرة في أول فبراير سنة ١٨٧٨ كانت الفتاة
خاضعة لاستحواد كاترينا هوجان (المرأة العجوز) وذلك في أثناء جلوسها مريحة على
مقعد معلق في الهواء. وحيثما أراد ستيفز أن يقترب منها طلبت منه بشيء من الصرامة
أن يبقى بعيداً. ويبدو أنها بدأت بعد ذلك تترقق معه فتحدثت عن نفسها وعن
والديها (قالت إن أباهما هو الديك الأسود العجوز) وسرعان ما تعيرت شخصيتها
ووصف القادم الجديد (المتلس فيها) نفسه بأنه شاب يسمى ويلي كاسج، لكنه تكلم
بطريقة متقطعة، وانتهى الأمر إلى بوبنة، وحاول ستيفسون أن يوجهها معاطيئياً،
وبصح في ذلك، وظهرت لورانس فيوم أخرى شرحت له أنها خاضعة لاستحواد
أرواح شريرة، واستمرت في حالة العتبة وأخبرته بأنها محاطة بأرواح إحداهما تسمى
ماري روف

وقالت ماري روف التي تواجدت في الحجرة آنذاك «هذه هي ابنتي» وبصحت
لورانس بأن تغفل حضورها لسيطرتها، وبعد مناقشات استمرت وقتاً طويلاً مع الأرواح

أعلنت لورانس أنها سوف تسمح لمسر روف بأن تسيطر عليها واستعصت بعد ذلك بقليل.

في اليوم التالي دعا والد ماري لورانس فيوم إلى مكتبه رجلاً يدعى أساروف لذي أخبره بأن لورانس فيوم ترغم حالياً بأنها هي ماري روف، وأن ماري روف تريد العودة إلى المنزل.

كان تاريخ ماري روف يشبه كثيراً تاريخ حياة لورانس فيوم بل وكانت أقرب ما تكون إلى حالة فردريك هوف الواردة في كتاب شهود بريغورست وبدأت ماري كذلك تعاني من النوبات، وفي إحدى هذه النوبات جرحت ذراعها بسكين فاعمي عليها وطلت تهدي خلال الأيام الخمسة التالية ومع ذلك كانت قادرة على القراءة من خلال الغمام وبعد فترة أخرى من النوبات ماتت في بولية عام ١٨٦٥ قبل أن تستحوذ على ماري لورانس فيوم باني عشر عاماً. ولقد استطاع الكثير من المواطنين الدروب في مدينة وانشيكا أن يلاحظوا ما لها من قوى استشفائية

وقبل أخذ لورانس فيوم أو بالأحرى ماري إلى منزل روف حصرت مسر روف وابنتها ميرثا لزيارة أسرة فيوم، وكانت ماري تنظر من الباهدة وقالت: «هذا تحصر أمي وأختي بيرثي» وحيثما دخلتا المنزل عافتهما واغرورقت عيناها بدموع الفرح.

ولقد ترددت أسرة فيوم في ترك ابنتها تمضي هكذا، ولكن «ماري» أصبحت مصابة بحنين للذهاب مما جعل أسرتها أخيراً توافق على ذهابها، وفي ١١ فبراير سنة ١٨٧٨ ذهبت إلى منزل روف، وفي طريقها إلى هناك مروا بمنزل كانت روف قد سكنته في فترة من فترات حياتها، وأصرت ماري على أن ذلك هو مرها، وكان على أسرتها أن تحاول إقناعها بأنها لم تعد تسكن فيه الآن، وحيثما وصلت إلى المنزل الجديد قالت: «لماذا أنقيتم على البياسو القديم وبص العطاء القديم؟» وراقبها المتجمعون الذين كانوا في انتظارها بإشارات تحية معتادة، وردت وكأنها تعرفهم جميعاً وكانت مسر واجر (التي تحمل اسم ماري لورد) مدرّسة لماري روف في مدرسة الأحد فحيثما ماري بكلمات وقالت: «آه يا ماري لورد، لقد تعيرت على الأقل عن غيرك» وأخبرتهم بأن الملائكة سوف تسمح لها بأن تبقى للعشرة المتبقية من شهر مايو وثلاثة أشهر بعده

طعماً كان أهلها شعوبين بمحصها، فطرحوا عليها كل أنواع الأسلحة، وسرعان ما أقعنتهم ماري بأبها فادره على وصف مئات الأحداث التي مرت بها في حياتها السابقة، ووصفت بالتفصيل إقامتها في منطقة بايبيج الاستشفاء في بيوريا، ولما سألوها عما إذا كانت تذكر أسوة الموقد التي سقطت وأحرقت فرايك، أخبرتهم بدقة عن مكان الحرق في دراع فرايك، ولما سئلت عن كلها السابق ذكرت المكان الذي مات فيه، وحيثما تكلمت عن حكاية جرح دراعها بالسكين أحدث ترفع كم ثوبها تعرض على دكتور ستيمر الدية التي تركها الجرح ثم تذكرت سرعة أنها لم تكن في نفس الجسم وقالت «ليس هذا الدراع بل الدراع الملقى على الأرض» وبعد موتها حاول أبوها الإتصال بها عن طريق وسيط فاستطاعت ماري أن تحررهم برسالة كتبها لهم عن طريق يد الوسيط تحدد بدقة المكان والزمان.

ومن أكثر الحوادث إقناعاً أن وجدت مسر روف عطاء رأس مخملياً كانت ماري تستخدمه في حياتها، واقترح الأب أن يترك على شياخة النهر، ودخلت ماري فقالت من فورها «لماذا؟» هذا عطاء رأسي القديم الذي كنت ألبسه حينما كان شعري قصيراً، وذكرها ذلك بصندوق الخطابات، فأحصرت لها أمها ووجدت فيه إحدى باقاتها فقالت، أنظري هذه الباقة القديمة التي طرقتها بصبي».

وأخبرت ماري أسرتها بأنها تستطيع أن تبقى معهم حتى ٢١ مايو، وفي ذلك الصباح كتبت لأمها «سوف تترك ماري جسم رأسي حوالي الساعة الحادية عشرة» وأحدث ماري تمر على الجيران تودعهم وعانقت أبيها وقتلتها ومصت إلى مسرل لوراس فيوم، وفي الطريق احتفت ماري وعادت لوراس فيوم

وحدث بعد ذلك بأربع سنوات أن تزوجت ماري لوراس فيوم بمزارع يدعى جورج بينيج، وقد حذرها أبوها من استخدام خاصية الوساطة فيها في حالة عودة البنات إليها ولكن ماري روف كانت تأتي من وقت لآخر أثناء وجود أبيها هناك، وكانت تندو وكأنها لم تتغير عما كانت عليه في ريارنها السابقة، ولما وصفت ماري لوراس فيوم طفلها الأول وصفتها ماري في حالة العشية حتى لا تعاني من آلام الولادة.

سمع الشاب الأسترالي المشكك ريتشارد هودجسون الذي سبق أن كشف مدام بلافاسكي عام ١٨٨٥ بالحكاية وكان قد ذهب إلى أميركا لفحص حالة مسر باير

في السه التالية وكان يرى لو أن حالة ماري كانت حالة أصيلة لأصحت من الباحة العملية إثباتاً قاطعاً على الحياة بعد الموت فافتشها في مقابله معها عن كل اشخصيات الرثسة التي تلتها ما عدا لورانس فيوم بنفسها إذ أنها كانت قد رحلت إلى العرب مع روحها ورغم هذه المشكله انتهى هودجسون إلى الافتتاح الكامل بحقيقة الأحداث كما رواها دكتور سيمر والعديد من أفراد أسرتها وأصدقائها ووفق عى أنه من الممكن أن تكون حالة من حالات تعدد الشخصية لكنه شعر بعامة أن كل لأدلة تشير إلى أصالة حالة الاستحواذ على لورانس فيوم بواسطة ماري روف الراحلة وصع مايرر هذه الحالة في الفصل المحصر لتعدد الشخصية، ولكنه أضاف أنه في مرحلة أخرى تالية وحسبما يصح متجولون آخرون أكثر لغة فربما بأحد في اعتبارنا مرة أخرى ما قد تعلمه لنا هذه الحكاية من مريد من الدروس ومات مايرر قبل أن يقوم بشرح «المريد من الدروس»، ولكن الواضح أنه اعتبر حالة فيوم دليلاً من أدله بقاء الشخصية بعد الموت.

ولو صح رأي هودجسون ومايرر فإن في ذلك تأييد للصورة التي ظهرت في فصل الأول من هذا الكتاب من خلال كتاب آدم كارتري وويلسون فان ديوسين وبما نميل إلى الاعتقاد في أن الموت نهاية أو بداية لنوع جديد تماماً من التوحيد، وصع جديد عريب، حالة عامصة تعرف أثناءها كل أسرار الكون وتؤكد لنا جميع الدلائل لتي تناوينا أن ذلك مفهوم خاطئ، فبدوا أن الحياة على المستوى الأحروي ليست من أساسها غير مشابهة للحياة الدنيوية، وإن كانت تبدو مختلفة في بعض أحوالها ووفق لما ذكره كثير من «المتصلين» هناك مستويات لا يمكن لنا إدراكها، وهي ليست من اختصاصنا، في ظل الظروف الحالية، ولكن ما لم تكن الدلائل مستقاة من تحوالت النسانية مجرد حدة متقة تماماً ومترنة على الإدراك الجماعي الذي يُشع رعة لإسناد الملحة في النماء بعد الموت بصورة غير مختلفة كثيراً عن حالته الحاضرة

وهناك طرق عديدة تكون فيها أدلة التماسح أكثر إصاعاً من الأدلة لتي تأتي من لوسطاء عن الحياة بعد الموت. فأخيراً أقمت المراسلات المتداخلة الباحثين بأن مايرر وهورني قد عاشا بعد الموت، ولكن لا بد وأن والذي ماري روف كان واثقاً من أنها ما زالت حية أثناء تحركها وهما عائدتان إلى المنزل.

ومن الحالات الكلاسيكية التي لم نلق تحقيقاً ماساً من جانب الحثيث المدرسين من أمثال هودجسون حالة شخصية تسمى ألكسندريا.

ماتت العنة المسماة ألكسندريا يوم ١٥ مارس ١٩١٠ في بالرمو بحريرة صقلية، وأدى الحزن الشديد إلى إصاها أمها أديل روجة الدكتور كارميلو ساموون شرود الدهر ولكن بعد ثلاثة أيام من الوفاة رأت أديل في الحلم أن ألكسندريا طلبت منها ألا تبكي وتتحب لأبها سوف ترحع، وأظهرت لأبها رجماً، فاستكرت الأم الحلم لأن العملية الجراحية التي سيق أن أجرتها في الرحم تمنع إمكانية رجاءها.

وبعد أيام قليلة كانت أديل تذكر إستها لزوجها سميت وهي شديدة الأسى فسمعت أثناء ذلك ثلاث دقائق عالية، وبعد ذلك الحين بدأ الوردان يحرصان الجلسات، وتحدثت روحان من خلال الوسيط إحداهم رعمت أنها الطفلة والثانية رعمت أنها عمة كانت قد ماتت مد زمن طويل، وأحبرت ألكسندريا أمها بأنها سوف توند من جديد قبل أعياد الميلاد كواحدة من نواميس. والواقع أن أديل ساموون وصعت نواميس في ٢٢ نوفمبر سنة ١٩١٠ بعد نحو تسعة أشهر من وفاة ألكسندريا، وكانت الستان مختلفتين تماماً عن بعضهما، ولكن كان في إحداهما علامات في جسمها مد ولادتها تشبه العلامات التي كانت في جسم الطفلة الراحلة ألكسندريا وكانت أيضاً عسراء تستخدم اليد اليسرى مثل ألكسندريا، وأطلق عليها الأبوان اسم أختها الأولى التي ماتت. أما من حيث الشخصية فإن ألكسندريا الثانية كانت مثل الأولى منطقية على نفسها، منظمة ومبالة لأن تفصي وقتها في طي ملابسها وعرشها.

ومما أوقع الوالدين بأن هذه الطفلة هي تناسخ لألكسندريا ما حدث حينما كان النواميس في سن العاشرة أحبرهما والدهما أنهم داهبون في رحلة إلى مدينة مونتريال، ولم تكن أيهما قد ذهبت من قبل إلى تلك المدينة ولكن ألكسندريا ذكرت بإصرار أنها رارت تلك المدينة مع أمها وبصحبة سيده لها قرون ووصعت التمثال الموجود سقف الكنيسة كما وصعت بعض القسس الحمر الذين كانوا هناك. وواقع الأمر أن أديل ساموون كانت قد أحدثت استنها ألكسندريا الأولى إلى مونتريال قبل وفاتها بفترة قصيرة في صحبة سيده كان لها أكياس غير مرئية في جيبها، وذهبوا إلى الكنيسة فقبلت بعض القسس الذين أتوا من اليونان وكانوا يلسمون أردية حمراء دهش دكتور ساموون جداً لهذا الدليل الذي يشي التناسخ ورتة إلى اعترافات الشهود العديدة وشره في مجلة دورية علمية هي فلسفة العلوم.

والمشكلة هنا من وجهة نظر المحقق في الأمر هي أن الأمل الذي فكرت فيه الأم هو لسبب في كل هذه الأحداث، فإن وفاة ألكسندرييا أدى إلى اكتئاب استعاري رعب أحدث ردة فعل من جانب العقل الناطق بإرسال ذلك الحلم الذي وعدت لطعمه فيه بالعودة وفي الوقت الذي رأت فيه الأم هذا الحلم، ربما كانت تدرك شيئاً عن توأمين، وربما كان عملها الناطق أيضاً قد عرف ذلك، ولذا فإن ألكسندرييا لشاة جعت هوية أختها الراحلة على نفسها، وربما كانت الأم قد وصفت لها الرحلة إلى مونتريال ثم سببت ذلك، وربما سمعت أمها تتحدث مع أبيها يوماً عن تلك الرحلة

هذه بالطبع هي المشكلة في هذه الحالة التي وقعت فل أن يفكر أي إنسان في حصصها بتدقيق العلمي ولكن هذا الاعتراض لا يطبق على حالة أخرى حديثة مماثلة وقعت في إنجلترا ووصفها أيان ويلسون في كتابه المسمى «هل العقل خارج لأرض» وهو كتاب يطر إلى التناصح نظرة شك، ويرفض معظم الحالات ويعتبرها حالات ذاكرة مدفونة أو ذاكرة غير واعية

في مايو سنة ١٩٥٧ كانت الأختان جوانا وحاكليس بولوكس تسيران في طريق مكهام في مقاطعة نورثمبرلاند حينما صعدت سيارة على الرصيف وقتلتهما، وقتل فصل آخر في التاسعة من عمره أيضاً كانت قائدة تلك السيارة قد شربت جرعة مضاعفة من بعض العقاقير وصرحت بقصد الانتحار، وهي ابنة المسترجون بولوك كاثوليكي الذي كان يؤمن بالناسخ رغم أن الكنيسة ترفضه شعر بأن موت فصلتين كان من قبيل العقاب له بسبب ذلك الاعتقاد الخاطئ، ومع ذلك فقد استحوذت عليه فكرة إعادة ولادة زوجته للطفلتين، حينما أعلنت روحته بعد مضي من ذلك بأنها حمل أحمرها دون تردد بأنها سوف تلد توأمين من الإناث، وحينما ذهبا لطبيب أنها تحمل طفلاً واحداً فقط أدركت بأن المكورة التي استحوذت عن روحها قد حانت ولكن ولدت التوأمين في ٤ أكتوبر سنة ١٩٥٨ تميزت حينها التوأم شبي في ترتيب الولادة بحظ أبيض في وجهها غاماً مثل الذي كان لأختها الراحلة حاكليس بسبب جرح أصابها لسقوطها من فوق الدراجة كما كانت لها علامة وندت في ردها لأيسر مشابهة للعلامة التي كانت في حاكليس في نفس المكان، ولم يعثر على علامات مشابهة في التوأم الأخرى الأكبر حيليان. بدا هذا شيئاً غريباً حيث توأمين ولدا في مشيمة واحدة (أي تكونتا من بويضة واحدة).

وحينما بلغ التوأمان أربعة أشهر انتقلت الأسرة إلى هواتي ناي وفي يوم من الأيام بعد مرور ثلاث سنوات أحدهما أبوهما جون بولوك في رحلة لقضاء يوم العطلة في هكسهام كانتا تنصرفان هناك كأنهما تألمان المكان تماماً فجأة قالت إحداهما للأخرى «المدرسة هناك في الركن حيث كنا نلعب في الملعب»، «أن الأراجيح والرفاقات هناك»، «هذا هو المنزل الذي كنا نسكر فيه»، وقيلت هذه الملاحظة الأخيرة أثناء مرورهم على منزلهم القديم

وكانت لعب الطفلين الراحلتين قد جمعت في صندوق وضع في الخزان، وحينما بلغ التوأمان الحديديتان سن الرابعة قرر والدهما أن يعطيها تلك اللعب، فقامت جيسفر من فورها وهذه ماري، وهذه سوران، وهما الاسمان الصحيحان بدميتين وم تكن فلورنس بولوك التي شهدت المظفر على استعداد أن تقبل الفكرة (لأنها كاثوليكية متمسكة بمذهبها)، فرفضت تماماً كل ما استحوذ على روجها من أفكار التناصح. ورفضت منه أن يقول أي شيء عن الطفلين أو حتى أن يجرحهما بأي شيء عن أختيهما الراحلتين سوى أنها في السماوات.

وفي يوم من الأيام سمعت الأم الطفلين تصيحان فذهبت نحوهم إلى الخارج فوجدتهما متماسكتين مع بعضهما وتصحيان فائلتين «السيارة آتية نحونا» وكانت سيارة في نهاية الحارة قد أدارت محركها استعداداً للانطلاق. وفي مناسبة أخرى وجدتهما أمهما تلعبان لعبة عربية تقوم فيها جيلان بتصيد رأس جيسفر وهي تقول ها «الدم» تسيل من عينيك لأن السيارة صدمتك» فإرداد اضطراب مسر فلورنس بولوك نتيجة هذه الواقعة، ولكنها ارتاحت حينما بلغت التوأمان سن الخامسة وأصبح واصحاً أمهما فقدتا كل ذاكرة عن أختيهما الراحلتين وأصبحتا طفلين عاديتين

بشير أيان ويلسون إلى أن إيمان الأب بفكرة التناصح بضعف من كون هذه الحالة دليلاً عليه، ومع ذلك، فمن المستحيل أن تصل إلى الكيفية التي قام بها جون بولوك بتروير هذا الدليل ما لم يكن قد درب الطفلين على القيام بدورهم سر في عياب روجته. ولقد أنكرت التوأمان تماماً أن شيئاً من هذا القيل قد حدث، واعترف ويلسون نفسه بأن حالة طفلي بولوك تعتبر واحدة من بين الحالات القليلة التي يظهر فيها الدليل واصحاً من أول وهلة مدعياً الفكرة حلول الروح أو التناصح ولعل من أشهر الحالات الحديثة عن الزعم بالتناصح هو ما وقع في الهند في

أوائل الثلاثينات، وقام بدراساتها فيما بعد البروفسور هيمندرا يابرجي رئيس قسم علم نفس الخورق في جامعة راجستان (ويعتبر هو والبروفسور أياك ستيهاسور أهم لمحققين في مثل هذه الحالات) حدث في ١٢ أكتوبر سنة ١٩٢٦ أن ولدت فتاة باسمها كوماري شانتى ديمي في دلهي بالهند، وحينما بلغت الرابعة من عمرها بدأت تتكلم عن حياة سابقة عاشتها في مدينة موترا التي تبعد مائة ميل عن دلهي قالت إنها كانت من الخويان المبودين، وأنها كانت تعيش في منزل أصغر، وأن روحها كان يعمل تاجر أقمشة واسمه قادربات تشوباي سمع باظر مدرسة متقاعد عن فائده الطفلة فكتب مقابقتها، فأخبرته المرأة عن العنوان الذي كانت تسكن فيه من مدينة موترا، فأرسل خطاباً إلى هناك ولشدة دهشته تلقى الرد من قادربات روح شانتى ديمي أكد فيه العديد من التفاصيل عن حياته مع زوجته السابقة، وطلب أن يسمح لأحد أقربائه في دلهي أن يتحدث مع الطفلة، وحينما وصل الرجل عرفته شانتى ديمي على أنه من حان روحها واسمه كاجي مال، ومن فوراً اعترف بأصالة حالتها، وحينما أخبر قادربات روح شانتى ديمي بالأمر لم يتردد كثيراً وسارع إلى دلهي ولم تتردد الفتاة في بقاء نفسها بين ذراعيه، واستطاعت أن تحيى على كل أسئلته بإجابات مقبلة عن حياتها السابقة كروجة له وأشارت إلى صندوق فيه بضع مئات من الروپيات كانت قد دفنته في إحدى حجرات المنزل.

وفي ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٣٥ انتقل الوالدان بالطفلة التي كانت قد بلغت لتاسعة من عمرها إلى موترا وصحبهم ثلاثة من المسؤولين أحدهم صحفي، والثاني سياسي والثالث محام ليكنونوا شهوداً (كتبوا تقاريرهم عن الحالة فيما بعد)، وعندما اقترب لقطار من رصيف محطة موترا تعرفت شانتى ديمي على الأخ الأكبر للروح السابق بدربات وكان ينتظرهم على المحطة، ثم ركبا عربة وطلبوا من شانتى أن توجه لسانق في حيث تشاء، وبينا العربة تسير بهم أشارت إلى المنازل التي لم تكن موجودة أيام كانت تعيش في موترا، ووجهتهم نحو المنزل الأول الذي عاشت فيه مع روحها من قبل وكان وقتئذ مؤجراً لرجل عريب وسأها بعض السكان المحليين عن موقع وحلي روبرو أي الحمام، فأشارت أن الحمام واقع خارج المنزل وواصلوا سيرهم إلى المنزل الذي ماتت فيه، وهناك تعرفت على الكثير من الأقارب، وبدأوا يصحبونها كات تألف المكان، ثم قدتهم أخيراً إلى الحجرة التي دفنت فيها النفوس، وحفروا فأخرجوا

صحيحه الحالية، واعترف قاضيات بأنه قد أخذ الصدوق وفي معادرتهم للمسرب
تعرفت شاتي ديمي على ولديها السابقين

لا يمكن القول بأن هذه الحالة موثوقة تماماً، لسبب بسيط هو أن مؤلف
الكتاب لم ينجح في أحد الاحتياطات اللازمة التي أصبحت أساسية بالنسبة لكل
الباحثين والمحققين في جمعية البحوث النسائية وهي الاعتراقات والشهود لمطابقتها
ومقارنة هذه الحالة بحالة الذاكرة المدفونة، أو غيرها من التفسيرات ولكن بعد ثلاثة
أحدا جاء باحث آخر وطبق طريقة جديدة من الاحتياطات على الحالات التي يقوم
بالتحقيق فيها عن مراعم التاسع والعرب من الحالات التي أوردها أياك ستيفنسون
في تقريره بعنوان «عشرين حالة من مراعم التاسع»، وفي الكتاب الذي أعقبه
بعنوان «حالات متنوعة من التاسع» هو كيف أن الكثير منها تكرر ما جاء في حالة
شاتي ديمي أو تعتبر صدى لها مثل حكاية سوار فلانكا ابنة أحد الموظفين التي ولدت
عام ١٩٤٨، وبدأت تحبر أختها عن حياة سابقة لها في مدينة كانني حيث كان اسمها
أنداك بيا، ورواها من رجل يدعى سيرى شيتامي باندي وفي الثالثة والنصف من
عمرها أحدها أبوها معه في رحلة تعيش على المدارس وببها هما يمرن بداحل مدينة
كانني التي تبعد مائة ميل عن موطنهم طلبت من السائق أن يتجه إلى طريق مؤد إلى
مرها، وعلم أبوها أنها كانت تحكي لأفراد الأسرة من وقت لآخر عن «حياة سابقة
عاشتها»، وكانت تؤدي أمام أبوها بعض الرقصات والأغاني وترغم أنها تعلمتها في
حياتها السابقة. ولم تكن لديها فرصة فعلية لتعلمها في حياتها الحالية وحينها بلغت
العاشرة من عمرها انتقلت الأسرة إلى مدينة تشاهاناربور حيث فلتت سيدة اسمها
سرماني أجيهو تري رعت أنها تعرفها منذ حياتها السابقة ودُهِش والدها لأن تلك
السيدة أكدت ما قالته ابنته عن كانني التي كانت تعيش فيها، ولأول مرة بدأ يأخذ
كلامها مأخذ الجد، وأحد يكتب المذكرات، وذهب البروفيسور هيميرا ياديرجي لمقابلة
سوربلاتا عام ١٩٥٩، واتجه رأساً إلى كانني ليقارن مذكراتها مع المذكرات التي كتبتها
أسرتها في كانني، ووضع قائمة من تسع نقاط عن مرل الأسرة تبين أنها جميعاً دقيقة،
كذلك كانت أوصاف سوربلاتا عن حياتها كشخصية بيا الروحة الراحلة دقيقة للغاية

(١) الجمعية الأميركية للبحوث النسائية سنة ١٩٦٦.

(٢) University of Virginia Press, 1975 - 80

وحدث بعد ذلك بقليل أن ذهب أسرتها إلى كاني وما جاء بعد ذلك كله أمور مشابهة حدثت مع شاتي ديمي، وباءً على تعليقات من البروفسور ياسيرجي حرصت أسرتها على ألا تُعطى لها أي فرصة للتعرف على شيء وبالعكس حاولوا تصليبها في نقاط متعددة مثل إخبارها بأن رب الأسرة كان ميتاً ثم بأنون به في حضورها فتعرف عليه فوراً أما عن قوائم سيمسون التي أعدها من الناس والأحداث والتي وصفتها سواريلاتا فتصل إلى ثمان صفحات نستحق القراءة، وكانت نتيجة ذلك كله هو أن أسرة كاني قُلت سواريلاتا على أنها ريا الراحلة، فكانت تفصي وقتاً طويلاً معهم وتقيم علاقات قوية مع أحوالها السابقين وأطفالهم، وقام سيمس بعينه بدراسة هذه الحادثة عام ١٩٦١ مع كل ما تميزت به من توافر الوثائق التي كان البروفسور ياسيرجي قد أعدها في مثل هذا لكي يثبت أن حالة الناسح عند سواريلاتا تعتبر من أكثر الحالات دقة وغامضاً.

هناك حادثة أخرى يعرضها سيمسون وتذكرنا بحالتي لوراس فيوم وماري روف، في عام ١٩٥٤ مات صبي اسمه جاسبر لال جات بمصر الحذري وهو في ثلاثة عشرة من عمره، وقبل أن تُدفن جثته في اليوم التالي تحركت الحثة ودبت فيها حياة ولم يستطع الطفل أن يطق إلا بعد بضعة أسابيع، لكنه حينما تكلم دُهِش ولده من التعبير الكامل في شخصيته كان جاسبر عيياً متلذ الطع فأصبح فجأة مليكاً محبوباً وأعلن أنه ينتمي لأسرة براهمانية (من طبقة أعلى من طبقة أسرته الحالية) كنت تعيش في قرية بهيري، ورفض أن يتناول أي طعام إلا إذا طبخه براهماني، وذكر أنه قد نُسِم بسبب خلوى الأطباء، وأنه سقط من فوق عربة فنهشم رأسه ومات. كانت أسرة جاسبر تنظر إلى الموقف بشيء من التشكك برغم أن مرضه قد أثر في عقله. ولكنهم في عام ١٩٥٧ بدأوا يغيرون رأيهم حينما جاءت سيدة براهمانية إلى قرية جاسبر، وتعرف عليها من فوراً على أنها خالته. وكما حدث مع كل من شاتي ديمي وسواريلاتا أُعيد إلى مكانه القديم فأظهر مثلها معرفة تفصيلية عن مسكنه السابق بينما كانت مجموعة من الناس تسعه في جولته كان اسمه في الحياة السابقة سوبهارام وأدت معرفته بتدصيل حياته إلى إقناع الجميع بأن جاسبر وسوبهارام هما نفس الشخصية ولكن لم تثبت صحة اتهامه المتعلق بالخلوى المسمومة وقيل إن سوبهارام قد مات بالحذري.

ولعل أكثر النقاط إثارة للدهشة في هذه الحالة هي بالطبع أن جاسبر كان معلاً في

الثالثة عشرة من عمره حينما مات، وأن روحه قد حلت في سوبهارام الذي مات في نفس الوقت، ومفهوم ذلك أن سوبهارام استطاع أن يتسلل إلى الجسم قبل أن يحدث الموت الذهني، وجاء متخذاً سبيله إلى الحياة مرة أخرى.

بدون ذلك النوع من التحقيق الذي قام به ستيفانسون ويانيرحي لم تكن لتثبت صحة أية حالة من حالات التناسخ، لأن أي حالة منها تبدو مقبلة سطحياً ولكنها تنهار في لحظة التدقيق فيها. حقاً هناك دليل بأن ستيفانسون نفسه تعرض لبعض الخداع في بحثه لبعض الحالات، مثل حالة إدوارد ريبال الذي كان يقطن في سفيت بولاية إسكس. فقد زعم ذلك الرجل أن ذاكرات من حياة سابقة قل تدسته منذ كان طفلاً فأصبح فلاحاً من سمست يدعى جون فليشر الذي قتل عام ١٦٨٥ حينما كان يقود جيش دوق مونماوت في هجومه على القوات الملكية في سيرمور سنة ١٨٦٥، ورجع ليعيش فترة في مسقط رأسه أورمسكيرك في لانكشاير، وكانت روحته التي اقترن بها وهو في الخدمة قد ماتت، وقرر أن يذهب إلى لندن لينضم إلى ابنه الذي كان يسمى أيضاً روبرت. وهناك اشتغل بحاراً في قارب على أرصفة ميلوال، إلا أنه لم يكن سعيداً في وحدته حينما يقارنها بحياته في الجيش لأنه كان يحب الحديقة. وفي أواخر حياته بالمدينة العربية كان وحيداً في مسكنه مما أدى به إلى الاكتئاب، وذكر راي بريانت أن هذا التعبير في شخصيته حينما تغير وضعه من جندي إلى بحار في قارب في نهر التايمز كان أمراً محزناً، وتوفي عام ١٨٦٥.

كانت فرص تتبع حياة رقيب سابق في حرب القرم أمراً صعب المسال، ولكن أندرو وماجريت سالي اللذين كانا يقطنان في ساوث هارو عرصا أن يقوموا بعملية البحث. كان أندرو سالي يعمل مهندساً مدنياً ثم وحه اهتمامه لموضوع الاسترجاع حينما سمع جو كيتون يبدع في محطة إذاعة لندن وأعلن عن طلب بعض الوسطاء الذين يقلون الخسوع للتسليم المعاطبي، ولكن من أين يبدأ؟ كانت البداية الطيبة في مكتبة جيبلدهول في لندن حيث وجدنا حظهما غير المتظر. كان هناك كتاب يحتوي على قائمة أصحاب حرب القرم، وبالسحب في الأسماء التي تبدأ بحرفي «س» و«ت» اللذين نطقهما روبرت من اسمه الثاني عثرا على اسم الرقيب روبرت ستافورد الذي أصيب بجرح في يده في معركة كواريس وأنه حصل على ميدالية وترقية. ونظراً لوجود التواريخ في هذا السجل أصبحت لديهما الفرصة للبحث عما إذا كان روبرت

س ت هو الرقيب روبيين ستافورد أم لا وفي جلسة الاسترجاع التالية طلب من راي بريانت أن يرجع قليلاً إلى ما وراء هذه الواريج ثم سألاه عما حدث، فأجاب إحدى صحيفته

عنى أن هذه لم تكن نهاية البحث، بل إن إسندرو وماجريت سلبني بحثي في مكتب لسجلات العامة في كيو في السجل العام للمواليد والوفيات والريجات الذي يعرف باسم مركز سمرست (يسمى حالياً مركز سانت كاترين) فوجدنا شهادته وفاة روبيين التي ثبتت أنه مات عريقاً، وفيها عنوانه في حريمون كان روبيين فقيراً جداً عند وفاته واكتشف أنه دفن في المقابر الجماعية في حانة ابستهام، وعبر راي بريانت عن شدة تأثره حين وقف في السجلات عند اسم روبيين وأرسلت عظام روبيين من رمن طوبين من المقبرة الجماعية لإفصاح المحال لحدث أخرى بعد عشرين عاماً من وفاته

وبالتدريج أصبحت تلك الذاكرات أكثر تفصيلاً، وأصبح قدرٌ عن تذكر قدر كبير من حياته القديمة ورغم ريبال أنه في أثناء عرو إيطالب عام ١٩٤٥ سمع صوت امرأة تهمس في أذنه أن يلتفت وبدراسته للأرض التي أمامه وجد أنه كاد يخطو إلى داخل شرك مصوب.

وكتب ريبال عام ١٩٥٠ خطأً إلى حريدة ديلي إكسبريس عن هذه الحفريات التي مرت به، فأثارت اهتماماً واسع النطاق. والتقى أيان ستيفانسون مع ريبال، وقرر بأنه عن حق، وكان ستيفانسون قد أغرى ريبال بأن يسطر كتاباً عن خبراته في الحياة سابقة سماء والحياة مرة أخرى، ظهر عام ١٩٧٤ قبل وفاة ريبال بستين فقط. أم امرأة لتي كانت قد حدثت ريبال من السير نحو الشرك فهي روجة حون فليشر التي كانت معه في ويستون - زويلاند.

بعد ظهور هذا الكتاب شهرين قدم في تحقيق للإداعة البريطانية، واصطحب معه مقدم البرنامج إلى كنيسة زعم أنه تزوج فيها وإلى مواقع أخرى كثيرة مرت في حياته كحون فليشر، واعترف مقدم البرنامج بأنه مقتنع تماماً بما رواه ريبال به وتنوطة المواضيع في تناسخ من ماضيه.

لكن السجلات الأروضية للكنيسة كانت مغموطة، وحينما رجع إليهم أيب ويسون لم يجد فيها أي دليل على وجود حون فليشر أو أسرته، ورغم ريبال أن و... فليشر قتله شور هائج عام ١٦٦٠ تبين أن القس توماس هولت كان قس في

ويستون دومي لاند ولكن لم يعثر على شيء في سجلات الدفن عن والد فليتشر، كما لم يكن هناك ما يشير إلى رواح فليتشر أو تعميد طفليه رغم ادعائه بأنها عمدة على يد القس الذي أن بعد ذلك وكان يحتفظ بسجل دقيق عن العميد (ما ران محصواً بمكتب سجلات المركز)، وأخيراً أظهر ريال حذراً شديداً وعدم تعاون في مراسلاته مع مؤرخ محلي أراد أن يساعده في تتبع أثر مزرعة جون فليتشر، رغم أن ريال رغم أنه يعرف موقعها بالتحديد وقد انتهى تحليل آيان ويلسون إلى أن هذه نقصة المقعة في شكلها أخذت تبدو كخيال تاريخي

نعتبر تفسيرات ويلسون لكل هذه الحالات العربية هي نفس تحليلات وتفسيرات توماس جاي هدمسون في كتابه «قاسون الطواهر النسائية» عن القوى غير العادية للعقل الداتي، فيذكر حالة خاصة مذهشة نقلها عن كتاب السير الأدبية تأليف كلوريدج هي حالة فلاحه أمية أصبحت بحمي عصابية وبدأت تتحدث ثلاثية واليوانية والعبرية، وكان الأمر أشبه بسوع من الاستحواد، ولكن استطاع طبيب شاب مثابر أن يتوصل إلى حال للفتاة كان حياً، وعلم أن والديها قد ماتا وهي طفلة وأنها نقلت إلى منزل راع عجور وكشف البحث العميق أن ذلك الراعي لعجور اعتاد أن يتمشي وهو يقرأ بصوت مرتفع بصوتاً من كتب عبرية ويونانية ولاينية لا تذكر الفتاة وهي في وعيها أي كلمة من هذه اللغات التي كانت تسمعه، ولكن عقلها الداتي كان قد سجلها ليظهر حينها تكون تحت وطأة الحمى العصابية

وفي عام ١٩٣٣ كان هناك طبيب أعصاب يدعى وايندر بنفيد يعالج مريض الصرع، ويسمى هو في عملية جراحية لسيدة مريضة لمس بمجسه الكهربائي نقطة من عشاء المع وكانت المريضة يفظه دون أن يكون في معها أي إحساس ولم يكن يلزم استخدام (المحتر) فأحترت دكتور بنفيد أنه حينها لمسها وجدت نفسها فجأة في انطباع تسمع صبيها الصغير الذي كان يلعب في الغناء كانت هناك بكينتها تشعر مثلاً بأصوات السيارات المارة وكان دكتور بنفيد يجري تجربة على مريض آخر وجد نفسه في ساحة البيسبول في إحدى المدن الصغيرة يراقب الصبية وهم يتسللون من تحت السور، وآخر وجد نفسه في صالة الكوشر تو يستمع إلى عرف الأوركسترا بوصوح ومرضى آخرون يسترحعون مشاهد من طمولتهم ديفقة بدقيقة وبالتفصيل كما لو أن الدكتور بنفيد قد أدار فجأة شريط فيديو مسجل النقاط بالفعل كل خطوة (وربما كانت

حالات نوم أيضاً) من حياة المريض^(١) وخلاصة ذلك واضحة، ذلك أن لدى كل ما مكتبة تحتوي على كل شيء فعلناه وفكرنا فيه، إذن فلماذا لا نصل إليها؟ لأننا مشغولون للعناية والحياة صعبة ومعقدة وليس لدينا الوقت الذي يسمح لنا بالتعب في المكتبة، ولذلك فإن مثل عمادة الحسابات الذين فقدوا قدراتهم وهم في سن الرابعة عشرة فبسطة ألعبا هذه القدرة من أنفسهم باعتبارها نوعاً من التطور الكميالي، ومع ذلك فقد كشفت تجارب بفلد أنه من الممكن استعادتها إذا ما أردنا ذلك فعلاً وليس من الضروري استخدام المحس الكهربائي، فإن أطباء النفس الذين طوروا التقنية المعروفة باسم «لعالج بالشمس» قد اكتشفوا أنه مجرد افتراح عادي على المريض قد يجعله يعيش تجربة صدمة مرت به بكل تفاصيلها الواقعية مرة أخرى. وليس هناك ما يمنع من استخدام هذه التقنية لتجعلنا يعيش مرة أخرى في أجمل تجارب حياتنا

في مثل هذه الحالة لا يمكن التمسك بالتفسير على أساس نظرية الذاكرة المدفونة. فمراجعة وضع روين بالطريقتين المذكورتين تبين أن التواريخ التي ذكرها صحيحة ومطابقة للسجلات حقاً، يمكن الرعم بأن رأي بريانت تحت تأثير التوهم المعاطسي قرأ أفكار السائلين وأعطاهم الإجابات التي يعرفون أنها صحيحة. ولكن هذا لا يفسر معلومات رأي بريانت الدقيقة عن روين من ت الذي جرح في يده في معركة كواريس قرب سباستبول. (حيثما استرجعوا روين إلى تواريخ تن إصابته بالحرج، كان يحمل يده المشلولة متصلة بطريقة غير عادية، وبمجرد أن استرجعوه إلى ما قبل ذلك انتهى مظهر الشلل من يده). ويبدو أنه لا توجد وسيلة لتفسير ذلك سوى أنه كان الرقيب روين ستافورد من أورمسكيرك أثناء تواجده السابق، أو أنه كان بصورة ما على اتصال بعقل روين ستافورد ويميل أندرو سيلي إلى نظرية بلاوعي الجماعي، أما رأي برانت فإنه يفصل التفسير البسيط لحدوث التناسخ

إذا صح ما قاله فسيكون للمضمون أهمية كبيرة. وبإحدى ذي بدء علينا أن نقرض أنه بعد موته في التاجر عام ١٨٦٥ تناسخ روين في شخص عامل زرع يسمى روبرت سواير الذي ولد عام ١٩٣٨، وإذا ما قلنا أن روبرت سواير وروين ستافورد كانا بشراً حقيقيين إذن سيكون من الواضح أن التناسخات الأربعة السابقة التي ظهرت تحت تأثير التوهم المعاطسي هي أيضاً صحيحة وهي تناسخ أرواح

ويلفريد اندرسون سائق العربة الذي يرجع إلى القرن الثامن عشر، وفتاة تسمى ويلفريد ماتت وهي صغيرة جداً، وحادمة منزل اسمها اليراييت ارتفع شأنها حتى أصبحت حاكمة في أواخر القرن السابع عشر، وشخصية لم يعرف اسمها يبدو أنها لم تكن تعرف الإنجليزية عاشت قبل ذلك بقرن تقريباً.

يشير هذا أيضاً بعض التساؤلات الرئيسية عما إذا كان هناك تجاوز حدود الموت؟ من الواضح أساساً لا يقصد هنا اختلاف الجنس، لأن رأي بركات كان في تناسحاته المأصية ذكراً أو أنثى، إند ما هي القاعدة الأساسية من وراء الشخصية التي كانت مشتركة بين كل الأشخاص السبعة الذين تناسحوا فيه؟ حيث طرحت هذا السؤال اعترف رأي بركات أن ليس لديه أي فكرة عن هذا الموضوع، ولكنه شعر بأن كل التناسحات السابقة قد أسهمت بشيء مما هو عليه الآن. أما بالنسبة لبرستون في ثكنات الحامية ٤٧ (التي تمكن رأي بركات شأنها من فحص سجلات الحامية) فكان لديه شعور خاص بما رآه فعلاً في حياته، فيبدو أن معرفته برويس هي التفسير لأحلامه الحالية التي يرى فيها نفسه يسقط من قارب، وكذلك شعوره بالأس كنها كان في الماء أو بجواره سواء كان بحراً أو سهراً أو جديلاً، أو بحيرة. هناك شيء ما يمكن أن ينتقل من فترة من فترات الحياة إلى فترة أخرى. ويبدو أيضاً أن هذا يدعم بطبيعة الحال إمكانية بقاء بعض عناصر الشخصية بعد الوفاة. ولكن أيضاً يعني أن ما بقي بعد الوفاة هو ما يرر وجارٍ... وغيرهما، لا يعتبر بقاء دائماً وإنما سوف يتحول هذا البقاء إلى شخص آخر. ويبدو في الحقيقة أن هذا هو أحد العوامل الثلاثة في كل تعاليم الروح انتداء من كاردريك وستانتون موريس وانتهاء بجيرالدين كوميسر

ويعتبر التماسح عند الهندوس والبوديين أحد عناصر العقيدة الدينية، كما أن الكلت القدماء كانوا يعتقدون في التماسح، وكذا الإغريق وينظر الكثير من أبناء الكنيسة مثل جيروم وأوريجين شيء من التعاطف إلى هذا المذهب، ولكنه أدين بصرامه في المجمع الثاني بالقسطنطينية الذي رأسه الإمبراطور جوستيان، وبعد ذلك الوقت أصبح التماسح في نظر المسيحية مذعة، وفي كنيسة شرته جمعية الحق الكاثوليكية عن التماسح يلخص الأب كريهان J. H. Crehan الموضوع بقوله ١ يجب أن يكون واضحاً أمام الكاثوليكي أن عقيدتنا ليس فيها مكان لطربات مثل

نظرية التامسح» (ربما يكون لتحول ايان ويلسون إلى الكاثوليكية مدلوله ها، وقد لا يكون له أي مدلول).

لكن ربما كان من العدل أن نقول إن السمعة الرئيسية الذي جعل التامسح لم يدخل إلى العرب في أياما هذه هو أن معظم الناس يشعرون بأنه صرت من الخيال، وبمكس أن نرى قوة الاعتراض في حالة سفت مناقشتها بالتفصيل هي حالة الدكتور آرثر جيردهام^١ فإن دكتور جيردهام كان المستشار الأول للعلاج النفسي في منطقة بات الطبية، وكان مدهوشاً بمذهب المتطهرين الذي ظهر في القرن الثالث عشر، فقد كان معتقوه يعتقدون في أن الإله ليس لديه كل القوى لأن قوة الشر مستقلة عنه، وربما كنت على نفس درجة قوة الخير، وأن عالم المادة ملك للشيطان وقد حكمت عليهم الكنيسة بالإعدام، واعتيل معظمهم عام ١٢٢٤ قرب تولور. ويشعر جيردهام أن في تولور وجهات أخرى من المنطقة توحد رؤية فعلية، فقد عان أثناء سس المراهقة من الكوبيس والأحلام المرعبة التي رأى نفسه فيها وهو مستلق ويقترّب منه رجل طويل فصحو صائحا من الفزع.

وفي عام ١٩٦٢ رأى جيردهام إحدى المرضى واسمها مسر سميت كانت تعاني من كوبيس نمائلة، وتوقفت أحلامها بمجرد أن أصبحت ضمن مرصاه ولعدها لم تذكر له أنها كانت تعرفه منذ البداية كواحد ممن تراهي لها في الأحلام مدى سين طويلة كانت تبت الأحلام قد بدأت عندها عن تواجدها السابق في فرنسا كمثاة في الثالثة عشرة من عمرها وذلك بعد سلسلة من هجمات اللاوعي عليها، وكانت تسمى في أحلامها قسماً شياً من المتطهرين اسمه روجر دي جريزولر، جاء إلى كوخ والديها في إحدى البيات أثناء عاصفة ثلجية، وصاحته، ولما طردها والداها ذهبت لتعيش مع روجر في مرله ورددت التفاصيل عن ذلك المزل في ذاكرات أحلامها حتى انتهى بحادثة قتل، ولم تكن متأكدة من شخصية القتل ولكنها عكمت أنه شخص يدعى بيار دي ماراروليس، ومات روجر في السجن ثم حرق في حية في مونتيجور، وقد تعرفت على جيردهام على أنه هو روجر.

ومضى على مسر سميت مدة كاملة قبل أن تتشجع ونحمر جيردهام عن أحلامها وكانت صدمة له لأن مسر سميت لم تكن تعلم شيئاً عن نظرية التطهير، ولكنه علم

في كتابي «الإنسان وقواه الخفية» سنة ١٩٧٣

أن إعدام واصطهاد المتطهرين بدأ بعد أن دبر رجل يسمى بيير مزارو وليس عملية قتل المحررين الذين أرسلهم نازي تولوز ثم بدأ جيردهام بفحص تفاصيل ما تذكره مسر سميت عن المتطهرين، فدا له واصحاً أن بعض تلك التفاصيل غير صحيحة، مثل ذلك أن القس المتطهرين كانوا يلبسون ملابس حصراء أو ررقاء، وكتاب مسر سميت قد أدب هذه الملاحظة عام ١٩٤٤، وفي عام ١٩٦٥ اكتشف عالم فرنسي يدعى جيان دوفير نوي أن بعض هؤلاء القس كانوا يلبسون بالفعل ملابس حصراء أو ررقاء، وفي عام ١٩٦٩ اكتشف عالم آخر يدعى ريبه بيدي أن السكر كان يستورد من البلاد العربية على شكل أقماص وكان يعتبر دواء شائعاً ومرة أخرى تأكدت بذلك على يد بعض العلماء تفاصيل من الأوصاف التي ذكرتها مسر سميت كمراسم العبادات، وعقائد المتطهرين.

على أي حال تدو الحكاية مقبولة لأي شخص ينظر إلى التناضح بعقل مفتوح، فإن اكتشاف مسر سميت أن الدكتور جيردهام كان عشيقها أثناء تواجدها السابق يعتبر بمثابة مثال نموذجي لطاهرة التحول عند فرويد (حينها يقع المريض في حب الطبيب). أما عن الصدقة التي جعلت الإثنيين يأتیان معاً في القرن العشرين فإنه أمر يصعب قبوله، غير أن تأكيدات العلماء للتفاصيل الخاصة بذهب المتطهرين يحسم هذا الأمر فلو أن فكرة هندسون عن أن العقل الذاتي هو المشلول عن تلك الظاهرة إذن فلا بد وأن تكون تلك القوى أكثر اتساعاً مما يعكس فيه هندسون

كثت عن جيردهام في كتابي «الإنسان وقواه الخفية»، وذهبت للإقامة معه في منزله بصاحبة باث، وقد أدى ذلك بالتأكيد إلى تبديد شكوكي في أنه اختراع حكاية شخص سميت نفسه فرغم أنني لم أقابلها إلا أنه كان واصحاً أن جيردهام شخص سوي أمين مترن ليست له مروات، وكانت روحته ماري التي أكدت حقيقة التفاصيل الواردة في كتابه سيدة مثالية وعاقلة وقد أطلعني على مراسلاته مع العديد من العلماء، وأصبح واصحاً جلياً أمامي أنه قد أهمل كمية من البراهين لم يذكرها في كتابه خشية أن تؤدي إلى تشويش على بعض القراء.

لكن الذي أفلق بالي حتى في تلك المرحلة هي تطورات تورطه مع المتطهرين، فقد عرّض عليّ مخطوطة كتاب بعنوان «نحن دوات غيرنا» يبدأ باجتماع مع امرأة تسمى كلارا ملر، فتاة جدانة مندوعة طليقة سألته يوماً عما إذا كانت كلمتا رايموند

والبحسان لها معنى بالنسبة له، وظل الأمر عالقاً في رأسها منذ ذلك الوقت، فقد كان
 يبحسان اسم آخر لحركة المتطهرين، وكان رايموند هو لعب كويسية تولور حياء
 ذلك كله قبل أن يسطر كتابه عن المسر سميث تحت عنوان «المتطهرون والساح»، ولم
 يكن لديها وسيلة تتعرف بها على الموضوعات التي تهتم بها وكان لكلا رايمير أيضاً
 أحلامها التي رأت فيها نفسها وهي تحرق، وأدت الأسماء التي رددتها إلى الكشف عن
 أنها كانت ترى في أحلامها مذاهب المتطهرين. فقد رأت في منامها مرة أنها أحرقت عن
 السير نصف عارية نحو بار متأججة، وأنها كانت تصرخ على ظهرها بعامود محمي،
 وكانت بها علامات منذ مولدها تبدو وكأنها سلسلة من الفروح الشديدة. وقد
 استخلص جيردهام أنها كانت واحدة من المتطهرين الذين التقى بهم في حياته
 السابقة ولم يكن هذا هو كل شيء وعرضت والدته فتاة مينة عن جيردهام كزوجة
 مدكرات ابنتها الراحلة كانت قد كتبتها وهي في السابعة من عمرها، وهي مينة
 باسماء بعض المتطهرين ورسوم تخطيطية لهم فاعتقد جيردهام أن الأم وبنتها كانتا من
 المتطهرين وفي اتصالات أخرى تورط جيردهام في قصص عريية، فكان عليه أن
 يدرس حالة الناسخ الجماعي (وهو مذهب دعا مايرز كما يذكر أن تؤمن به جيرالدين كوميس).

هناك المزيد مما جاء بعد ذلك. ففي كتاب «الحيرة والقلعة» يصف جيردهام
 كيف اقتنع بأن المجموعة نفسها قد اشتركت مع بعضها في عصر سابق كأعضاء في
 كنيسة الكلتية الساسحية، وأنهم لاقوا معاً مصيرهم وهو الاستشهاد وكأنه كان
 يشعر بأن الفاري الذي قد يقل صغار الأمور قد يقل أيضاً كبارها، فواصل
 حكاياته عن الكيفية التي اجتمعت فيها تلك الجماعة مع بعضها في عهد بريطانية
 لرومانية في القرن الرابع، وكذا في العصر النابليوني

كنت صديقاً شخصياً لأرثر جيردهام منذ أوائل السبعينيات، وعالماً ما كنت
 قصي معه في مرله أوقاتاً طويلة، فهو الأب الروحي لاسي، ولداً لاسي أعترف أن
 أعرفه جيداً ولقد اصطحبت كلا رايمير معي يوماً للعشاء (مع أسرة جيردهام أيضاً)
 فأكدت كل ما سبق أن قالته، ولم يكن لدي أي سبب للاعتقاد بأنه أفاق بعري مرصه
 يتعاونوا معه في حيالاته عن الحياة السابقة، أو أن كتيه كانت احتراعات وإسداءات
 بكسه الشهرة وكان واضحاً أنه يعتقد في كل كلمة كتبها في تلك الكتب، فضلاً عن

أنه كان أدكى من أن يسمح لحاله أن يحرقه معه ويشير إيان ويلسون إلى أن جيردهام توقف بعد أن قابل حالة مسز سميث. وربما كتب دراسة في العلاج النفسي مسر سميث وربما قوبلت مراعمه ماهنام جلد، أنه تعلم كتبها بعدم أي شخص حر أو الناسج الجماعي، وكل ما سبق من حيوات في أشخاص من الكلت أو ابرومان (لا يريد أن تذكر مياه حياة جيردهام السابقة كيوناني في القرن الثالث عشر قبل الميلاد وهي ما جاء وصفها في كتاب الخزيرة) كل ذلك يجعل قصصة غير مقبولة كلية لمعظم القراء، وربما يحتج بجرأة شديدة مثلها فعل السير وليام كروكس فيقول: «أما لم أقل إن ذلك ممكن بل قلت إن ذلك حقيقي»

أما رأي الأب كريهان في هذه الحالة فهو أن جيردهام ومسز سميث وكلار ميلر والباقيين كلهم إنما هي حالات تخاطرية، وأنها قد نجمت بصورة ما في حياتهم ومن نتائج قراءاتهم فقد حكى جيردهام عن علاقته مع مسز سميث ما يجعل ذلك ممكناً، فكانت تكتب مذكرات تفصيلية عن المتطهرين قبل أن يقابلها جيردهام بحوثية عشرة عاماً ولذا أصبح أماما إمكانية وجود إجابتي هما أن جيردهام يبدع نفسه كعز من البطولة، أو أن مفهوم الناسج الجماعي مفهوم صحيح أساساً

لحسن الحظ أن أثر صحة ذلك من عدمه ليس له أهمية مباشرة في هذا النقاش ويبدو أن الصورة التي تظهر من حالات الناسج التاريخية واضحة وثابتة، وأنها تتناسب مع السمودح العام لمناقشة موضوع القاء بعد الموت دون أي تناقضات. فقد لاحظت مثلاً أن ماري روف كانت تعرف محاولات والديها الاتصال بها عن طريق وسيط، وأمكنها اقتباس كلمات سبق أن كتبتها في الجلسة، وتبدو الوساطة في الواقع وكأنها نتيجة استحواد مؤقت. إذ كان واضحاً أن ماري ولوراس فيسوم قد اتفقا على استحواد لوراس فيسوم للجسم لمدة شهور قليلة وبعدها ينتهي الأمر ونأتي ماري بصورة دورية.

وما يتكشف من ذلك هو وجود كائنات غير مجسدة تستطيع في ظل الظروف المواتية أن تدخل إلى جسم الإنسان أو تخرج منه تماماً مثلما يدخل السائق إلى السيارة أو تخرج منها. وفي حالة حاسير لالحات يبدو وكأن سوبارام قد وجد السيرة المعطيمة وعمرها ما زال ساحراً فتسلل إلى مقعده السابق فكرة تبدو معارضة للعقل، ولكن هناك من الدليل ما يؤيدها.

على العموم، تبدو الحقائق كما تظهر في الحالات المتعددة مؤيدة لرأي شتاير عن التناصح كتجربة تطورية، وذلك ما ورد في كتاب علاقات الكارما بأحرائه الشامية وهناك نقطة رئيسة واحدة فيها معارضة، إذ يبدو أن شتاير شعر بأن عمله ساسح الروح تقع في مدى يتراوح بين مائه وألف سنة، ولكن رأي شتاير «فعلي هو أنها ستعرق مدى سنوات محدودة، وهناك اختلاف جذري بين ما جاء في كتاب الشيوصوفي (١٩٠٤) وكتاب «خلاصة علوم الطل» الذي طهر بعده ست سنوات ولم يرعم شتاير أساساً أنه معصوم من الخطأ، فهو مثل غيره من الصوفيين قام بمحاولة وصف ما يلحقه كما يتلقاه تماماً.

ونرجع أهمية شتاير إلى تمسكه بتعاليمه، وإصراره على أن من الخطأ محاولة أحد الروحانية بصورة حرفية للمعاية، فالروحانيون هم أولاً وقبل كل شيء أعظم الماديين، ولم يتوان في التأكيد على أن «عالم الروح مسوح من مادة يتكون منها الفكر للإنسان»، ويبدو أنه يريد القول بأن الإنسان حاطي، في رعبه أنه محوس في عالم مادي، وأن ذلك يسمح بأن ينتهي إلى سلبية من نوع معين تجاه حياته الخاصة ويجب أن يؤكد على صحامة القوى الخالقة الكامنة في العقل الشرقي لذلك، ورغم أن اتجاهه نحو الروحانية غالباً ما ظهر فيه العداء إلا أنه أساساً يؤكد ما قاله مديرر في كتابه «الشخصية الإنسانية»، وما قاله كاترين كروم من قبله من أن الكائنات الشرية تمتلك من القوى الصحيحة الكامنة ما لا يمكن أن تتوقعه وتتردد هذه النقطة من المفرة التالية التي تعبر عن جوهر فكرة شتاير

إن ما يحيط بك حالياً هو بصورة ما من حلمك، حيث أنك غير متحرر منه عدياً لأن أعصابك ورحاساتك تبعث إليك مفهومات عن حياة، فإذا كنت قادراً على أن تعكس ذلك أو وعيت اليومي من خلال عمق الأعماق، أو ما تنصير إذ ما درست نفسك على أن تدخل في مركب فكري يجب منه شكل الذي تنقله الحواس، فإن العالم المادي سوف يحسمي

حقاً إن الكلمات ليست كلمات رودلف شتاير إنما هي من النص الذي كتبه مايرر وبشرته جيرالدين كوميسر تحت عنوان «الطريق إلى الخلود»، ولكنها تؤكد ما كرر شتاير من تأكيدات عن أن من الخطأ أن تأخذ الحقائق أحداً حرفياً، فإذا وجدت ذلك فإننا نخرج من حسابنا العدد الخامس الذي يعطي لتلك الحقائق معناها

يبد أن اكتشاف هيلد يقدم لنا أرسية التشكك في حالات مثل حله، وورد

وال فلقد برر ايان ويلسون تشككه بوصف حالة متميزة حققت فيها جمعية البحوث
 الصابية عام ١٩٠٦ بدأت امرأة (تدعى آسة س) تتذكر تحت تأثير التسوية
 المعاطي تفاصيل حياة سيدة تسمى بلانس بويجر، صديقة الكونتيسة مود كونتيسة
 سالروري. ولذا بوصوح أن معرفتها بالكونتيسة كانت معرفة دقيقة ولكن على حد
 علمه لم تكن الآسة س قد قرأت أي قصص تاريخي يجعلها تحكي منها التفاصيل
 وفي يوم من الأيام حينما كان باحث جمعية البحوث الصابية يتناول الشاي مع الآسة
 س بدأ الحديث عن اللاشيطة أو لوحة الكتابة التلقائية. ووافقت الآسة س على أن
 تقوم بمحاولة الاتصال مع بلانس بويجر باستخدام اللاشيطة، وسرعان ما دخلت
 بلانس والآسة س في حديث حي كانت فيه بلانس تحاول إطالة مدة الاتصال ولكن
 حينما سألوها عن الطريقة التي يدرسون بها حكايتهم أحببتهم «سألو مسر
 أ هولت» وتبين أن هولت هذا هو اميلي هولت مؤلف رواية لكونتيسة مود، كانت
 الآسة س قد قرأتها في طفولتها وسينها بمضي الزمن، وثبت أن رواية انكونتيسة مود
 تحتوي كل التفاصيل عن الكونتيسة سالروري التي قدمتها الآسة س وهي تحت تأثير
 التسويم المعاطيسي.

ظهر أن ذلك التأكيد لعة وصعت خصيصاً لتحدم رأي المتشككين في أمر
 التاسخ، ولكن هناك حالة ترجع إلى الخمسينيات تصور لنا خطوة المصلحة في عمل
 حساب للشك. فلقد اكتشف موري برستين أحد رجال الأعمال في بوسلو بولاية
 كولورادو انه موم معاطيسي مطبوع، وأعزى روحه أحد العاملين بإحدى شركات
 التأمين وتدعى فرجيبيا تاي لتسمح له بأن يجري معها التسويم الكوصي، وثبت أن
 فرجيبيا أداة تنويمية عميقة. وحينما أرجعها برستين إلى ما قل مولدها بدأت تتكلم
 بلهجة إيرلندية، وقدمت نفسها على أنها بريدي موري التي ولدت قرب مدينة كورك
 في إيرلندا عام ١٧٩٨، وعلى مدى ست جلسات مسجلة قصت تفاصيل دقيقة عن
 حياتها بصفتها بريدي روجة المحامي الذي يحاصر في جامعة كوين في بلفاست،
 وماتت بريدي في خريف عام ١٨٦٤.

كتب برستين كتاباً عن هذه الحالة تحت عنوان «البحث عن بريدي موري»
 بعد أن نشر في حلقات بجريدة أخبار شيكاغو اليومية (ديلي نيوز) ولكي ترد جريدة
 ديلي نور على انتقادات الجريدة المنافسة لها حول هذا الموضوع أرسلت أحد مراسليها

إلى بلعاست لتسع أصل بريدي مورفي، ولكنه واجه صعوبات حمة، منها أن سجلات
المواليد والتوفيات بدأت في إيرلندا بعد وفاة بريدي بسنين فقط، ولكن وجد بعض
عناصر أخرى مؤكدة لوجودها، هناك مقالان أشارت إليهما مسر تاي وحدا سميها
مسجلين في دليل مدينة بلعاست عام ١٨٦٥، ووجدت أيضاً قطعة عملة من دات
السيير كانت بريدي قد أشارت إلى استخدامها في ذلك الوقت أثناء حياتها وقد
أوقف صكها بعد ولادتها كما أوقف استخدامها قبل وفاتها بإثني عشر عاماً وكانت
بريدي قد ذكرت أنها ولدت في ميدور قرب بلعاست، ونسب من خريطة قديمة
بلعاست ترجع إلى عام ١٨٠١ وحوود مدينة تسمى ماردنك ميدور وفشل الصحفي
في تتبع أشياء أخرى مثل الطريق الموصل بين دولي وبلعاست، وكيسة سات تريرا
ولكن ذلك لم يؤد إلى مع الجمهور الأمريكي من نقل الموضوع وأصبح كتاب
«الحث عن بريدي مورفي» من أكثر الكتب انتشاراً في السوق عام ١٩٥٦

عند هذه النقطة شررت الحريدة المأمنة نتائج تحقيقاتها فكتفت عن هوية
فرجينيا تاي (كان برستايين يستخدم أسماء مستعارة) ونسب أنها كانت تعيش في
شيكاغو، وحسب ما ذكرت حريدة شيكاغو أميركان كان لمسر تاي عمه اسمها ماري
بوربر وصفتها بأنها «إيرلندية مثل بحيرات كيلاري»، أي أنها من أعماق إيرلندا،
وكانت تقص عليها في طفولتها حكايات عن إيرلندا، وبالإضافة إلى ذلك كانت
فرجينيا في طفولتها تسكن أمام سيدة إيرلندية اسمها بريدي كوركيل وكان اسمها قبل
الزواج بريدي مورفي، وكانت حلفتها الإيرلندية حسب ما ذكرت حريدة شيكاغو
أميركان قد راقت للعتاة، كما أن فرجينيا كانت تحاول نصيذ جون الذي هو اس كوركيل

حدثت الصجة التي أثارتها مسر بريدي مورفي فجأة مثلما بدأت فجأة، ورفع
الكتاب من قائمة الكتب المشهورة، ولكن أحد كتاب مجلة دبسر عاد فحقق في الأمر
واكتشف أن القصة كلها غير حقيقية. وتبين أن العمه مسر ماري سوربر التي قبل إنها
إيرلندية مثل بحيرات كيلاري مولودة في نيويورك، وأنها لم تقابل فرجينيا إلا بعد أن
سعت الثامنة عشرة من عمرها وأن كلا من فرجينيا والعمه أنكرا وجود أي قصص
بريدي. ولقد بين أن مسر كوركيل تراوع ومحاول التهرب من المقابلات التي ينبغي
فيها الصحفيون أسئلتهم ولذا لم يستطع المراسل الصحفي أن يعرف ما إذا كانت

تحميل قبل رواحتها لقب مورفي أم لا ولكي نكشف عن ذلك انجبه إلى ابها جون الذي افترض أن مرجيبا كانت تعرفه، وكان يعمل محرراً لطبعة الست من جريدة شيكاغو أميريكان وهي الحريدة التي فشلت في الاحتفاظ بنحو عشر حلقات كتب برشتاين وأصرت مرجيبا على قولها بأنها لم تتخاطب مع مسر كوركيل، وأنها لم تكن تعرفي ابها جون لأنه كان يكبرها شهابي سنوات وكان متزوجاً.

فشل كل ذلك في إثبات أن حالة تناسخ بريدي في مرجيبا تاي كان أقرب إلى الحقيقة من حالة تناسخ بلاش سوبسح في الأسنة من وثبتت هذه الحالة أن من الأسهل رفض الرعم كله بدلاً من القيام بتحقيقات حادة، إذ أن معظم الذين كتبو عن الحالة مثل مارتن حاردير في كتابه دندع ونهايات باسم العلم، قد اكتفوا بشر المصانح المتعلقة بالموضوع دون أن يثيروا إلى صحيفة دنيفربوست التي كشفت الحقائق، لأن التحمس للعجائب والعرائب يمكن أن يؤدي إلى قدر من حداد المس بمائل تماماً عدم الرغبة في الافتناع والإيمان.

ولقد كان لحالة بريدي مورفي أثرها في توجيه اهتمام لعديد من المشتغلين بالتأويل المعنطيسي نحو الاسترجاع فقام طبيب انجليري يدعى أرنال بلوكسهايم Arnall Bloxham كان يسكن في كارديف بإرجاع فتاة تسمى آن أوكدون، فتذكرت حياتها السابقة كرجل عاش في أرض يسير فيه الناس عرياً ويلبسون أسان حيوانات، فاستخلص دكتور بلوكسهايم أنها كانت تتحدث عن عصور ما قبل التاريخ، ولكن من الواضح أن ليس هناك أي وسيلة لحث هذه السوعية من التناصح ولقد أثبتت الحالات التي أنت فيها بعد أن هذه الطريقة أكثر فائدة فقد كان المنتج لتدبيريون جيمري ايمرسون Jeffrey Iverson شديد الإعجاب ببرامح بلوكسهايم وحروجه نفسه لفحص الحالات، فشر كتاباً بعنوان «هل هناك أكثر من حبة واحدة؟» صممه نتائج أبحاثه وكان هناك مدرب ساحة يسمى جراهام هكستبول Graham Huxtable الذي أصبح فيما بعد بحاراً في القرن الثامن عشر على سفينة تسمى آحي رويال دخل في معركة مع سفينة فرسية وأبلى بلاء حسناً ثم صاح صيحات الرعب حين جرحته ساقه وحضر إيرل مونتيان الباحث في التاريخ الحديث إلى أوليموردرس ليحاوون التحقق من صحة التسخيلات التي عملها هكستبول، ورغم أنه لم يستطع تعقب أي أثر للسفينة أو المعركة إلا أن وارنر انتهى إلى أنه مقتنع تماماً بصحة الواقعة، فيبدو أن

هكسينيوس الحار كان يعرف عن عصر أكثر بكثير مما نجده في الروايات
التاريخية

ولكن الحالة الأكثر إقناعاً من ذلك عند إيرمسون هي حالة امرأة كانت تفصل أن
نعرف باسم جين إيفانز، وتذكر سبع حيوات سابقة ربة بيت رومانية كانت تعيش
في إنجلترا، ويهودية قتلت في مذبحه وقعت في يورل، ومومن فرنسية، وحادمة لتاجر
فرسي، وحياطه في عهد الملكة ان، ووصيفة لاسة أمير إسباني، وراهنة أمريكية من
دير موانسرفي ابوا. ولقد أظهرت ربة البيت الرومانية «ليغونا» معلومات جيدة عن
عصرها مما يدل على خبرتها بالتاريخ الروماني في إنجلترا، وأصرت مسر إيفانز على أن
معارفها التاريخية تفتصر على ما تلقته في المدرسة الابتدائية وذهب إيرمسون إلى
وادي هر اللوار ليتحقق من أمر تناسخ شخصية السون خادمة حال كوبر مستشار
شارل السابع ملك فرنسا فيها ولم يكن حين إيفانز قد ذهبت إلى وادي اللوار
إطلاقاً، ولا يعرف شيئاً عن التاريخ الفرسي، ولكن تحقيقات إيرمسون مع المؤرخين
الفرسيين أظهرت مبلغ علم ألبسون بتاريخ فرنسا في العصور الوسطى.

وأكثر هذه التناسحات عجباً هو تناسخ ربيكا اليهودية التي عاشت في يورل
خلال القرن الثاني عشر قبل أن يجرح ريتشارد قلب الأسد للحرب الصليبية الثالثة
عام ١١٨٩ م، فقد حدث في لندن شعب صد اليهود وثار الإنجليز ضد اخوة
الخارجين عن الدين، وكان اليهود آنذاك يعاملون كمعاملة الإنجليز للمسلمين،
وحدثت في يورل مصادمات عام ١١٩٠، ولحق اليهود إلى القلعة، وقام معظمهم بقتل
أنفسهم ثم قتل أنفسهم تجملاً لقمة النافرين. وهربت ربيكا مع أسرتها من المذبحه
وانجبهو إلى الممر السري في إحدى الكنائس المسيحية، ولكنهم قبل أن يصلوا إلى
الباب الخارجي عثر عليهم الناثرون وقتلوه.

قرر إيرمسون أن يستقي أحد الخبراء عن هذه المذبحه وهو البروفسور هاري
دوسون الأستاذ في جامعة يورك. ودهش الدكتور دوسون لدقة وصف المذبحه
وبخاصة رأي جين إيفانز التي اعترفت بأنها تجهل كل شيء، وقرر أن الكنيسة التي
ينطق عليها وصفها هي كنيسة قلعة سانت ماري. ولم تكن هناك سوى مشكلة واحدة
هي عدم وجود عمر سري، ولكن بعد سنة أشهر اكتشف أحد العمال الذين كانوا

يعملون في أعمال مجذبات الكيسة آثار شيء يبدو أشبه ما يكون باسمه السري
حجرة ذات أقبية دائرية موجودة تحت المذبح.

ويسمى يعترف إيان ويلسون بأن هذا الاسترخاء مذهش إلا أن له بعض أوجه
النقد شأنه فهو يشير إلى أن هناك نحو أربعين كيسة في مدينة يورك، فكيف تؤكد
البروفسور دوسون أن كيسة سانت ماري هي الكيسة المقصودة؟ ووصفت ربيك قبل
يهودي عصور في شارع كوي، ولكن اسم الشارع عند القرن الثاني عشر كان شارع
كوسحا (أي شارع الملك)، وتذكر ربيكا بوابة يورك الحاسية لكيسة يسما الحقيقية أن
كوبرجيت (أي البوابة الحاسية) كان اسماً لشارع من الشوارع فقدت كل هذه
الاعتراضات قوتها حينما رد عليها البروفسور دوسون، فالشارع الذي قتل فيه
اليهودي العجور كان يسمى شارع كوسحا، وربما كان يطبق آنذاك كويين حيث عادة
الإسكندر أن يحرقوا بطن الكلمات الأجنبية، (في بلدتي ليشتير نجد أن شارع بونفوار
ينطق شارع بيتر) أما الشارع الذي يسمى كوبرجيت فقد كان موجوداً فعلاً في يورك
عام ١١٩٠، وفي نهايته كانت تقع إحدى البوابات المؤدية إلى القلعة، وليس من شذ
في أن معظم أهالي يورل اعتقدوا أن كوبرجيت (البوابة الحاسية) يشير إلى تلك
البوابة.

يرد كل ذلك على الاعتراض الثالث كيف استطاع البروفسور دوسون أن
يحدد الكنيسة يسما بوحدة تسع وثلاثون كيسة أخرى؟ إن ربيكا قد وصفتها وصفاً
دقيقاً كما لو أنها كانت خارج البوابات الكري، وهو أمر معقول لأنها تذكر أنها هربت
من القلعة.

لعل النقد الذي وجهه إيان ويلسون يوضح لنا أن الرأي المصاد لفكرة شناسخ
هو أساساً نفس الرأي الذي يعادي فكرة «اتصال الروح» عن طريق وسطاء هذه،
ويمكن تفسير أي شيء في ضوء فكرة الذاكرة المدفونة والتحناظر، وإلا لأصبح الخداع
أمراً غير مدعوم بالدليل. فإذا ما ثبت لدينا اتصال الروح فعلياً إذن أن يفترض أن
الروح قد توصل لنا شيئاً غير معلوم للوسيط أو لأي شخص من الحاضرين، وتؤيد
هذا المعيار كثير من حالات الاتصال المتدخل، فإذا ما أردنا إثبات التناسخ فعلياً
تطبيق نفس هذا المعيار. فلا بد أن نرى في العرض أن الشخص المتناسخ أو الذي
حلت روحه في الشخص الآخر يعرف أشياء لا تعرف إلا أثناء تواجد سابق له، ومن

ثم فليس هناك خلاف في أن المؤرخ الحري وجد أن الرواية مقبولة تماماً، بينما يريد أن يعرف بما لا يدع مجالاً للشك أن هكستبول لم يشاهد أي فيلم أو يقرأ أي كتاب يكون منصفاً للمادة التي تعرض منظر المعركة.

يبدو أنه في حالة جان إيفانز عالماً ما يستحيل رؤية كيف يمكن تطبيق هذا النوع من التفسير. فلو صح أنها ليست قارئة واسعة الاطلاع وأن معلوماتها تقتصر فقط على التاريخ الذي تلقته في المدرسة الابتدائية فإن ذلك يدل على أنها لم تعرف شيئاً عن حياة وصيفة رومانية أو يهودية كانت تعيش في بورك. على أن التباسات فيها تقتصر في نفس الوقت إلى عنصر هام هو إثبات أن ليفونيا ورييكا وغيرهما من الشخصيات كانت موحودة بالعمل، وبدون مثل هذا الدليل لن نتأكد من أنهم لا يخرجون عن كونهم من الإبداعات التي أثارها العقل الذاتي.

ولقد تمحصر في موضوع الاسترجاع موم معاطبي آخر هو جو كيتون Joe Keeton اندي بيلم في ويرا. ولقد كَوّن مجموعة جعلت هدفها الحصول على أدلة وثائقية عن وجود حياة سابقة كان كيتون لا يؤمن إطلاقاً بأنه يتعامل مع حالات تناسخ، وكان يفصل الاعتقاد في أنه يتعامل مع قدرات عقلية خالصة مبروجة بشكل غير معروف من الدخول في نشاط ذاكرة الجنس الشرقي، وهي شيء يشبه اللاوعي الجماعي عند جونج.

قابلت جو كيتون لأول مرة سنة ١٩٧٨ حينما حضر إلى دار تليفزيون ويست وارد في بلاموث ليقوم بعملية استرجاع لمرصة تسمى بولين ماكاي جاءت أيضاً من مدينة ويرا. تحولت بولين إلى حادمة من بلاد المغرب اسمها كيتي جاي، وقالت إنها انتحرت قرب مدينة شاجمورد في أواخر القرن الثامن عشر. وكتب جو إلى أمين مكتبة إكستر يسأله عما إذا كان يعرف كيتي جاي، والعرب أنه تلقى رداً مفاده أن مقبرة جاي موحودة في أطراف دارتمور، وأنها شقت نفسها في مررعة كاسا، ولأنها ماتت منتحرة لم يسمح بدفنها في الحياطة.

ولقد قام جو كيتون بتسليم بولين ماكاي أمام عدسات التلفزيون، وأرجعها إلى حياتها السابقة ثم أحياناً إلى حياتها حينما كانت كيتي جاي، فوصفت كيف أنها ذهب للعمل في مررعة فورد في ماناتون كحادمة وسمحت لنفسها بأن يعتصمها رجل يدعى روب كان يعمل في مررعة كانا المجاورة ورغم أن بولين لم يسبق لها أن رارت برف

العربي إلا أنه كان واضحاً أنها تعرف المظفة، وذكرت اسم الحسر الذي كانت تقف عليه كيتي وروب أثناء نزهاتهما، وحكت كيف أن روب هجرها، وأحدث نصف اتجارها، وعد وصوفاً إلى هذه القطة مدت عليها علامات الأسى العميق حتى أنها كانت تنفس بصعوبة. كان العرض مشيراً، ومع ذلك كان واضحاً أن ذلك يفسر على أنه من الذاكرة المدفونة، فربما سبق لسوليف أن قرأت حكاية كيتي في أحد الكتب الكبيرة عن الأشباح مثل كتاب بيتر اندروود Peter Underwood «سجلات تاريخية للأشباح البريطانية».

وظل كيتون مد ذلك اللقاء على اتصال دائم بي بحري بالحالات الجديدة التي تعرض عليه، وكان بعضها مشيراً للعابية، وحتى سنة ١٩٨٣ لم تعتبر أي من تلك الحالات كحالة ناسح بالمعنى الدقيق للكلمة، أو ذاكرة عروية، ولكن استطاع إثنان من الباحثين أحياناً، وهما أندرو ورجريتا سالي، أن يقدموا براهنين موثقة عن وجود ناسح أو حلول روح سابقة في شخص ما.

كان الشخص الذي وضع موضع الاسترجاع صحفياً يدعى راي بريات يعمل كاتب تحقيقات لجريدة ابصح بوست طلب إليه عام ١٩٨٠ أن يكتب جلسات سلسلة عن الاسترجاع بالتويم المغناطيسي، فاشتد اهتمامه بالموضوع، وتبين له أن محاولات الشخصية للاسترجاع غير كافية، ومع ذلك انضم عسراً في مجموعة كانت تجتمع في لندن وبذلك حافظ على كيانه. وفي خلال الجلسة الثانية عشرة من جلسات التويم المغناطيسي التي يعصرها سمع نفسه يصف مرضاً أصابه وهو في محطة السكة الحديدية (كان راي بريات يصف إحساساته أثناء تلك الجلسات بأنها أشبه ما تكون بمشاهدة برنامج الليبريون وهو يؤدي دوره فيها)، وظهر تدريجياً أنه عامل مررعة اسمه روبرت سويار الذي يقطن في أوتجار بمقاطعة اسكس في بدايات القرن العشرين (ولد راي سنة ١٩٣٨)، وفي الجلسات التالية وصف حياته كعامل زراعي وألقى عليه جميع أعضاء الجماعة أسئلتهم، ثم قرر حو كيون أن الوقت قد حان ليذهب به في الماضي إلى ما هو أبعد. إلى ما قبل ولادة روبرت سويار فأصبح حديثاً يدعى رويين، وحينما سأله عن اسمه الثاني لم يستطع أن يذكر إلا الحروف الأولى منه وهي «س، ت، هـ». كان من الواضح أن حياة رويين كانت أكثر حيوية من حياته كروبرت سويار، إذ أنه كان رقيقاً في فرقة لانكشاير الساعة والأربعين، وأنه

جرح في حرب الفرم حيث رأى فلورانس تابتسكيل، وربما مات في لندن متحرراً عام ١٨٧٩ وهو في السابعة والخمسين من عمره.

ثم ظهرت تفاصيل أخرى؛ أنه جرح في معركة الكواريس وهي معركة لم يسمع عنها أي من أفراد المجموعة، ولكن تبين من البحث في المراجع أنها وقعت بالفعل في يونيو ١٨٥٥ (رغم أنها كانت من أكثر معارك الحرب أثناء حصار سيستبول غموضاً، وقد فشلت في بحثي الشخصي في سنة كتب أن أجدها ذكراً)، وترك الجيش بعد خدمة دامت واحداً وعشرين عاماً.

٧

القول والبعث الجديد

كان لويلات الحرب العالمية الأولى أثرها في اعتناق الآلاف للروحانية، وعلى العكس أيضاً اقتنع المزيد من الناس أكثر من ذي قبل بأن الروحانية هراء ويعتبر السير أوليفر لودج هو المسئول عن كل هذه الانجذابات المناقصة.

في نوفمبر عام ١٩١٦ ظهر كتاب من تأليف لودج بعنوان «رايموند أو الحياة بعد الموت» فنسب في صفحة مباشرة ولكنها لم تكن من ذلك النوع الذي يأمنه لودج به فبعد سنة ١٩٠٩ حينما أصدر لودج كتابه المسمى «بقاء الإنسان» والذي يعترف فيه بيمينه بالحياة بعد الموت بدأ العلماء يشعرون أنه قد ترك جانب العلم، ولشك كان قد ناقش هذا الكتاب على الأقل أدلة تجريبية، وتمسك بالتزامه العلمي الشديد إلا أنه حصص أربعمائة صفحة من كتابه الثاني لمناقشة أن ابنه قد رجع من عالم الموت عما يبدو بوصف أشبه بإقحام النفس في المواطن وأصبح رايموند هدماً للمعقدين المعادين وبخاصة الفقرة التي يشرح فيها رايموند أن «العالم الآخر» لا يختلف كثيراً عن أرضنا، وقال إن معظم الناس يلبسون الثياب البيضاء رغم أن الكثير منهم ربما يفصلون لس الخلل دوات السترات وهم يأكلون كيما يريدون بل ولديهم السيجار والويسكي والصدودا وهناك معامل تصنع فيها كل أنواع السلع» يبدو أنها كلمات فيها سعة، ذلك أن أحد علماء النفس ويسمى تشارلز ميرسيه صرب رقماً قياسياً في سرعة إصدار كتاب مصاد له على طول الخط بعنوان «الروحانية والسير أوليفر لودج» بيد أن معظم العلماء شعروا ببساطة أن لودج قد تحطم وأن الشيء الوحيد البسيط رف كان إهمالهم له.

ولقد لقي السير آرثر كونان دويلي Arther Conan Doyle نفس العداوة حين عترف في عام ١٩١٨ باعتناقه للروحانية في كتاب أسماه «الوحي الحديدي» كانت أسره

دويلي خلال الحرب ترعى سيده شابة تعاني من المرض اسمها ليلي لودرسيموندس، دعمت وهي في فراش المرض أنها تمارس الكتابة التلقائية، واقتضت أسرة دويلي بأمر الأمر بساطه لا يخرج عن كونه كلاماً صادراً من عقلها الباطن ثم حدث في يوم من الأيام أن أنت الرسالة التالية «قطيع قطيع! سيكون لذلك تأثير على الحرب» وفي ذلك اليوم حدث أن غواصة ألمانية أعرفت سفينة الركاب لوسيتانيا وعرق نحو ألف ركب أكثرهم من الأمريكيين أدى هذا الحادث إلى تمهيد الطريق لاستعداد أميريك لدخول الحرب. ومنذ ذلك الوقت أحدثت أسرة دويلي أمر الكتابة التلقائية بشيء من الحدية وفي أبريل سنة ١٩١٥ مات مالكولم ليكي شقيق روجة كانون دويلي في مدينة موير وفي ذات يوم بينما كان دويلي جالساً بجوار ليلي لودرسيموندس وهي في فراشها يرافقها وهي تكتب كتابة تلقائية، دهش حينما تعرف على خط مالكولم ليكي، وبدأ دويلي يطرح أسئلة يجيب عليها ليكي، سألته دويلي سؤالاً صعباً للغاية عن محادثة شخصية كانت قد مرت بينهما قبل الحرب، وكانت الإجابة بالتحديد هي بالفعل ما ناقشه مع ليكي، ولم يكن دويلي قد ذكر عنها شيئاً حتى لزوجته ومنذ ذلك الوقت أصبح لا يشك في حقيقة الحياة بعد الموت.

سبب اعتناقه للروحانية عصاً أكثر من العصب الذي سببه اعتناق السير أوليفر لودج. فأصدقاؤه المحترمون مثل لويد جورج ووينستون تشرشل وأملك جورج الخامس وغيرهم شعروا بأن ذلك مطهر من مظاهر السداحة الطفولية، وطرح عليه الكثيرون سؤالاً ساحراً. «ماذا قال شرلوك هولمز؟» وفي الحقيقة أن آخر محلد روايات شرلوك هولمز «الحالة» طهر عام ١٩٢٧ وقوبل برود لم يسبق له مثيل، إذ أن جماهير الطبقة المتوسطة شعرت بأن أوهامه انكشفت وكانت الرواية السابقة عن البروفيسور شابجر وعنوانها «أرض الصباب» قد قوبلت بسخرية واسعة النطاق. ويذكر كاتب سيرة دويلي أن اعتناقه للروحانية أدى إلى مع وضع اسمه ضمن قائمة النبلاء.

ومن أكثر الحكايات عن التعصب ضد الروحانية مأساوية حكاية المهندس المعماري فردريك بلاي بوند Fredrick Bligh Bond، فقد حدث عام ١٩٠٧ أن شترت الدولة أطلال دير حلاستوبيري وعين بلاي بوند مسئولاً عن الحفاظ فيها وكان بوند من المؤمنين بكتاب «الحانب الليلي من الطبيعة» تأليف كاترين كرو، وقرر

أن عمله قد يصح سيطراً للعناية إذا ما استطاع أن يتصل برهبان الدير الذين ماتوا
من زمن طويل ليسألهم عن الأماكن التي يحفر فيها، واستطاع صديق له اسمه جون
آلان بارتليت أن يقوم بالكثافة التلقائية. وفي نوفمبر عام ١٩٠٧ جلس بوند وبارتليت
على حاسبي مائدة، وأحد بارتليت قلماً في يده، ويد بوند تلمس يده من فوقها بحفة.
وأحد بوند يطرح الأسئلة، ويد بارتليت تتحرك بكثافة الإجابات. وحينما سأل بوند عن
موقع الكنيسة الصغيرة المفقودة تحركت وأحدثت ترسم محططاً لدير وعليه موقع الكنيسة
الصغيرة. وكان المتصل يسمى نفسه جوليلموس موتاسيوس يعني وليام الراهب. وحينما
قام الفريق الذي يعمل مع بوند بالحفر في الموقع المحدد عثر بوند على الكنيسة
وسعدت هيئة كنيسة انجلترا التي استخدمته بهذا الكشف. وكان سرورهم يرداد كلما
عثر بوند على شيء بعد آخر بما في ذلك كنيسة أخرى عثر عليها فيها بعد. وحرص
بوند على ألا يخبر أحداً بأن معظم معلوماته أتت من وليام الراهب وعدد آخر غيره من
المتصلين الذين سموا أنفسهم «مراقبين»، وأخيراً في عام ١٩١٧ أدرك أن نجاحه قد
بلغ حداً بعيداً وقرر أن يحكي كل قصته في كتاب سماه «بوابة التذكير». أصيبت
الكنيسة بالضرع وفصل بوند من عمله بل ولم يسمح له بالتواجد في دائرة الدير،
ومضت مكتبة الدير من بيع الدليل الذي وضعه بوند لمنطقة جلادستونبري.

هاك هامش عمن لحكايته. في عام ١٩٣٦ قرر كورمولانج كبير أساقفة كنتبري
أن الوقت قد حان لكي تقرر الكنيسة ما تراه بشأن الروحانية، وكوّن لجنة لبحث
الموضوع وتقرير ما إذا كانت الروحانية متفقة مع المسيحية أم لا، واستعرفت
اجتماعات اللجنة ثلاث سنوات، وظهرت النتيجة بأن الروحانية لا تتعرض مع
المسيحية فالمسيحيون أولاً وقبل كل شيء يعتقدون في الحياة بعد الموت. وفصلاً عن
ذلك فإن دلائل النقاء بعد الموت قوية للعناية، ويبدو أن كبار الأساقفة عصب غضباً
شديداً من هذه النتيجة لدرجة أنه وضع التقرير في درج مكتبه حيث ظل مسياً لمدة
قزيرد عن ثلاثين عاماً. ونشر أخيراً في أواسط السبعينات.

لاحظنا فعلاً أن هناك ظاهرة واضحة تتمثل في الشعور بأن هناك شيئاً وبائياً
مرضياً بالنسبة للاشغال بموضوع الحياة بعد الموت، هو رد فعل معقول للعقلاء من
الباس يشعرون طبعاً بأنه يلزم أن توجه اهتمامنا إلى مسائل الحياة الأبدية وليس
الطبيعي أكثر من اهتمامنا بمسائل الموت. ومع ذلك فقد رأينا أن مثل هذا لقد لموجه

غير مناسب من وجهة نظر لودج ودويل. فربما كان دويل سادجاً في عدم تأثره حينما أحرته الكتابات النلقائية عن أشياء لم تكن معروفة لأي من الأحياء، وقد يكون لودج من العلماء الصعاف إذا لم يصحح في التعرف على أن الصورة لموتوعرافيه لمجموعة راييموند^(١) تمثل في أول وهلة دليلاً قوياً على أن الله بقي بعد الموت. ومن المهم أن نتذكر أن لودج ودويل كانا عصويين في جمعية البحوث النفسانية لمدة تزيد عن عشرين عاماً قبل أن يقتنعا بفكرة البقاء بعد الموت. ونفس الشيء ينطبق أيضاً على جيمس هايسلوب وسير وليام باريت، حتى كروكس نفسه لم يعمل فكرة البقاء بعد الموت إلا في عام ١٩١٧ بعد جلسة افتتح فيها بأن روحته الراحلة كانت تتحدث إليه. افتتح هؤلاء جميعاً بالدليل وليس بمكر راغب في الاعتقاد.

يدلنا هذا على أن الروحانية فشلت في إقناع الجماهير، فإذا كان الأمر قد استغرق عشرين عاماً للتعلم على شكوك من كانوا يهتمون بالمشكلة يصبح من الواضح أمامنا أنها سوف تستغرق قروناً لإقناع من لا يهتمون بها.

عليها أن نسلم أيضاً بأن ملاحظة ريموند لودج عن السحار وانصودا، ماهيك بذكر الأرواح البيضاء ربما أساءت للروحانية أكثر مما أساء إليها اكتشاف عشرات الأديين من الوسطاء. ولقد استمرت المشكلة موضع إثارة بصور مختلفة منذ ظهورها، فهناك لمحة بسيطة لعدم قبول فكرة الحياة بعد الموت بصفة عامة هو المسحة للاعقلانية التي استعملها ه. ح ويلر في كتابه «الشبح السادح» ونويل كورد Nowel Coward في كتابه «الروح المرحية». فشلت جميع الكتب التي تناولت موضوع الحياة بعد الموت في أن تنجب هذه المسحة غير العقلانية. ففي عام ١٩٢٨ روى الأسقف تشارلز درايتون توماس في كتابه «حياة بعد الموت بالدليل» حكايات عن اتصالاته مع والده الراحل وشقيقه عن طريق الوسطاء؛ ولكن حينما بدأ والده يصف العالم الذي يعيش فيه كان هناك تأثير من المبالغات الشديدة تثير في الصر التالي.

لدينا طرق ولكن سطحها يختلف عن سطح طرق انكلترا المرسوفة بالحجارة والإسفلت فمظهرها أشبه ما يكون بالترمة الطبيعية ولكن دون أن يعطيها الطين أو أي شيء غير مريح.

لدينا لادن، ولكنها ليست لادن التي لديكم. هناك بعض التشبه في الحدائق والمباني الجميلة، ولكنها بالنسبة لنا أهل بكثير. ليس لدينا ثعابين أو صوايرها. ولدينا حيول وكلاب وعضط وقيل من القردة.

(١) أنظر ص ١٤١/١٤٢ في الفصل الثالث

بعد كل ذلك يصبح من الصعب أن نلتصق التعاطف المناسب حين يصف الأب والأخت حديثهما مع السيد المسيح الذي لا بد أن تتبأ بأنه يشع وجلالاً وعظمة مع حلاوة فائقة وتواضع.

ولقد ظهرت في الثلاثينات وسيطة تسمى جين شيروود، بدأت تمارس الكتابة التلقائية وتتلقى مراسلات طويلة من كائن يدعى ج. ف سكوت يصف لها ما بعد الحياة وبشرت تلك الرسائل تحت عنوان «الحسر البشري وبلاد العالم الآخر» ثم كشف سكوت هذا فيما بعد عن شخصيته الحقيقية وهي شخصية ب. أ. لورانس، وأمل كتاباً آخر عن تجاربه الشخصية في الحياة بعد الموت وقامت روح أخرى تسمى ميشيل أحدث على عاتقها دور الموجه للورانس، فأحيرته بأنه قد عاش كراهب وأن عليه أن يذهب ويمر بكل التحارب والخبرات التي افتقدها وهو على الأرض مثل ذلك مخالطة نساء فقال له «لتذهب وتعمس في ملذاتها»، وأحد لورانس إلى بيت يشبه بيوت الدعارة «هؤلاء الفتيات غير مومسات... إهن نساء لم يسلن حطهن من لتجارب الجنسية في الحياة الأرضية ويردن تعويض هذا النقص قبل تقدمهن في السن...» أما لورانس الذي كانت لديه ميول للشذوذ الجنسي وهو عن الأرض فقد تفجرت منه عبارات خطافية: «كل منا تجول سعيداً في أراضٍ ساحرة يرتاد ملذات لصحبة التي يجلبها تاج الاتحاد».

ورداً ما اتضح لنا أن جين شيروود ودرابتون توماس قد خدعا عن طريق العقل الساطع أو الأرواح في محاولة لحر أرجلها، تصبح هذه العبارات عبر محبرة بثلاث لدرجة لكن كتاب «بلاد العالم الآخر» لجين شيروود، يعتبر كما وصفه رايور جوسون مصدراً رئيساً للماطية، ويعد «كواحد من أحسن المحاولات التي توصل إليها المشاعر الحقيقية للأحوال التي سوف نلاقيها في يوم من الأيام حينما تنتهي أجسامنا الطبيعية». أما كتاب درابتون توماس فإنه من أكثر الكتب التي بشرت عن موضوع النقاء أثراً، فقد كان باستطاعة أبيه أن يشأ بدقة عن أشياء نجدها في الصحف في اليوم التالي أشياء أو موضوعات (كالتحقيقات التي نشر) دون أن يكون في الحسبان حتى ساعة طباعة الصحيفة.

يسدو أن هذه النقائص البالغة أساسية في طبيعة الروحانية، ولا يعبر إليهم التلاميذ الذين يدرسون حوارات المعاداة إلا على أنهم عشاق شعر وأحدوا فيها مثل

أشعار «وردر» ورثه الكثيرة المستعركة في العاطمية وتعد تلك القائض بساطة من عناصر قانون جيمس، ولكنها بالنسبة لمن كانوا مستعدين لاعتناق الروحانية فيما بين الحريين أصبحت معوقاً للاعتقاد لا يمكن تحاوره، فالمعامل وبيوت الدعارة التي توجد في السماء قد لا تؤخذ بجديّة

هذا، وهناك أسباب أخرى متعددة لتدهور مذهب الروحانية خلال العشرينيات والثلاثينيات فمن الواضح أن أيام الوسطاء العظام مثل دو بجلانس هوم وأيوسانيا بالاديرو وليونور باير قد انتهت حقاً بقي بعض الوسطاء مثل مسر ليونارد والأختين، شايدر وهيلين دانكان ولكن إيجاراتهم لم تكن على قدر كبير من البروز فهي إطر الشك والتحرر من الوهم الذي خلغته الحرب كثر كشف العصائع والانتهاكات بالعش والخداع ولقيت هذه دعاية أكثر بكثير مما لقيته التجارب الناجحة التي قام بها الوسطاء ولقد استطاع الساحر هاري هوديني أن يتكسب كثيراً من مهاجمة الروحانية خلال العشرينيات، فهي كتابه «ساحر بين الأرواح» وصف الوسطاء بأنهم سور بشرية صارية، وفي أثناء التحقيق مع الوسيطة الأمريكية مارجري كراندون كان خداع هوديني واضحاً حينما أخفى في دولاب مصمم تصميمًا خاصاً، ولذا لم يمكن اتهامهما بأشياء استخدمتها لدى الحرس (اعترف مساعد هوديني فيما بعد بأنه أخفى المسطرة في الدولاب بناء على تعليمات هوديني وأصاف قائلاً «إن الحق عند المستر هوديني هو فقط الشيء الذي يريد» وفي الحقيقة كان المحققون الخادون يتحاورون الحدود في الوقوف في جانب الشك، فبعد سلسلة من التجارب مع الوسيط المساوي رودي شايدر اتهمه هاري برايس على صفحات حريدة الأحد بدلاً من أن يقدم تقريراً صده إلى جمعية البحوث النفسية (اتضح فيما بعد أن عرصه كان انتقامياً لأن شايدر وافق على أن يعمل مع محققين آخرين مناقشين له) وحينما اتهمت هيلين دانكان بالعش، وغرمت عشرة جنهات، كتب برايس كتاباً يهاجمها فيه، وبعد فترة قصيرة كان برايس نفسه متهماً بالعش في أعظم تحقيقاته شهرة وهو التحقيق في مسألة تدنس بورلي ويكتور بالارواح...

وأصبح المتشككون من أعضاء جمعية البحوث النفسية معروفين بأنهم بعيدون عن الأحداث فهي العشرينيات كان من أكثر أعضاء الجمعية تأثراً مشغول البحوث ديجوال E J Dingwall وأمين المكتبة تيودور سترمان وأصبحوا معدين عن الواقع،

بما لم تكن هناك فرصة للأعضاء العاملين أو العارفين في النشاط وذهب ديجول إلى أمريكا للتحقيق في حالة مارجري كراندون، ويبدو أنه اقتنع تماماً بأصالتها حيث أخرجت أثناء الجلسة من بين فحديها كميات كبيرة من مادة الأكتوبلارم وصلت إلى ديجويل ولمسته كما تلمسه يد تماماً. ولكن حينما كتب تقريراً عن تحقيقاته بعد ستة شهور كان قد عبر رأيه وصرح بوضوح بأنه يعتقد أنها مخادعة. وكانت نتائج تلك التناقضات انقسام الجمعية في داخلها إلى فرق متعارضة، وتوقفت عن ممارسة المهمة التي بدأت من أجلها، وكان من نتيجة ذلك ما حدث حينما قدمت التقرير عن لوسيط الداريلي العجيب كارلوس ميرابيلي الذي طار في الهواء بصورة درامية ثم ظهر في حجرة أخرى، وجعل بعض الأموات يظهرون عجسدين في وصح النهار. ولما وصلت هذه التقارير إلى الجمعية عام ١٩٢٧ حدثت صجة كبرى حول إرسال محقق كفاء، فلم تثبت ظواهر ميرابيلي أبداً، ذلك أن الأيام التي كانت الجمعية فيها مستعدة لإرسال رجل مثل ريتشارد هودجسون إلى الجانب الآخر من العالم قد انقضت من زمن طويل.

كان هناك اقتحام واحد رئيسي في مجال البحوث النفسية، أو ما أصبح يسمى الآن بحوث حوارق العادات، وحدث ذلك خلال الثلاثينات، إذ دخل أحد المعامرين إلى مكتب الدكتور جوريف بانكس راين في جامعة ديوك عام ١٩٣٤ وأحضر الدكتور راين أن لديه قدرة التأثير على سقوط زهر الرد. وحينما تبارى الاثنان لاحت للدكتور راين أن هذه ربما كانت إحدى الطرق لإثبات وجود التسلط الروحي أو «سيطرة العقل على المادة» في المعمل. وقام بإجراء ثماني عشرة سلسلة من الاختبارات الإحصائية على مدى ثماني سنوات كشفت كلها عن نتيجة واحدة ذات قيمة. حينما يكون الناس في حالة انتعاش فإنهم يستطيعون التأثير على سقوط زهر الرد، أما إذا وصلوا إلى العملية وبلغوا معها حد التعب والملل فإن النتائج تكون أسوأ. ربما كانت لطريقة التي اتبعها راين طريقة عقيمة بالسبب لتجارب كروكس التي أجراها على دوجلاس هوم، أو تلك التي أجراها ريتشت Richet مع أيوسوبيا بالادينو، ولكنه أثبت نجاح في داخل المعمل أن للعقل الإنساني قوى خارقة للعادة.

ليس من شك في أن هذا العمل كان خطوة متقدمة للأمام، إذ أوضحت صحة الزعم الرئيسي لكل من كاتربن كرو ومفردريك مايرر بأن قوى العقل الإنساني

أعظم بكثير مما تقدر، ومع ذلك فلم يؤد ذلك إلى الاقتراب من الإجابة على السؤال المطروح والذي تكوّن جميعه البحوث الحسابية للإجابة عليه، وهو هل هناك حياة بعد الموت؟ ثم أجريت في أواخر الثلاثينيات سلسلة أخرى من التجارب الإحصائية قربت الأمر مرحلة أخرى.

كان دكتور صمويل جورج سوال من رجال الرياضيات في جامعة لندن، ولم تعجبه النتائج التي توصل إليها رابن. وفي عام ١٩٣٦ دخل على مكتبه مصور مشهور يدعى باريل شاكتون وأعلن دأبي لم أحضر هنا لكن أحضعت لاختبار ولكن لكي أعرض ظاهرة التحاظر، راعماً أنه يستطيع أن يحس ترتيب مجموعة كاملة من ورق اللعب ويذكر معظمها صحيحة. فاختبره سوال، ولكن حاب أمله لأن نتيجة الاختبار الأول لشاكتون كانت عشرة من خمس وعشرين، وبعد ذلك ساءت نتيجة التحمين تدريجياً حتى وصل إلى المرة السابعة فكانت حصيلة الاختبار ثلاثة أوراق صحيحة من ٢٥ ورقة. وطلب له شاكتون شراباً كي يستعيد قواه، ولكن حتى بعد الشراب ظلت النتيجة محصنة.

في عام ١٩٣٩ جرت مناقشة مع باحث آخر هو هواتلي كايختون الذي أعطى سوال فكرة جديدة؛ كان كايختون مشغلاً بسلسلة من تجارب تخمين الصور، ولاحظ ظاهرة غريبة هي أن معظم وسطائه يحسمون الصورة التالية للصورة المعروضة، وعدد سوال يراجع بعض نتائج تجاربه السابقة فنظر أولاً في نتائج اختباراته لربة بيت من لندن اسمها جلوريا ستيوارت ووجد أنها تكرر تخمينها للورقة التالية. وواصل دكتور سوال بطرائه إلى السائح التي توصلت إليها في موضوعات أخرى، ولكنه لم يجد شيئاً ذا أهمية. ثم تصادف أن وقعت في يده نتائج اختبارات باريل شاكتون فوجد فيها أن نسبة الترحيل للورقة التالية نسبة أعلى بكثير منها في حالة اختبارات جلوريا ستيوارت، ثم بالمراجعة وجد أن شاكتون كان يحس إما الورقة السابقة أو الورقة التالية للورقة التي يطلب منه سوال أن يكرر عليها، ولذا طلب من شاكتون أن يشترك في سلسلة أخرى من التجارب استمرت لمدة سنتين تبين منها فلا أدنى شك أن شاكتون كان قادراً على تخمين الورقة التالية التي لم يرها سوال نفسه بعد. وهكذا تبين أن الأمر ليس تحاظراً، إنما هو معرفة مسقة وهي الموهبة التي ظهرت بوصف لدى والد درايموند توماس حينما استطاع أن يشأ عما قد تأتي به صحف اليوم التالي.

حقاً إن المعرفة المسبقة لا تثبت وجود حياة بعد الموت، ولكنها ظاهرة موجودة بالفعل، وثبتت أن مفهومنا خطأ من حيث نظرتنا المادية للعالم. وقد نجد مكاناً للتخاطر ونسبب الروحي في الصورة العلمية للواقع، ولكن المستحيل لم يحدث بعد، وبالتالي فلا توجد أي طريقه علمية ممكنة للقفز إلى عصر من نوع حديد. مثال ذلك وجود بعد رابع أو بعد خامس من النوع الذي طرحه هواتلي كايستون في كتابه نظرية البقاء ليكايكي أو الألي. وحيثما عرّض سوال المعرفة المسبقة اتحد بذلك أهم خطوة نحو إثبات الحياة بعد الموت منذ بداية تكوين جمعية البحوث النفسانية.

وفي عام ١٩٢٤ توصلت الباحثة الأمريكية الدكتورة جرتروود شميدلر Gertrude Schmeidler الأستاذة بكلية رادكليف إلى نتيجة تعتبر أهم النتائج جميعها، حيث كانت تقوم باختبار الحاسة الإدراكية الفائقة، وقبل التحارب سألت عن يؤمن بوجود هذه الحاسة الإدراكية الفائقة، وأعطت الدين يؤمنون بها علامة الأغنام والدين لا يؤمنون بها علامة الداعر. وحينها فحصت نتائج تحمين ورق اللعب اكتشفت أن الأغنام حصوا عن نتائج أعلى من المعتاد بكثير، ولكن الأهم من ذلك هو أن الماعر حصلوا عن نتائج أقل من المعتاد، إذ كانوا يفشون أو يجادعون دون أن يشعروا ليؤيدوا فكرة عدم وجود إدراك فائق للحواس، وبهذا يكشفون عن إدراك فائق للحواس يماثل ذلك الذي عند الأغنام، ولكن بالاستخدام السلي له. ولقد ظل الوسطاء وأصحاب الحالات النفسانية مدى سنين طويلة يصرون فشل قواهم بوجود موجه التشكك القائمة، ويذكرون أن المتشككين يتحدثون مهم وسيلة للسحرية، وأوضح جرتروود شميدلر أن التشكك ليس بالضرورة ظاهرة علمية وأنه لا يستحق كل ما يبدو أنه يؤديه من خدمة علمية.

أحد العالم النحاتة هلموت شميت الذي كان يشتغل في معمل يوسح في سنين هذه لنتائج بجديفة بالغة، فإذا كان الناس على استعداد لأن يكشفوا عن إدراك متحور للحواس في جو من الأحوة والثقة فربما يكون لذلك فائدة كبيرة إذا ما استطاع العلماء أن يعملوا تجاربهم بطريقة لا يمكن فيها العش. ويستطيع الفرد أن يسترعي وأن يتناول الموضوع في جو صالح للإدراك الفائق للحواس، وأحد شميت عن عائقه هذا التحدي بأن ابتكر آلة تستخدم مباحة مشعة متصائلة الإشعاع لإسارة مصباح عديدة وإطفاؤها، ولا يعلم أي أحد شيئاً عن الرمز اللارم لتساؤل الدرر المشعة

التالية بحيث تطلق بريقاً شديداً السرعة وكان على الأفراد الذين يجري عليهم
شميت الحوث أن يحموا أي المصابيح سيأتي عليها الدور وتطمس ، ويدوس على
الزرار ثم تسجل الآلة تلقائياً نقطة صحيحة أو خاطئة

وسرعان ما اكتشف شميت أن عدداً من هؤلاء الأفراد الذين حصلوا على نقاط
أعلى من المعتاد كانوا دائماً هم الذين يخلصون بالمستقل ، وقدم شميت عرضاً صحيحاً
لمرضية جيتروود شميدلر عن الأعمام والماعز فحصلت إحدى الفتيات الأمريكيات على
نتائج فوق المتوسط ، ولكن فتاة من أمريكا اللاتينية حصلت على نتائج أقل من
المتوسط كانت متميزة للغاية بقدراتها الحسابية الفائقة ، ولكنها استحدثت الاتجاه
السلي كانت هاتان الشخصيتان أيضاً قادرتين على إظهار التسلط الروحي أو سيطرة
العقل على المادة بأن وجها إثارة المصباح وإطفاءه وفق الإرادة ، وكان هدموت شميت
هو أول عالم يعرض حقيقة الحاسة الإدراكية الفائقة والتسلط الروحي في المعمل .

كان هذا التقدم العلمي مثير الإعجاب ، ولكن لم يعترف أي من اهتمام
بالبحوث الحسابية خلال السنين والسبعينيات بأن الملل أصبح يعذب عليه ، ومن
يحمسون ورق اللعب ومن يكتشفون الأرقام العشوائية قد يقدمون دليلاً مقنعاً عن
حقيقة الحاسة الإدراكية الفائقة أو المعرفة المسبقة ، ولكن من الصعب بالنسبة لمعظم
الناس أن يعملوا بأنفسهم في حالة توتر من الموضوع فلا يوجد بالنسبة ما كان في
دهس مايرر أو سير جويك عن السير في الليل على أن هناك على الأقل باحثاً واحداً
ظل يعمل بالأسلوب القديم هو دكتور كارليس أواريس المولود بمدينة ريجي لانفيا
عام ١٩١٧ واشتغل مع راين في جامعة ديوك في دراسة الحاسة الإدراكية الفائقة
والمعرفة المسبقة ، وذلك قبل أن يصبح مديراً لمؤسسة علم نفس الخوارق في نيويورك
فقد أعجب أواريس بوعية الرؤيا في فراش الموت التي قررها السير وليام باريت مثل
حالة مرس التي رأت أنها وأختها في الحجرة وهي تلفظ أسماء الأخيرة رغم
أنها لم تكن تعلم بموت أختها . ووصف تلك الحالة بأنها «قمة في حالات داربوس»
من الشطر الأخير من قصيدة كيتس السومرية ، وفي ذلك النوع من الرهبة والخلال
وجاءته فكرة متعلقة بتوزيع استبيان على الأطباء والمرصات يسألهم فيه عن
ملاحظاتهم على المرضى الذين يعانون سكرات الموت . وعاد إليه ستهاثة وأربعون

استبياناً تغطي أكثر من خمسة وثلاثين ألف حالة وفي عام ١٩٦١ نشر أواريس ملاحظاته في كتاب وملاحظات الأطباء والمرضى عن سكرات الموت.

ومن أهم ما اكتشفه أواريس أن الخوف شعور غير شائع عند سكرات الموت، لعدم الإرتياح والألم أكثر شيوعاً من الخوف، ولكن المدهش أن عدداً كبيراً من الموت الذين كانوا يرتفعون وقت الوفاة كانوا يصلون إلى حد السمو وبلوغ البصيرة وبلغت نسبة هذه الحالات واحداً من بين كل عشرين حالة وكانت البصيرة هنا هي رؤية السماوات ومشاهدة مدن جميلة أو أراض موعودة أو مأمولة. وهناك طفل في السادسة من عمره كان يعاني من شلل الأطفال رأى رهوراً وطيوراً معردة في لحظات موته. وكان معظم هؤلاء المرضى في كامل يقظتهم ووعيهم في درجة حرارة عادية يستعيدون ذكرى الحياة وإبداء مشاعر تعبر عن أشياء كما لو أنهم يقولون وأريد أن أعود إلى ما كنت فيه. ويتذكر أحد الأطباء تجربتين شخصيتين شهدهما بنفسه لحالات من الهلوسة قرب الموت. ويذكر أن ذلك قد يرجع إلى حاجة المح الملهة للأكسجين، فقد كان أقرب ما يكون إلى الموت غرقاً، كما تعرض كذلك لنقص الأكسجين حينما حمد جهاز تنفسه وهو بالطائرة وفي كلتا الحالتين شهد صوراً جميلة وشعر بسعادة عميقة، وكان يرفض العودة للحياة من الفرق. بيد أن بعض خبراء الطب الآخرين لم يوافقوه على ذلك، وأشار أواريس إلى أن الرؤى عالياً ما تحدث للمريض الكامل الوعي قبل أن يحدر إلى غيبوبة الموت بمدة طويلة.

يحافظ أواريس في تلخيص نتائج على الحرص الشديد، فيذكر أن باريت أخطأ في الاعتقاد بأن رؤية الإنسان للأقارب وهو في سكرات الموت تشتمل فقط على رؤية الأقارب الموق، فقد تبين أن ٥٢٪ من حالات الرؤية كانت لأقارب موق و ٢٨٪ لأقارب أحياء والعشرين في المائة الباقية رؤية لشخصيات دينية. بيد أن احصائية حالات الهلوسة التي قامت بها جمعية البحوث النفسية أظهرت أن هناك أساساً رأوا في حالتهم الصحية المعتادة بعض أقاربهم الأحياء نسبة تصل إلى ضعف رؤية أقاربهم الموق، ولذا يبدو أن غلبة هلوسة الأصوات، هي الظاهرة الحقيقية في حالات نهاية الحياة. وكرد على القائل بأن المرضى وهم في فراش الموت يكونون تحت تأثير حالات الحمى يذكر أن معظم رؤى الأقارب الموق تحدث للمرضى غير المتأثرين بحالة الحمى والذين لا يعانون من حالات مرضية ترجع إلى الهلوسة، والذين يكونون في

بقطة نامہ قادریں علی الإحابة الذکیة علی الأسئلہ لذلك فہی الخلاصة العامة التي وردت فی کتاب «ملاحظات الأطباء والمرضى عن المرضى علی فراش الموت» تؤید ما توصل إلیہ بارت من نتائج فی کتابہ «رؤی فراش الموت» وهي أن السین یعانون سكرات الموت عادة لا يشعرون بأي خوف وأہم عالماً ما یعتقدون أہم سوف یلاقون أقاربہم الموتی

ویصل أواریس من دراستہ ہدہ إلی خلاصة یدکر فیہا أن ملاحظاتہ فی حاجة إلی تحقیق مہما فی ضوء دراسات تتم فی إطار ثقافات أخرى ولقد أحد رمیلہ ایرلاندور ہارالدسون Erlandur Haraldson ہدہ الملاحظة وقام بدراسة مماثلة فی اہد وربما کان من المعقول أن تتوقع فی ثقافة أخرى لا تركز كثيراً علی الحياة بعد الموت أن یحد الرؤی فی سكرات الموت من نوع مختلف ولكن اكتشافات ہارلدسون كانت معایرة لذلك، فرؤی سكرات الموت عند اليهود مشابهة لحد کبر لرؤی سكرات الموت عند الأميركيین.

عالج کل من ہارالدسون وأواریس مشكلة الموت بطریقة معائمة تماماً ومستقلة عما كانت تأخذ بہ تحقیقات جمعية البحوث النفسانية. وتمت الدراسة الثانية خلال السنینات بروح الالتزام العمیق. فقد رارت الدكتورۃ الیرایت کوبلر روس Eli-zabeth Kobler - Ross معسكر الإعدام فی میدنیک Maidnek فی أواخر الحرب العالمیة الثانية، وأقامت معسکراً للاجئین علی ہر ہیستا فی بولندا، وهي الآن فی آمریکا متروحة من استاد الأعصاب فی جامعة شیکاغو. دهشت كثيراً لجلل الأميركيین إلی تجاهل الموت، والتظاهر بأنه أمر لا وجود لہ. وغالباً ما وجدت أن الأطباء یرفصون إدخال من ہم فی المراحل المتأخرة من المرض إلی عسائبرہم ولقییت عصباً عاماً حیثما دعت فتاة فی العشرین من عمرها علی أہة الموت بسرطان الدم إلی فصولها فی جامعة شیکاغو وشرت محلة لا یف مقالاً عن تجربتها فلقد أكد موت الفناء عام ۱۹۷۰ شعور الدكتورۃ کوبلر روس بأن مجتمعا الذي یمتکر الموت یحتاج إلی تعیر فی وجهة نظره.

كانت نظرتها لفكرة الحياة بعد الموت فی البداية نظرة شك، وكان کل اهتمامها بالمشاکل النفسیة المتعلقة بتقبل الموت، وأدت دراستها التي أحرقتها علی الدین یموتون إلی إقناعها تدريجاً بأن البقاء والتسلح حقیقتان ثابتان، كما تبین من ملاحظاتها

للمرؤى المصاحبة لسكرات الموت لدى الذين يموتون غالباً ما تكون رؤية أقرهم
الموتى لاحظت مثلاً أن الأطفال وهم يموتون يأملون أن يكونوا مع آبائهم وأمهاتهم
ويميلون في الحقيقة في لحظة موتهم إلى الأجداد الراحلين

أما عن نتائج دراستها التي صممتها في كتب مثل كتاب عن الموت ولحظات
الموت، وكتاب أسئلة وأجوبة عن الموت ولحظات الموت فلم يعرض فيها بطريقة مستبينة
مثل عرض أوداريس أو هارلدسون لنتائج لدراستهما، ولكن الإطار العام عندها كان
واضحاً بما فيه الكفاية، فهي تعتقد أن كل شخص يعلم وقت وفاته، وأن كل من يمر
بلحظات الموت سيقابله أقاربه الراحلون أو آخرون ممن يحبهم، كما أنها توصلت إلى
قول أن لحظات الموت هي قمة الحياة، وربما كانت أجل حرات الحياة. وهي مفتشة
تماماً بأن لكل إنسان أدلاء يراقبونه بصمة مستمرة، يمكن رؤيتهم في لحظات الصعوط
النفسانية. أما بالنسبة لعالم ما وراء الموت فقد قبلت نقطتين رئيسيتين تكرر ذكرهما في
كتب الروحانيات. إن الرمان في العالم الآخر يختلف عن الزمان الذي نعرفه، وأن
هناك محاسبة للميت فهو يحاسب ويعاقب نفسه.

أدت العاطفية الواضحة التي ميرت اليراييت كويلر روس في تناولها للموضوع
إلى اتهامها بأنها سمحت لمعتقداتها أن تعرض نفسها على مشاعرها. ربما كان ذلك
صحيحاً، ولكن الواضح أيضاً أن النتائج التي توصلت إليها تعتمد على دراسة مئات
الحالات وأنها أساساً متفقة مع آراء كل من ناريت وأواريس وهارلدسون.

لكن موضوع تجارب الاقتراب من الموت قد بدأت في أواخر الستينات لتجذب
أنظار عدد كبير من الباحثين الجادين، ومن بينهم إثنان هما راسل نويس Russel
Noyes وراي كليتي Ray Kletti اللذان عثرا على عمل قديم مهممل لأستاذ حيويولوجيا
من زيوريخ هو ألبرت هايم Albert Heim الذي مرت به تجربة اقتراب الموت حينما
كان يقود المجموعة التي تتسلق جبال الألب عام ١٨٧١ وأدت هبة ريح شديدة إلى
حلق قممته فحاول الإمساك بها ولكنه سقط سبعين قدماً على كتف جبل معطى
بالجليد، ولم يستغرق سقوطه أكثر من ثوان قليلة، ولكنه شعر أثناءها بأنها تمتد، ما
هو أكثر من ذلك بكثير:

أصبح نشاطي العقلي ضحماً للعابة، زادت سرعته مئات المرات... رأيت كل حياتي...
في صور كثيرة كما لو كانت على مسرح بعيد عني تحول كل شيء إلى صور كأنها مصبغة بصبغة

مساوي دون أي دهشة أو ألم كانت ذكريات التجارب المحزنة الأليمة التي مرت بي واضحة ولكنها لم تكن محزنة. لم أشعر بوجود أي صراع أو كراهيات، فالصراع تحول إلى حب وسادي فكري متسام مسوارن وسادت صور الأعداء العرقي وتسلط خلال روحي موسيقى رائعة مقدمة هادئة، وأصبحت محاصراً بسيارات ورفاء هيجة مع بعض صحابات نفسيه وردية رقيقة، انعمت فيها بعمومة وبلا ألم ورايت كأنني الآن أسقط حراً من خلال الهواء وأن من تحتي حقلاً من الخليلد معروشا لاستقبلي

اصطدم هايم فاقد الوعي في سقفته ولكنه لم يمت. وجعلته تجربة ذلك السوع من الشعور بالسلام الفائق إلى البدء في تجميع ملاحظات الناس في حوادث التسلق، ورغم أنه اكتشف بعد بحث دام عشرين عاماً أن ٩٥٪ من الصحابا قد مروا بشعور مثل شعوره، وكانت الخلاصة التي توصل إليها هايم أن من ماتوا نتيجة السقوط من الجبال مروا بنفس شعور الأمن والتسليم في النهاية.

بشر نوبز وكليتي ترجمة لملاحظات هايم، وأصاحبا إليها أبحاثها، وعمل خلاف البرايت كويلر روس لم يستطيعا قبول المعركة القائلة بأن مثل هذه التجربة تقدم دليلاً على النقاء بعد الموت. وكان كل ما توصلوا إليه هو أن الرجل واحد الموت، وأن تجربة فقدان الشخصية التي تعتبر نوعاً من الدفاع السيكلوجي ضد الموت قد مرت به، وكانت النتيجة نوعاً من خشية الموت التي تهدف إلى تسهيل الموت ذاته. أما عن الشعور برؤية كل حياة الإنسان فيبدو أنها ظاهرة مشتركة في كل تلك التحارب، ويقتبس ليال واتسون Layall Watson ما ذكره ساح هوائي سقط من ارتفاع ثلاثة آلاف قدم "كل حياتي السابقة ظهرت أمام عيني في ومضة سريعة. رأيت وجه أمي وكل الليوت التي سكنها والأكاديمية العسكرية التي التحقت بها، ووجوه الأصدقاء وكل شيء". والحقيقة أنه سقط هادئاً وأصيب فقط بجروح في أنفه. ويتضح من كل هذه التحارب عن الذكريات أثناء التواجد في الأعالي اشتراكها جميعاً في نوعية التذاعيات التي اكتشفها وايلور بفيلر حينما لمس العشاء المخي بمختبر كهربائي أثناء عملية جراحية لشخص مصاب بالصراع فأخرجت ذكريات الطفولة.

وحينما كانت البرايت كويلر في بداية بحوثها حول تجارب الموت خلال المستشفيات كان هناك شاب من طلاب الفلسفة في جامعة فريشيا يدعى رايموند مودي يبدأ هو الآخر جمع حكايات عن تجارب لحظات الموت، وكان من بين من أثاروا

اهتمامه بالموضوع الدكتور جورج ريتشي من فرجيا أيضاً، يبدو أنه مات وهو جدي صغير وعدد إلى الحياة. ففي ديسمبر سنة ١٩٤٣ كان ريتشي في مستشفى تكساس يعالج من إصابة في جهازه التنفسي، وأخذ يصف الدماء حتى فقد الوعي وحيثما سيقظ رأى جسمه مستلقاً على الفراش ورأى في المراية يمر عليه، وربت على كتف رجل أمهله ومضى ثم مر ريتشي بشيء يشبه الوحي الديني، أرداد الصبيء في الحجرة كما لو أن ألف مصباح قد أضيء ورأى شكلاً سطر إليه وتعرف على أنه هو المسيح، وبعد جولة في مدينة كبيرة رأى فيها شائع الخطايا استيقظ ريتشي في داخل جسده مقتنعاً تماماً أنه مات. وأصر كعبيره ممن ظنوا أنهم كانوا على حافة الموت أن الأمر لم يكن حُلماً بل بدا وكأنه حقيقة واقعة

واستمر مودي يجمع خبرات عن لحظات الموت لمدة عشر عاماً وهو لا يعلم أن غيره يقوم بالعمل نفسه، ولم يكن آنذاك قد سمع عن مسز اليزابيث كويلر روس. وقد اقتنع أثناء تدريسه الفلسفة لمدة ثلاثة أعوام أن استطاعته أن يكون طبيباً وحصل على درجة علمية في الطب، وجمع خلال السنين نحو مائة وخمسين حالة من حالات لحظات الموت، وأدهشه التشابه الأساسي بينها، وكتب كتاباً قصيراً عن ذلك أسماه «الحياة بعد الموت»، وحيثما أرسل الناصر المسودات إلى اليزابيث كويلر روس علقت عليه قائلة بأنها ربما كتبت هي نفسها نفس هذا الكتاب وظهر كتاب «الحياة بعد الموت» عام ١٩٧٧ وأصبح من أكثر الكتب انتشاراً

من المؤكد أن التشابه واضح، فهناك أولاً الشعور بالأمان والسعادة التي وصفها هايم والفنس برتراند وكثيرون غيرهما. وهناك تجربة أخرى تكرر ظهورها مرة بعد أخرى وهي الشعور بالتحرك في داخل نفق مظلم يكون الدور عادة في آخره، «كنت أتحرك من خلال ذلك المكان المظلم الطويل، قد تظن أن في ذلك تكهنات، وكان يبدو كأنه مأسورة صرف كبيرة «وما شابه ذلك» وكان يبدو اسطوان الشكل»، «ودخلت برأسي أولاً في عمق صيق مظلم للغاية»، «فجأة وجدت نفسي داخل واد عميق حاية في الإظلام».

وفي حالة بعد حالة من تلك يشرح الشخص من النفق ليحدد نفسه سطر إلى جسده (هناك حالات كثيرة بدأت التجربة فيها بالتواجد خارج الجسد) والشاب الذي كاد يعرق تماماً رأى جسده «في الماء على بعد ثلاثة أو أربعة أقدام يرتفع متماوياً ويصمغ»

«رأيت حسدي من الخلف مائلاً قليلاً إلى الخائب الأيمن»، وامرأة ماتت مصطراً في القلب شعرت بنفسها كما قالت.

انزلت إلى أسفل بين الحشيش، والقصب الذي على جانب العراش، في الواقع كنت كاسي أحرق من حلال القصب إلى أسفل إلى الأرض، ثم بدأت أرتفع إلى أعلى ببطء، وفي طريقي إلى أعلى رأيت كثيراً من الممرسات يدخلن الحجرة، ثم توقفت معلقة في الهواء تحت السقف أنظر إلى أسفل.

لتقارن هذا بالخالة التي وصفتها كوسر بوس وفيها وصلت امرأة في عرفة العناية المركزة إلى مرحلة حرجية، واندفعت الممرسة إلى خارج الحجرة تطلب المعون.

وأنداك شعرت تلك المرأة بأنها معلقة في الهواء خارج جسدها وفي الواقع قالت إنها استطاعت أن تنظر إلى أسفل فتري مقدار شعوب وجهها، ولكنها في نفس الوقت كانت تشعر بشعور رائع للعبية، كانت مليئة بشعور عظيم من الأمان والارتياح.

الشيء نفسه تكرر وصفه في موضوعات مودي عن التواجد خارج الجسد المصحوب بالإحساس بعيم اللازمان وهناك ظاهرة أخرى متكررة هي إدراك الجسد الحديده الذي يتحد نفس شكل الجسد الطبيعي الذي يحرقه الإنسان، فعلى ما يدرك المرصى وجود هذا الجسد الحديده حينما يتحققون من أنهم خرجوا من الجسم القديم، وعالياً ما يكون ذلك بمحاولة الاتصال بأناس آخرين، «حاولت أن أتكلم معهم، ولكن لم يسمعي أحد، ولم يصع أحد لحديثي»، «قد يمضون مسوراً بـ»، «وتتسامى الخواص الطبيعية في أغلب الأحيان»، ولذا فإن السمع والبصر يصبحان أقوى وأحد من السمع والبصر في الجسد الطبيعي، ولكن الاستماع للأصوات إنما يكون شكلاً من أشكال التحاطر، أو انتقال الأفكار (وهذه أيضاً ظاهرة قد نجدتها في السجلات التي تتضمن تجارب سكرات الموت أو ما بعد الموت منذ بداية البحوث النفسية، فالاتصالات كلها تصبح تخاطرية)، وعالياً ما يكون هناك شعور بوحشة الوحدة، ولكن يحدث ذلك عادة حينما يصبح الشخص الميت أحياناً مدركاً لآخرين مثله من أناس ماتوا سواء أقارب أو أصدقاء، وأحياناً يكون كياناً أو روحاً يعتقد أنها من الملائكة الحراس ولقد تحدث أحد الرجال بواسطة روح من تلك الأرواح: «إنني ساعدتك أثناء هذه المرحلة من مراحل وجودك، ولكي الآن سأسلمك لآخرين». ومن أكثر التجارب شيوعاً رؤية الأنوار الساطعة التي تشبه آلاف المصابيح المضيئة كما وصفها جورج ريتشي، والتي يبدو أنها تشع إحساساً بالحب والدفء، والمفهوم أن

المسيحيين يميلون إلى اعتقاد ذلك المسيح . وهناك شعور مباشر بالانصال التحاطري دون استخدام لغة . «كما لو أنني كنت أتكلم مع شخص آخر، ولكن ذلك الشخص غير موجود»، وقد يوجه النور اسئلة للتعرف بها على أفعال الشخص في حياته، ولقد وجد مودي أن هذه الأسئلة غالباً ما تعقها «تداعيات» أو سيل من الذكريات يسرجع فيها الشخص ما مضى من حياته .

وعالماً ما يكون هناك شعور سوع من الحدود أو القيود التي تتكون من الماء ساحل بعيد أو ضباب كثيف أو أي شيء آخر من هذا القبيل . ويحس الشخص أحياناً بفتنة بأنه إذا ما مر من تلك الحدود فإنه يموت موتاً دائماً . وإلى أن يمر الإنسان يكون له الخيار في أن يعود إلى الحسد، وحيث أن كل من استحوهم مودي قد عادوا من تجربة سكرة الموت فقد استمع إلى كثير من الصيغ التي تعرض عن كيفية العودة إلى الحسد، منها «سقطت مباشرة عائداً إلى جسدي، والشيء الذي أدركته من فوري بعد ذلك هو أنني في جسدي مرة أخرى» . «كانت أشبه ما تكون بشمعة بطيئة فأحسست وكأنني مشدود نحو مكان ضيق في شيء أشبه ما يكون بالقمع عن ما أظن» . ولكن عالوية الناس يعيقون فيحدثون أنفسهم وقد عادوا إلى الحياة

وفي كتاب ظهر بعد ذلك عن بحوث أخرى (انطباعات عن الحياة بعد الموت) ذكر مودي ملاحظاته عن بعض العوامل الهامة الأخرى لتجربة سكرة الموت، حيث كان هناك الكثير من اللمحات عن عالم سهاوي وعبارات مثل «مدينة من نور» تتكرر كثيراً وهناك تجربة سهاوي مودي «رؤية المعرفة» وهي ومضة من البصيرة الباطنية التي تتعمق في طبيعة الكون:

لدى لحظة واحدة عرفت كل أسرار المصور، كل معاني الكون، الحجوم والقمر وكل شيء، كل تلك المعارف العزبة تفتحت أمامي، وظهر الأمر وكأنني أتلقى الخبر بأنني سوف أنقذ مريضاً مدة قصيره وأني أنقذ بداءات هزينة متعددة وفعلاً سمعت بداءات عديدة من قريب بعد ذلك . قيل لي إن بعضها سوف يمحى كل المعارف التي عرفت بها من قبل . وأني قد صحت أسرار الكون وأن من وحيي أن استغرق وقتاً لبيان تلك المعلومات، ولكني أذكر أنني كنت تلك المرة أعلم كل شيء

وسؤال الرجل عن كيفية تقديم تلك المعلومات له، تلقى مودي الإجابة التالية «كانت كلها في شكل اتصالات ومناظر وأصوات وأفكار، كما لو لم يكن هناك شيء غير معروف . كانت المعلومات كلها موجودة، لم تقتصر على مجال واحد بل اشتملت على كل شيء» وسأله مودي قائلاً: «هناك ما مذهشي، قصيت عمري كله

أطلب العلم وأتعلم، فإذا كان هناك هذا النوع من المعرفة إذن فلا معنى لما أفعله! وكانت إجابة الرجل:

لا! ستحتاج إلى طلب العلم حتى بعد أن تعود إلى هنا، وأنا شخصياً ما رلت أطلب العلم، من الغاء أن يحاول الحصول على الإجابة هنا. لقد عمري نوع من الشعور كأن ذلك كان جرمًا من ههنا، ولكن لم يكن الأمر خاصاً بشخص واحد، إنما كان لاستخدامه لكل الشر، فإنا دائماً نحاول أن نقدم العون للآخرين بما نتعلم.

دهش مودي من هذا الاتجاه نحو نسيان هذه المعارف العادية قبل العودة للحياة، وتذكر حكاية أفلاطون التي وردت في كتاب «الجمهورية» عن جدي «سمة» وأير، سمح له بأن يعود إلى الحياة بعد الموت. ويصف أير كيف أن الأرواح التي سمح لها بالعودة إلى الأرض كان عليها أولاً وقبل كل شيء أن تشرب من مياه نهر السيان، ومن لم ينفذ منها «طوعاً» شرب أكثر. وموضوع أير هذا مشابه لكثير من موضوعات مودي الأخرى. فلم يكن لدى أير أي فكرة عن كيفية العودة إلى الأرض. فهو ببساطة استيقظ أو أفاق فوجد نفسه ملقى في المكان الذي حرق فيه جثته. ومن الواضح أن ما استرعى اهتمام مودي من كل ذلك هو مسألة حد السيان الذي يبدو أنه يفصل بين عالمنا الحاضر والعالم الآخر، وبالتالي كان اهتمامه بمسألة كيفية هروب بعض الناس من النسيان الكلي.

ومن الموضوعات الأخرى التي تناولها مودي بالوصف أيضاً «الخبرات المعرفية للإنسان» وهي تشبه المدرسة وفي ذلك يقول: «كانت حقيقية، كانت مثل المدرسة، ولم يكن هناك أحد فيها ومع ذلك فقد تواجد الكثير من الناس فيها وقد تشعر بذلك وتترك وجود آخرين من حولك». وقارن مودي هذا مع تعليقات رجل آخر حو تجربة سكرات الموت حيث شعر بأنه تواجد في داخل ما أسماه «مكتبات» و«معاهد للتعليم العالي»، ويتفق هذا تماماً مع ذلك حيث يقول:

هذا هو المكان الذي توحد به المعلومات إنه أشبه ما يكون بتركيز كل العقل على شيء واحد في المدرسة، وتكبيره فتدقق المعارف عليك من ذلك المكان تلقائياً، به نمداً كما لو كنت تتم الدراسات بسرعة أكثر من السرعة المعتادة بعشرات المرات» وقالت له امرأة أخرى «كنت وكأنني أعرف الأشياء كلها، اعتقدت أن كل ما أريد معرفته أستطيع تحصيله».

لكل ذلك أهميته لأنه كما يبدو يرد على اعراض أساسي على فكرة اللقاء بعد الموت ممثلة في التعاهات الظاهرة التي تحل الشغل الشاغل للمتصلين فلو أننا استيقظنا في العالم الآخر نفس الوعي الذي كان لنا في هذا العالم فينتصح لنا أن الأمر لا يستحق أن نموت، فمعظمنا يدرك إدراكاً عائماً أنه لا بأس بوعنة وعيا بالحياة اليومية، إذ أن الوعي يدخلنا في مشكلات ومساائل نعلم أنها غير ذات أهمية، ومع ذلك فإنها تثبت في أذهاننا مثل النعم المفلو. وإذا ما جربنا فترة تنصاعد السعادة أو تزداد حيوية فإن كل المشاكل سوف تذهب أدراج الرياح. لذلك إذا ما كان الموت حسب إجماع رأي معظم الروحانيين، نوعاً من النطور، إذ يكون لدينا نوع من التوقعات العامة بأنه ينضم نوعاً من الحيوية المتسامية «بنظرة شمولية من عل» على كل ما تهدف إليه الحياة كلها، وهو تحقيق حرية أعظم. ويبدو أن جو الخلسات كان بمثابة التفهات المقلقة «إنسانية، إنسانية للغاية». وحتى لو زعم المتصلون أنهم موسيقيون أو كتاب كبار - كما في حالة المصابة الفسائية رور ماري براون - فإن ما يقدمونه لنا يبدو أقل بكثير من المستوى المطلوب. وهو الشيء الذي قد ينتهي إلى سلال المهملات على الأرض.

ويبدو أن شخصيات مودي التي مارست «مشاهدة المعلومات» قد وصلوا بنا إلى نقطة هامة، وهي أن الحياة بعد الموت ليست استمراراً للحياة الأرضية نفس مستواها. بل إن مودي يؤكد أنهم عالياً ما كانوا يقولون في وصفها مثل «من المستحيل وصفها» أو يقولون «إن الكلمات التي استخدمها مختلفة لأنها ليست بالكلمات المعبرة». «وقد تكون تلك الشخصيات بمثابة رد على اعتراضات رودلف شتير «بأن الروحانيين هم أكثر الماديين مادية» هذا، وتؤدي بنا ملاحظات كولبروس ومودي وغيرها إلى إدراك حقيقة أننا لو درسنا حكايات الحياة بعد الموت فسوف نذكر أنفسنا دوماً بالفاصل اللعوي، أو بالأحرى بمشكلة محاولة ترجمة وتفسير الإدراكات الجديدة بكلمات مرتبطة في عقولنا بمعان محددة. ويكون مفهوم الحقيقة عندما معقفاً ومحدداً في نطاق اللغة. وتبدو معظم حكايات الحياة بعد الموت متفقة على أن اللغة أصبحت غير ضرورية للتعبير

في الحقيقه كان لكتاب مودي تأثيره في خلق صناعة أكاديمية جديدة تدرس تجارب سكرة الموت. ولقد قام البروفيسور كينيث رينج Kenneth Ring أستاذ علم

النفس في جامعه كونيكت بمحاولة حصر أكثر مسغبة في هدفها مما قام به مودي إذ لاحظ أن مودي لا يحاول تقديم الأدلة العلمية عن تجارب سكرات الموت، مما يال بموضوع الحياة بعد الموت وفي سنة ١٩٧٧ ظهر كتاب «الحياة فيما بعد الموت» حيث بدأ أريج يعالج هذه الظاهرة العربية الخلوث بمتابعة ومؤال مجموعات من الناس الذين اقترنوا من خافة الموت، ودراسة نتائجها دراسة إحصائية جاء ما توصل إليه ريج بكل أبعاده مؤكداً لما توصل إليه مودي، وبمس الشيء فعله باحثون آخرون مثل ميشيل ساسوم Michell Sabom، وأديث فروري Edith Frore وموريس روليجر Maurice Raulinger ومارجوت جراي Margot Grey فقامت أديث فروري (في كتابها «كنت هـا من قبل») تلخيص حكايات أكثر من مائة حالة من تجارب سكرات الموت، ونعطيك قراءة هذه الكتب انطاعاً عيبراً بأنك تقرا نفس الشيء متكرراً في كل منها، ولكن هذا التكرار يعيدنا إلى أن حالات مودي لم تكن في الحقيقة عينة عشوائية ولكن تم اختيارها لأنها متعة مع ما يعمله عاطفياً. وتكرر بصفة مستمرة اكتشافات النفس في حالة «التجرد من الحسد» والمرور من خلال شيء يشبه النفق في هـايته نور، وشعورنا بالاتصال بكائن أو كائنات حيرة، ثم قام بنوع من المراجعة أو الاسترجاع، أو تجربة الحد العاصل بين الحياة والموت، وأخيراً تجربة العودة إلى الحياة (وهي ما يعتبرها مودي «قلب التجربة»).

ولقد تكررت الإشارة إلى أن هذا كله لا يثبت شيئاً، ويعر جيمس الكوك James Alkoch على اعتراضه في كتابه «المحقق المتشكك»^(١) بقوله

أما لا أجادل في فلسفة الناس أو دراساتهم اللاهوتية، ولكن المفلق حقاً هو حاجة هؤلاء الناس إلى الشعور بمحاولة تقديم أدلة موضوعية لتأييد عقائدهم، ومحاولتهم حذاع عامة الناس بمراعمهم إهم يتوخون الدقة العلمية البالغة، فتعتمد بحوث النقاء بعد الموت على الاعتقاد في اليبانات التي يحشونها أكثر من اعتماد تلك البحوث على الاستمساك بتفسيرها وهكذا فهي تعبير فردي وجماعي عن الخزع من الموت.

(١) Spring 1979 Quoted by Wilham R. Corlies, The Unfathomed Mind A klandlook of unusual Mental phenomena, 1938. P. 584

ويعتبر هذا اعتراضاً معقولاً، ولكن يبدو أيضاً أنه تجاوز الحقيقة «بأن العلم يعتمد على ملاحظة تكرار الظاهرة، ونجاهل شيئاً يكرره آلاف الملاحظين وقد يكون في هذا تناقص مع الاتجاه العلمي ولقد كان كل من كولبروس ومودي وريش وغيرهما أول من سلّموا بأن ملاحظات تجارب سكرات الموت لا تؤكد شيئاً قاطعاً عن الحياة بعد الموت وبطراً لأن هؤلاء الباحثين لا ينتمون بالدلائل لأحرى على البقاء وهو نوع الدليل الذي يحاول حصره في هذا الكتاب - فلم يحاولوا مناقشة الحجاب المطلق لحالة الحياة بعد الموت، ولكن ريش في الفصل الأخير من كتابه تشجع «وحلج معظم المحترفين الألبس ووصف معتقداتي بما تستحق»، وبعد أن أكد أن حشرات سكرات الموت لا تثبت شيئاً عن البقاء، واصل حديثه قائلاً:

أعتقد اعتقاداً حارماً، ولكن ليس على أساس بيانات أو خبرتي عن تجارب سكرات الموت، بأنها سوف تستمر في الوعي بالوجود بعد الموت الطبيعي وأن لب التجربة ليس هو مديتها، بل هو محبة عن الأشياء التي سوف تأتي. ويواصل كلامه قائلاً:

إن فهمي الخاص لتجارب سكرات الموت يؤدي بي إلى اعتبار تلك التجارب بمثابة «تعليمات» فهي كما تبدو لتجارب إلهامية، ومن الواضح أنها تعني وجود شيء أكثر من ذلك شيء متجاوز للعلم الطبيعي للحوس كل من يحاول بدل أي جهد لتعريف نفسه بطبيعة ونتائج التجارب الباطنية الأصدية والتجارب الدبية سرعان ما يصبح مقسماً بأن لب التجربة هو بذاته جبراً من ذلك المجموع الكبير لماذا تحدث مثل هذه التجارب؟ لدي تصور واحد لإجابة أقدمها، وإن كنت أعترف بأنها قد لا تبدو فقط حرة بل وواهمة عن طول الخط أيضاً تولت إلى الاعتراف بأن هلك طرقاً عديدة لعبور وسائل لكون، فهو من ناحية يريد لنا أن يستيقظ حتى يصح واعين بالأبعاد الكونية للدراما التي يعتبر جزءاً منها وتثل تجارب سكرات الموت إحدى وسائل الكون لإيقاظنا على ذلك الواقع

ويمكنك إبراز النقطة التي يتناولها ريش باقتباس فقرة من كتاب عن البحوث الحديثة في التجارب الباطنية، وهو كتاب «اتصال النعمة» تأليف نونا كوكسهد Nona Coxhead فهي تذكر حالة إحصائية العلاج النفسي ويسلي روزسل التي وقعت لها لتجربة بينما كانت تشتغل في حديقة منزلها في أحد أيام الخريف

في ذلك اليوم بالدات شعرت بأنني عازر من إطار عقلي من التأمل الشديد، وأذكر أنني أصبحت شديدة سومي بكل ما حولي من أصوات الطيور المعردة وحيث أوراق الشجر والسيه بداعت بشرى وعبير الزهور والخشائش وأصاتي دفعة شديدة جعلني أسقط مسنقة على وجهي فوق الخشائش وما أن فعلت ذلك حتى شعرت وكأن طاقة تنسب في داخلي وكما لو أنني أصبحت حراً من الأرض التي من تحتي، وبدأ لي وكأن الحدود بين ذاتي الطبيعية وما يحيط بي من أشياء قد تلاشي تماماً، وتلاشي معه شعوري بالانفصال وبصوره عرية شعرت بقوياني في وحدة شامسة مع الأرض

كما لو أنني صنعت من مادي كنت أدرك ورقات الحشائش في كفي وبين أصابعي وكانت تنسج
وجهي، وعمرتي قوة معينة يبدو أنها تعلقت في كل حيط من نسج وجودي.

ثم شعرت كأنني فعلة أصح أحيا لأول مرة. كما لو أنني استعصت من نوم طويـل في معـه
الحقيقي، وأذكر أنني شعرت بأن الحجاب قد أراح عن عيني وأصبح كل شيء في بؤرة نظري
تحفقت من أنني كنت محاطة بقوة حب بيحة، وأن كل شيء حي أو غير حي متربط برباط معد لا
يعصم يتكون من الوعي الذي لا يستطيع أن اسمه بالكلمات.

ورغم أن هذه التجربة لم تستمر لأكثر من نصف دقائق فقد مدت وكأنها هبة، كما لو أنني في
نوع من نوع الزمن في حالة سمردية من الفهم

هكذا نجد أن العبارة تلو العبارة تردد صدى ما قاله ربيع عن تجربة سكرة
الموت: شعور باليقظة لأول مرة، وإحساس بالاتحاد مع الأرض والكون، وطاقة مليئة
بالحب، وانطباع بتعطيل الزمان.

ويمكننا أن نلاحظ أن ما شرحناه إلى حد ما هو «تجارب الشطر الأيمن من المح».
إن استحواذ الشطر الأيسر على الحاضر وعلى الوجود يجمعا محصورين في عالم من
الأشياء المباشرة والتافهة كما لو أننا محاطون بحائط رقيق من الزجاج العابر للصوت،
وبما سترحي في داخل الشطر الأيمن من المح تترشح الحوائط الزجاجية بصمت
ويحد أنفسنا فجأة على اتصال بالعالم الحقيقي، ونعني عادة التسارع ليومي. وتتوقف
الساعة عن الدق المستمر، ويحل محلها شعور بالطواف اللارماني

وهناك نقطة أخرى هامة يجب ملاحظتها فهي الوعي المعادي لري أنفسنا
كمتمرحجين على العالم من حولنا كما لو أننا مشاهد فيلماً وفي حيرة لشطر الأيمن من
المح ما زال هناك مشاهد، ولكننا نتوقف عن تشبه أنفسنا له ويكون شعورنا بأن
المشاهد ليس هو الذات، والذات العميقة فيك تشمر بالاسترخاء والحياة الكاملة
لذلك فهناك شعور بأنك شخصان في وقت واحد، أو كما قل ري سرات عن تجربته
التبعية التراحعية كمشاهد برنامج تليفزيوني تؤدي فيه دورك في نفس الوقت

سد أن الإدراك الرئيسي من هذه التجارب هو أنها كانت إلى حد ما أكثر واقعية
من كونها تجارب عادية، فمن في حقيقة الأمر يرقب العالم بشيء أقرب ما يكون شيئاً
«بكل كيان» بدلاً من أن يكون جزءاً صغيراً منه، لذلك فمحاوله رفض التجربة
السطحية من جانب واحد كما فعل برتراند راسل في العيسيات والمنطق يعتبر من الناحية
العلمية أمراً معتقراً إلى الدقة. ومن الناحية السيكلوجية نجد أن تجارب الشطر الأيمن

من الملح أكمل من تجارب الشطر الأسر إن ما يراه الشاعر في لحظات بصيرته هو بأدق تعبير وأكثره علمية أكثر صدقاً مما يراه حينما يحري ليلحق بالخافلة أو حينما يخلق دقه، تماماً كما تكون الرؤية بالعين أصدق من الرؤية بعين واحدة فقط

كنتيجة طبيعية يستلزم ذلك أن تكون البصيرة في عمق التجربة أيضاً أصدق أو أقرب إلى الواقع من عالم الإدراك العادي. وتتضمن نقد جيمس الكوك James Alcock لدراسات سكراي الموت أن هذه الدراسات نيت على تفكير راعب عائم، وتتعارض الشهادات التي أدلى بها من خبروا تجربة سكرة الموت مع هذا، فهم يصرون على أن تجربة ليست مثل الحلم بل هي أكثر واقعية من حبرات الحياة اليومية. وما ران ممكناً بالطبع الرعم بأن تجارب سكرات الموت هي نوع من وهم الملح أو خداعه، ولكن إذا أحدهاها من ناحية صلتها بالدلائل الأخرى للقاء فيسندو غالباً أنها لمحات أصيلة من نوع الوعي المنفصل عن الحسد.

ويرى مارجوت حراي مؤسس الجمعية الدولية لدراسات سكرات الموت في بريطانيا أن هناك صلة وثيقة بين تجارب سكرة الموت والبصيرة الباطنية. ورد ذلك في فقرة من كتاب «الصلة بالبعيم» تصف كيف أن اهتمامها بتجارب سكرات الموت بدأت ببصيرة شخصية عام 1976، كانت في الهند وأصبحت بحمى استمرت ثلاثة أسابيع وبلغت حافة الموت.

عد مرحلة معينة من عملية الدحول في الوعي والخروج منه أصبحت أدرك أن لو دفعت نفسي لارتفعت عن جسدي وبقيت في حالة من التسامي عند السقف في ركن المحبرة وفي وقت من الأوقات بدا الأمر طبعياً جداً وأحسست باستمتاع بالغ وحرية كاملة وأذكر أنني نظرت إلى جسمي مستيقاً على الفراش، ولم أكن قلقة لكوني في سبيل إلى الموت في بلد غريب ونكي كنت أعتقد بأن ذلك عبرني أهمية حيث بركت جسمي الذي شعر بأنه خدمي كذلك مثل معظم قديم عزيز علي انتهى عمره أخيراً ولا أريد أن أخلص منه.

وتصف شعور الطواف في ظلمة كاملة، وشعور التواجد في مكان لا نهائي فتقول:

فيما بعد بدا الأمر وكأنني مسافرة في داخل بقع لا نهاية له، أرى في جانبه بصيصاً من ضوء، وكأنني أتحرك في داخل هذا البصر. وأذكر أنني كنت أعرف تماماً أنني بالفعل في داخل شيء وسي سوف أخرج منه إلى الضوء الذي كان أشبه ما يكون بصوه نجم إحساس بالتسامي مصحوب بشعور، بالاقتراب الشديد من مصدر الحياة والمحبة الذي بدا لي شيئاً واحداً

كانت نتيجة هذه التحرية «إعادة ميلاد عقلي» «قزاي العقلية مدت بمتدة وقد صميت وامتلات نوعي جديد، وقررت أن أدرس هذه الظاهرة التي مرت بي كي أحاول التعرف على ما جرته أساساً آخرون حينما كانوا على أهبة الموت» كانت دراسات كل من رشح ومودي تحت يدها وبدأت بحوثها الخاصة عن مخارج حافة الموت وهي في انحلالها وحينما قرأ رشح مسودة كتابها «العودة من الموت» شعر كما شعرت اليراييت كوبلر روس وكأنه يقرأ في كتاب مودي عن «الحياة بعد الحياة» دون أن يدرك حقيقة أنها كتاب نفس الموضوع»^(١) وقد وصل كل منهما مستقلاً عن الآخر إلى نفس النتائج، وهي أن الأهمية الحقيقية لتجربة حافة الموت هي تأثيرها على من وقعت له فيما بعد وفي تعليقها على كتابها كتبت مارجوت حراي تقول

بدأت الرؤية العاكسة لطبيعة الكون وكتابها تمسحاً بأصل أساس لتفهم مخارج حافة الموت، بيد أن الاتصال العام بين كل من علقوا على هذه الفكرة هو أن الأمر سيسغرق وقتاً مثل أن يبدأ شعورهم بالراحة على درجته من الواقعية أكثر مما في مظهريات العالم، ويسدو في التحليل النهائي أن ما أكدته العييات لدى آلاف السنين - حينما ذكرت أن مدخل الاتصال بواقع الأرواح يصبح ممكناً حينما يتحرر الوعي من الحسد الذي يحس فيه - وما دام الشخص مرتبطاً بحسده وإدراكه بحسبه فلا يمكن بلواقع الروحاني أبدأ حتى في أحسن حالاته أن يكون أكثر من به، عقلي، لأن ذلك لا يحدث إلا إذا اتصل الإنسان بعالم ما وراء الموت الذي قد يلتمسه الإنسان مباشرة

وقد يكون من الخطأ الرعم بأن ما تقوله مارجوت حراي هو ما يمكن أن يستحسسه من الموت وهي توصح في الجزء الأخير من كتابها أنها تشعر بالأهمية الحقيقية لتأثير تجربة حافة الموت على من مروا بها. فبدأت مرة قالت مدام بلافسكي إنه رغم أن واقعيتنا الأرضية هي أصلب وأصعب العوالم كلها وهي تهيء لنا أيضاً فرصاً أكثر وهذا أيضاً حيط يمتدّ خلال عالم الميبيات. قالت: إن السطرة إلى الحياة الطبيعية عن الأرض ليست موعاً من مكان التطهير الذي يحتمله بصر حتى هرب منه إلى عالم أسمي، وهي نوع من القرصة التي تتاح مرة واحدة إن المشكلة الرئيسية للبشر هي «الحياة في حدود الحاضر» التي نقيا في حالة مرنة باليوم أو العشيبة التوحيمة التي لا يتحقق بها أي شيء كان لعدم وجود أي فكرة عما يجب أن يفعل. ويسدو أن كلا من التجربة العيية وبجربة اللب تأتيان إلى الصيرة بلمحة عن موضوعها، وتلك هي

(١) أسكر مارجوت حراي لإعازي بعض أصول مسودات كتابها ومقدمة كيبث ريج التي وصفتها للكتاب

لنصيره التي تتكون بوصفها لدى معظم من يكتسبون عن تجربة حافة الموت والتي يذكرها مارجوت حراي شيء من التركيز الذي تتفوق به على الآخرين

ويمكن القول إذن بأن دراسة تجارب حافة الموت هي أهم تعمق في البحوث النفسية منذ إنشاء جمعية البحوث النفسية منذ زمن مضى أما بالنسبة للاعتراض بعدم وجود علاقة بين تجربة حافة الموت والبحاث النفسية فيمكن الرد على ذلك بأنه يبدو أن هناك علاقة كبيرة بينهما، فإن جمعية البحوث النفسية ترجع أصلها إلى فكره طرأت في ذهن مايرر وهو يتمنى مع سير جويك فسأله.

هي إذا كان يعتقد في حالة فشل التعاليد والحدس واليتافيريقا في حل لعز انكون فهل ما ريت هناك فرصة من خلال أي ظاهره فاشلة للملاحظة من أشاح وأرواح أو أي شيء من هذا القبيل أن يصل إلى معلومات مقبولة عن العالم غير المرئي

قامت جمعية البحوث النفسية في مثابرة مذهشة بعمل ملفات عن اهلوسة والصور لذهنية للأحياء والهلوسة البصرية للأموات، وتجارب التواجد خارج الجسد، والمعرفة المسبقة، وطواهر جلسات التوسيم وتحول بعض المشككين مثل هابسبوت ولودج وباريت وكومان دوبيي بالتدريج إلى الاعتقاد في البقاء بعد الحياة، ومع ذلك فلم تكن هناك أي حالة مقنعة تماماً بحيث يمكن استخدامها لمواجهة المشككين ويبدو أن حالة اهلوسة البصرية التي حدثت لصمويل بول هي أحسن حالة يمكن الأخذ بها، إلا أنها حدثت قبل أن تظهر الجمعية وتعتبر المراسلات المتداخلة حالة ثالثة من حالات البقاء، ولكنها طويلة ومعقدة لدرجة جعلت المشككين لا يصيرون وقتهم في بحثها وقد أدى كتاب «الحياة فيما وراء الموت» من تأليف درايتون توماس إلى اقناع لقراء غير المتعصبين ضد الفكرة بأن والده وشقيقه اتصل به بعد الموت ولكن وصف «العالم الآخر» بقي عتبة كأداء يصعب الاقتناع الكامل به، ولذلك فإن جمعية البحوث النفسية تعتبر فاشلة في حل لعز الكون، فإنها قدمت كميات ضخمة من البيانات ولكنها لم تستطع أن تقدم التصورات.

ولقد عبرت دراسة تجارب حافة الموت من كل ذلك، فمن وجهة النظر العلمية ربما يكون من غير المناسب أن يصبح كتاب «الحياة بعد الحياة» هو أكثر الكتب تشاراً، بيد أن ذلك يعني أن شكلاً من أشكال البحوث النفسية قد أدى إلى خلق ديث سرح

من التأثير العام الواسع الانتشار الذي كان يحلم به مؤسسو جمعية البحوث النفسية فضلاً عن ذلك فإن تجارب حافة الموت ليست بالتجارب النادرة مثلها في ذلك مثل طواهر الأشباح المرعبة، وهي ليست بموضوع التخصص الذي يمكن أن يدرس وحده كاحتياز حالة، لأن معظم الناس لهم أفارب عن مروا بتجربة حافة الموت واستطاعوا التأكد من عنصر رئيسي من جوهر التجربة فهي اليوم الذي بدأت فيه تحرير الكتاب فالت روحه أحد أصدقائي أثناء برهة بعد الظهر، وذكرت لها أنني أكتب كتاباً عن الحياة بعد الموت فأخبرتني من فورها عن تجربتها الشخصية وهي على حافة الموت، وكأني بها قد أنت مباشرة من كتابات مودني اشتد عليها المرض في منتصف ليل حيث شعرت بأنم داخلي شديد، فزلت إلى الطابق السفلي وجلست في مقعد وثير ملبئة بالإحساس بالمرض والوهس، وارتفعت درجة حرارتها، وأحسنت وكأني تسقط إلى داخل بفق في آخره نور، وشعرت آنذاك باسترخاء كامل وارتياح وأمن، واحتضت كل مخاوفها من الموت، ثم فجأة راعها الموقف أن يكتشف روحها وانها جسدها ميتاً على المقعد في الصباح، لذلك حاولت كمي تعود إلى جسدها، ثم وجدت نفسها بعد ذلك في المقعد وقد عادت حرارتها إلى حالتها الطبيعية، أقمتها هذه التجربة بالأنا تحشى الموت، وذكرت أن ذلك قد أعطاها الشجاعة أن تموت كمي نحيماً. كمي ذكر آخر من سكان المنطقة كيف أنه بعد أن أصيب بنوبة قلبية شديدة، ترك جسده ووجد الحجره ملبئة بستاثر ليحيم عليها الظلام، وسمع صوتاً يسأله «هل تريد أن تعيش؟» وحينها أجابه بالإيجاب، فتح عيبيه فرأى أن أمه بحوار فراشه وكان مقتنعاً تماماً بأنه مات ولقد وصفت تجربة حافة الموت التي مرت بوالدي في مكان آخر^(١) فقد كانت تعالج في المستشفى من التهاب بالعشاء البريتوني، فدخلت في مرحلة استرخاء وسعادة إراء الموت المتوقع، ثم ظنت أن رجلاً يلبس ثياباً بيضاء له شخصية مقدسة يقف إلى حوار فراشها يقرأ لها من صفحات مملوءة، ثم أسى قراءته بأن أخبرها أنها لم تمت لأن هناك من يحتاج إليها ها (تست صحة ذلك، فقد كان عليها أن تتولى تمريض أبي خلال السنين التي كان يعاني فيها من السرطان). وأصرت والدي على أن هذه التجربة ليست شيئاً يشبه الحلم بحال من الأحوال.

فهل تقدم لنا دلائل تجارب «حافة الموت» معلومات صحيحة عن العالم غير

(١) في كتابي «خفايا الحياة»

المُرئي الذي كان يأمل كل من مايرز وسيدجويك كشف الستار عنه؟ الإجابة مع الأسف بالنفي، حقا إنه أمر مقنع لي شخصيا، فهو يأتي للمرد بإحساس عامر بعد الصيرة في لعن الكوب، ولكنه لا قيمه له كدليل لوجود حياة بعد الموت حقا هناك آلاف من الناس من كل الجنسيات وكل الأديان شهدوا بواقع التحررة المحورية، ولكن ما رالت هذه أيضا تعد نوعاً من الدفاع الميكانيكي الذي يقوم به العقل حينما يواجه الموت وربما كان نوعاً من إفرازات انكيبالين (Enkephaline) وهو إحدى المواد الطبيعية المحددة الموجودة بالمخ.

والآن هناك كما لاحظنا أحد الاعتراضات الأساسية لمكرة النقاء بأكملها والمتشككون يصرون دائماً على أنها مجرد دفاع ضد الخوف من المجهول. وهذا أمر معترف به من جانب كل أعضاء جمعية البحوث النفسانية فيما رفضوا فكرة العرش أو خطأ الملاحظة أحدوا بتساءلون عما إذا كان تفسير الظاهرة ممكناً في ضوء التحاظر أو الاستشعار أو أنشطة العقل الساقص أو ما دون الواعي، حيث شرح تومسون حاي هدرسون بطريقة عملية كل الظواهر الخارقة للمادة على أنها نشاط للعقل الساقص كما رأينا في الحقيقة أن هناك عدداً من الحالات وبخاصة المراسلات المتقاطعة أو حالة الإرادة لرفصة، وحالة البذرة الحمراء، وحالة البيجاما الحمراء، وحالة درايتون توماس، وربما عشرات الحالات الأخرى، كانت تفسيراتها مرفوضة وتؤيدها الآلاف من الحالات الأخرى المسجلة التي ما رالت، رغم دقتها، تدلنا بقوة على تجاوز الشخصية إلى ما وراء الموت. فأي شخص ليس لديه تعصب يريد أن يعثرها من الدلائل سيكون ملتزماً بالاعتراف بأنها تدلنا على حقيقة النقاء حتى لو كانت غير مقبولة منطقياً

إذا ما قبل هذا النوع من البرهان، إذن سيبدو أمامنا أن ليس هناك سبب وجيه لرفض الدليل على وجود تجارب حافة الموت، لأن كليهما يؤدي إلى نفس الرأي المستخلص بأن الجسم الطبيعي يسكنه جسم من نوع آخر يبقى بعد الموت وتجربة حافة الموت لا تؤكد شيئاً في حد ذاتها ولكنها تدعم شهادات البحوث النفسية فتصبح برهاناً قوياً يدعم الرأي.

ومن المهم أن نذكر بين الأدلة الأولية والأدلة المساعدة والمشمل في أن يرى دنت التمييز أدى إلى كثير من العداء ضد البحوث النفسانية، فحينما أوصل سويدسرح.

ملكة السويد رسالة من أحيها الراحل، أو حينها أحر روجة السعر الهولندي عن سر
الدرج الذي يحتوي الإيصال، فإن ذلك يعتبر دليلاً أولياً، أي دليلاً على أنه بس مجرد
بروه ديبه نتيجته بعض اهذيان ولئن كان سويدنبرج قد أصر على أن كتاباته على
اللوح دليل قوي يؤكد نفاذ بصيرته الروحية إلا أن بقية الناس قد لا يوافقون على
ذلك واستطاعت أن ترفض جدله الروحاني دون أن ترفض الاعتقاد في قواه
النفسانية، وقد نذهب إلى أبعد من ذلك فتعتقد مع ويلسون فان ديوس أن نفاذ
بصيرته إلى عالم الأرواح كان صحيحاً، أو قد فعل مثلما فعل شتاير فشر بأنه دعم
امتلاكه لقوى وساطة أصيلة فإنه يعرض نظريته العلمية الصارمة إلى حد كبير عن
إدراكاته الروحية ثم أمدها بأن أقحمها فهبط بها إلى المستوى المادي، وهي صيغة
بصمها هو ابتهاج بأنها «خدعة دقيقة في غير موضعها» أو ساحتصر ليس علينا أن نقل
من طواهر سويدنبرج أي شيء، والمعقول هنا هو قبول الرهان الأول ثم نقرر بعد
ذلك عن طريق ما هو مقبول عقلاً مقدار الأدلة المساعدة المقبولة

كان كتاب مايرر عن الشخصية الإنسانية محاولة لتقديم أدلة أولية لعدد من
القدرات الخارقة للعادة، والمراسلات المتداخلة تقدم بعض الأدلة على أن مايرر قد
بقي بعد الموت، ولكننا نشعر أو لا نشعر بأن هذا يؤيد الخدل الذي يوحد في كتاب
الشخصية الإنسانية، ولو أننا قررنا أن المراسلات المتقاطعة دليل أولي على البقاء فربما
نظل نشعر بأن مايرر الذي يظهر في كتابات جبرالدين كومبير دجال، أو أن ذلك مجرد
استعراض لعقلها الناطق ونقرر أيضاً مقدار ما نقله كدليل مساعد يمكن للروحاني
انفتح بالروحانية أن يتلخ كل ذلك بما فيه ما ذكره راييموند لودج عن المعامل السماوية
التي تصنع الويسكي والسيجار وليساً مصطربين إلى ذلك، ولكن إذا كان دهسا
مفتحاً فسوف نوافق على أن ذلك الكم الهائل من الأدلة الأولية لا يجعل الأمر كتفكير
فيها هو مرغوب فيه، لأن ذلك يوصلنا إلى نوع الأدلة التي يطلبها العلماء حينما
يتحققون من قوانين الطبيعة مثلها مثل الأدلة التي يحاولون جمعها من المراسد أو
المعامل غميلة إلى أن تكون بمثابة معط أساسي وتكون المهمة التالية هي دراسة النمط
وفحصه في ضوء الأدلة المساعدة المتجمعة ثم نقرر مدى تلاؤمها مع بعضها مثل لعبة
تركيب الصورة المجزأة. هذه مسألة اختيار شخصي، قد نقله أو ترفضه حسبما
نستشعر من مل، ولكن الذين يرفضونه كدليل أولي يعرضون أنفسهم للاتهام بتعمد
إغماص العين أو الكسل العقلي

فما هي العناصر الأساسية لهذا النموذج الشامل؟

هناك افتراض أساسي أن الإنسان ليس كالروبوت أو الكمبيوتر الذي يعمل فقط بتبادلات تسري فيه من البيشة، وفي كتاب «حيات الأناية» (يعني حلايا وراثية الأناية) يشرح البيولوجي ريتشارد دوكنز Richard Dawkins الطريقة التي فكر بها في بدء الحياة، فأولاً أدى تأثير ضوء الشمس على مختلف العارات إلى خلق الكتلة السيوية الأساسية للحياة وهي الأحماض الأمينية، وكانت النتيجة تكوين السائل الأول الذي كان بالطبع ميتاً، ثم عند نقطة تحول معينة حدثت تفاعلات كيميائية وطبيعية معينة أدت إلى تكوين جزء الخلية الرائع، ذلك الجزء المتكرر على صورته والذي يستطيع أن يتكاثر بذاته، وهو يعلم بأن ذلك لا يحدث إلا صدفة مثل الرجل الذي يكسب الحائزة الأولى من يانصيب كرة القدم ولكن إذا عاش الإنسان لمدة ملايين السنين وربما يكسب عدة جوائز، هذا ما قاله دوكنز عن نشأة السحرة الأصلية من الخلية التي تكرر وتكررت ولقد أصبح العالم في النهاية مليئاً بأشكال مماثلة، ولكن عملية التشكيل لا تكون دائماً مضبوطة إذ تحدث فيها أخطاء، ونشئة لذلك فإن بعض السحرة المكررة تصبح أقل استقراراً من الأخرى، وكذلك أقل خصوبة، ويصبح بعضها أكثر استقراراً وخصوبة.

ها يسأل دوكنز «هل نسمي السحرة الأولى من جزء الخلية المنقسمة «حياء»؟ من اسمي يهتم بذلك؟ ... «وهكذا يبدو أنه يحاول الخداع بطريقة خفية اليد، فإن نظرية تكوين الجزء المتكرر على صورته بالصدفة تبدو نظرية مريبة تماماً مثل أعمال شكسبير التي تكتسب قردة وأديجتون التي تكتب بأصابعها على الآلة الكاتبة عشوائياً إن ما يأتي بعد ذلك هو الرعم بأن هذا الاستساح الذاتي أو التكاثر الذاتي للجزء حي بعض الشيء، لذا فهو كميل بالتطور، وهو زعم يبدو واضحاً أنه محاولة للعب السريع بالعاط غير دقيقة.

إن اقتناعي العميق والمسي على الحدس هو أن هناك اختلافاً أساسياً بين المادة الحية والميتة بذلك فإن خبراء الكمبيوتر سوف يظلون يحاولون إلى الأبد إقناعي بأن في يوم من الأيام قد يصنع كمبيوتراً معقداً للدرجة تجعله حياً بالفعل، وسوف أصر مشككاً في ذلك وربما يسارعون فيحاولون إقناعي بأنني في الحقيقة غير حي إن ما أنا مستعد لقبوله هو أن كتلة السحرة الأساسية المكونة من مادة عصبية قد

حلفت بالصدفة بتأثير أشعة الشمس أو بتأثير شحنات كهربية على الأمونيا والكربون، وأنه حينما حصل التأثير إلى منتصفه استفادت لقوة التي سميها الحياة من الوضوح لكي تقحم نفسها بطريقة ما في المادة يبدو أن ذلك متفق مع حتمي الخاص عن طبيعة الحياة، ذلك الخدس الذي هو في حالتي صراع متواصل للجزء الحي مني بوسع حدود الجزء الميت أو الجزء الحركي أو الميكانيكي الذي يبدو أنه متمسك بجعلي مجوساً في حدود «هنا والآن».

والآن إذا كانت هذه الفكرة صحيحة، وكان دوكير محطاً في اعتقاده أن الحياة مجرد نتيجة من سوانح المادة، فيستتبع ذلك أن للحياة وعيها وإحساسها المستقل بالغرض... وفي خلال سنة ١٨٦٠ وما بعدها كتب الفيلسوف إدوارد هارمان كتاباً موسعاً عن «فلسفة اللاوعي» حصصه على نطاق واسع لبحث تحليلات العريسة في الطبيعة وتبدو كلها مليئة بالعرض، وكلها بلا وعي إطلاقاً وتوصل إلى نتيجة محزنة بأن الحياة مليئة بالصلال الأعمى، وهو لا يبدأ بالعمى، فالرجل الذي يضطر إلى أن يمشي ميلاً كاملاً في الظلام بلا أي نور قد لا يكون بالضرورة نالهاً أو قد لا يكون سائراً بلا هدف ربما ينظر في خريطة قبل أن يبدأ السير، ويعرف تماماً عدد الخطوات التي يقطعها كي يصل إلى مفرق الطرق التالي. إن التعقيد المدهش في الطبيعة بدءاً من الأميبا إلى الحبار الضخم تؤكد بوضوح أنه رغم أن الحياة حينما دخلت إلى المادة كانت في عياء فقد كان لها إحساس واضح بالانجاء قبل أن تبدأ السير في الظلام.

ينطبق نفس الكلام على الصورة الدارونية للتنطور بالانتخاب الطبيعي، فيختلف دارون عن دوكير إذ يعترف بأن الحياة توأحدت بصورة ما منفصلة عن المادة، ولكنه ظل يسطر إلى الحياة من منظور سلبي، فلا حول لها ولا قوة في التغيرات التي حدثت بالصدفة أو في القاء للأصلح فالرأفة الأولية ربما رعت في أن يكون لها عنق أطول، ولكنها لم تستطع أن تفعل شيئاً يحقق لها تلك الرغبة وقد تمر آلاف السنين قبل أن يتحقق لسلمها رقعة أطول، ويحدث ذلك بالصدفة المجردة وإذا كان دوكير محطاً فإن فكرة العرصة أو الصدفة التي قال بها داروين أبصاً خطاطة فقد لا تكون الحياة قادرة على خلق التغير (وإن كان ذلك غير مؤكد)، ولكنها قد تكون قادرة على تعميق أعراضها الخاصة تماماً مثل الرجل الذي يختار كتلاً من خطاطم الصخور التي توجد في ركاب منساقط كي يبني بها بيتاً، ولكنه إذا استطاع أن يختار الصخور من

ومع ذلك كان هناك رأي يقول بإمكانية قبول الراهبين الأولية على الماء وبهذا فهناك خطوة قصيرة للعناية تفصل بين الحياتية والروحانية.

كانت المشكلة أمام درينش كما كانت سالسة لكل باحث نفسي في عصر الماسي هي أن المحالات العلمية السليمة لم تستطع هي الأخرى تحقيق الاحترام لخوارق العادات ربما سحقت تلك المجالات في جعل بحوث حوارق العادات تقصر نفسها على التحقيق في مجال قدرات العقل الشرقي التي لم يسبق ارتيادها مثل الاستشفاء والتسلط الروحي والتخاطر والقياس النفسي وغيرها، ولكن ذلك مستحيل، فهي اللحظة التي يطرح فيها المحقق أو الباحث سؤالاً عما يدور الوسيط أصلاً أم لا، فإنه يطرح بذلك سؤالاً عما إذا كانت المراسلات تأتي من الأموات أم لا وقد يقرر الباحث أن الوساطة في الحقيقة اسم آخر للشخصية المتعددة، وأن المراسلات مسببة على التخاطر والاستشفاء، ولكنه إذا ما كان أمياً مع نفسه فربما يسلم بأن هناك حالات لا تعطي فيها أي منها الحقائق المطلوبة، ويكون الاعتراف بإمكانية البقاء معاً أيضاً اعترافاً بإمكانية وجود الأرواح. وعند هذه النقطة نحدد أن معظم الباحثين المحدثين الذين يقحمون أنفسهم فيها يشعرون وكأنهم قد استدرجوا إلى الوراء نحو خرافات عصور الظلام.

كانت تلك هي المشكلة التي واجهها في بداية كتابة هذا الكتاب. ذلك أن آدم كارتري معالج نفسي ومهتة شفاء من لديه مشكلة نفسية من أساس ومن وجهة نظره لا تختلف المشكلة عن كونها ترجع إلى الكبت حسب رأي فرويد أو إلى تعدد الشخصية أو استحواذ الشياطين على الشخص، ولكن من المؤكد أن موقفه في المجتمع العلمي كان الأمثل له أن يرفض الفرصية الأخيرة وأن يفكر على أساس أسباب العلاج النفسي التقليدي، وهذا ما يرتبط بميوله الخاصة. فقد وصف له كيف أنه حينما كان طالباً بدرس اللاهوت في ميسوتا وقع في يده كتاب اسمه الشيطان، لمصرف تأليف القس كارل فوحو Rev Carl Vogel وفيه وصف لحالة وقعت في ويسنوت في العشرينيات لعنة تدعى أن إيكلود بدأ المرحس يظهر عليها في صورة رعة مدحة لارتكبات أعمال جسية لا يمكن الإفصاح عنها، وتصرفات إلحادية. وحينما بدأت تظهر عليها علامات قديمة من الاستحواذ قرر الراهب الكاثوليكي الأب نيوفيلوس راينجر عضو جماعة سانت اسوي أن يعمل لها رقي وتعاويد، وصغت أن يوضع

الاسترخاء على الفراش وبدأت مراسم الرقي وفي ثلاث دقائق طارت ان من فوق الفراش وتحركت ووقفت عند الحائط فوق الباب حيث اصطدمت بالحائط وهي تتحرك، وسقطت بقوة الحادية واستمرت مراسم الرقي وهي تصيح صيحات عالية وأجاب مرتفعه لمرحه ان الناس جاءوا من كل صوب في مدته ماراتون ليشهدوا ما يحدث واستمرت الرقي في اليوم التالي ثم لعدة أيام أخر وخرجت من آن أصوات تتحدث بلغات مختلفة رعم أن شعنها كانتا معلقتين تماماً وكان رأسها يتمدد فيصل إلى حجم إبريق الماء كما لو كان جسمها يورم وينفتح كالنارون وكانت تشجتها قوية لدرجة أن حديد الفراش إلى الأرض وتحدثت الكثير من الكلمات التي كانت تسمى بـ شياطين وأرواحاً شريرة إلى طردني الأرواح وأظهرت معرفتها الوثيقة بالخطيئة التي ارتكبتها في صغرها، وأخيراً تواجد كيان أبيها الراحل واعترف بأنه كان يحاول دائماً ارتكاب الإثم معها، وأنه لعبها واستحث الشياطين أن يستحوذ عليها وظهرت أيضاً العشيقة السابقة لوالدها واعترفت بأنها قتل العديد من أطفالها الحديثي الولادة وخلال كل ذلك الوقت كانت ان تائه يوماً عميقاً أو في عشية أو عيوبة كريمة، وفي النهاية انطلق جسدها من فوق الفراش واقفة وكعوبها فقط مستقرة فوقه وببها كان القسيس يواصل تعويذاته سمع صوت أبي عريب، ثم أحد الأسير يحو شيئاً فشيئاً حتى انتهى كأنه صوت مستعد وأخيراً فتحت الفتاة عينيها وأحدث نكي وانتهى بذلك الاستحواذ.

كان الراهب الذي ترحم الكتاب عن الألمانية يسمي إلى نفس المدير لدي يسمي إليه كاريتري، وتحقق من تفاصيل القصة كان كاريتري يعلم أن ذلك لراهب مستقيم الفكر مرجح الشخصية، ومع ذلك فقد سطر كاريتري إلى تلك القصة التي رواها الراهب على أنها منافية للعقل

قرر كاريتري بعد فترة وحيرة أن حياة الراهب لا تناسبه، فدخل قسم لعلاج

النمسي عام ١٩٦٩

توصلت لمعالجة نمسي بسرعة إلى قبول الواقع الذي يجعل الطواهر الخارقة بلعادة مثيرة لدهشة، ومحصلة تجارب التحاظر والاستشفاء، وأصبح وأصبحاً أمني أن هاتين الظاهرتين لا يمكن تكرارهما سيحة بوجود دلائل كثيرة تأت من علاجي بصورة بلغائه من حلس فعال من أحلام برصي حاصه، ونكي كب في سنك الأيام المنكرة متردداً في النهاية إلى ما وراء الحد الأدنى من العيون

(١) رسائل إلى العبر، أبريل يناير ١٩٨٥ منقولة بتصريح من دكتور كاريتري

ولم استطع كاربيري أن يشاهد ظاهرة الاستحواذ حتى عام ١٩٧٦ حينما تحدث إليه أحد زملائه الذي يبدو أنه كان حاصصاً لسوع من الاستحواذ وطلبت يفكر أحد الأمر بحدية، ولكنه بدأ في السه التالية يقابل حالات من الاستحواذ أثناء ممارسته العمل، كما جاء في الفصل الأول من هذا الكتاب، وقرر من وجهة نظر معينة صرف أن يعالجهم على أنهم مصابون بالاستحواذ.

وبصر كاربيري بصفته معالماً نفسياً على أن يقصر عن تسجيل الظواهر أو بمعنى آخر لا يقرر أن أيّاً من الحالات حالة استحواذ، ولكن يقول يبدو أن هذا المريض أو ذلك فيه علامات الاستحواذ. وربما كان علاج أي حالة على أنها حالة استحواذ هو أبسط طريقة مؤثرة على الشفاء. يبدو أنه عصوي جمعية البحوث النفسانية، وكتابه يوضح لنا أنه على استعداد لأن يعطي لنظريات الاستحواذ أهمية كبيرة.

وهناك معالج نفسي آخر هو الدكتور رالف أليسون Ralf Allison لدي يدرس الطب النفسي في سانتا كروزر في كاليفورنيا، وقد كتب كتاباً عن تعدد الشخصية^(١) وأنت للمدكتور أليسون في عام ١٩٧٢ حالة من حالات تعدد الشخصية هي فتاة تدعى كاري في سن المراهقة وكانت صبية لعصابة من عصابات اعتصاب الفتيات وبعد الحادثة بدأت تمر بتجربة حلول شخصية أخرى فيها أثناء هبوط الطلام. حاول أليسون بساطة أن يتحد وسيلة علاجية خاصة هي محاولة طرد الأرواح تحت تأثير التنويم، وبحجت المحاولة، ولكن أليسون اعترى أن ذلك يرجع بساطة إلى الصدفة، ولكنه في السنوات التالية واحد حالات من تعدد الشخصية استطاع أمامها أن يقلل أن الأفعس أو الأرواح الأخرى كانت ذواتاً حقيقية تأتي بالتبادر. وقال شخصية البديلة تؤدي عرصاً فعلياً ومحددات. وهذا يعني أنه يتعامل مع عواطف أو مواقف لا يستطيع المريض أن يتولاها بنفسه، ولكن تبنى في مريد من الحالات أن الأمر خلاف ذلك. جاءته فتاة تسمى أليس تعاني من تعدد الشخصية فوضعها تحت تأثير التنويم فظهرت فيها بديلة لشخص يسمى نفسه ديبس، يبدو أنه لم يكن له أي عرص معين، وأصر على أنه مستحود على أليس فقط لأنه كان يهتم

حسباً شخصية أخرى بديلة هي فتاة تسمى شاتون، لمست في أليس بعد فقدان طفلها، وحيثما سأل ديس عن الكفة التي يريد أن يمارس بها الجنس مع شاتون «شرح ديبس أنه بدخل في أحمام رجال يمارسون الجنس معها، ووجد الدكتور أليسون في ذلك مفهوماً مثيراً للاهتمام إذ أنه أصبح واضحاً أن حسد أليس هو نفس حسد شاتون، ولكن ديبس لم يكن يهتم بهذا الحسد حيثما نكون أليس بداحته

وحيثما سأل أليسون شاتون أكدت له أن كل ما قاله ديبس صحيح، فدهش أليسون من فكرة الذات البديلة التي تدخل في جسم شخص آخر (رغم أنه لو قرأ كتب كارديك أو بعض الروحانيين الآخرين لتبين له أن ذلك أمر مألوف)، ولكن الشخصيات الأخرى التي تتلصق في حسد أليس أصرت على أنها تتلصق بالفعل ذلك أن ديبس ذاته ادعى أنه كان ذات مرة سمسار أوراق مالية قتل أثناء حادثة سطو، ورغم أن أليس لم تكن هي الشخصية الأولى التي سكها، وشرح أيضاً أنه لو استقرت شاتون مع عاشق واحد لسره أن يسكن في حسد ذلك الرجل بصفة دائمة، ولكنها تحول وتثقل كثيراً ويعترف أليسون «رغم كل مجهوداتي لم أستطع أن أجد تفسيراً أكثر قبولاً للعقل عن تواجده سوى نظرية الروح».

وطهرت ذات أخرى تحت تأثير التويم لعنة تسمى ميشيلا، ذكرت بإصرار أنها تشبه ديبس، لم تكن شخصية بديلة أو ثانوية بل روحاً، ورعمت أيضاً وجود روح ثالثة مرتبطة بها وبعد مضي أيام، عانت أثناءها أليس من نشجات قوية قام أحد الشخصيات الثانوية الأخرى بإبلاغ أليسون أن هناك ثلاثاً من الأرواح المتدسدة قد عادرته الآن، وكان أليسون لا يميل إلى قبول ذلك - ولا بوحده في الكتابات السيكولوجية أي شيء يمكن أن تكون له صلة بما رأيت»، وبعد زمن قامت إحدى الشخصيات البديلة باختيار أليسون بأن شاتون كانت روحاً متلصقة في ذاتها وهي روح طفل أليس الذي مات وأكدت شاتون نفسها ذلك، وأحبرت أليسون بأنها مستعدة لمعادرة الحسد، وأفاقت أليس من الجلسة وهي في حالة وهل أو فقدان ذاكرة، ولكن شاتون لم تظهر فيها بعد ذلك.

تتول أليسون حالة أخرى من حالات تعدد الشخصية لعنة تسمى صوب
ويجج أليسون في إحراج كل الذوات البديلة معها تحت تأثير التويم، ولكن نعت شخصيتان بديلتان لسيدتين هما ماري وماريا. فحيثما كانت صوب تحت تأثير نسوب

علم اليسون أن ماري وماريا كانتا توأمين لصوفيا وأن الطبيب الذي كان يولد أمها،
وكان عشيقها أبصاً، قتل التوأمين ولم يستطع قتل صوفيا بسبب حضور حارة لها معه
من ذلك وقالت صوفيا إن روعي التوأمين كانتا منتظرتين لتدخل فيهما بعد الولادة
فدعتهما صوفيا ليشاركاهما حسدها كي لا تصح وحبدة. نصح اليسون حقيقة في
تعف ماري وماريا لتركاه حسد صوفيا أثناء جلسات التويم، ولكن بعد ذلك فشلت
محاولاته في إعادتهما تحت تأثير التويم.

يبدو أن قصص اليسون غير مضولة عقلاً، ومع ذلك فإن من يقرأ بنية كتاب
سبحس بأن فيها أصالة وكان الخط الموصوعي الذي استمر على مدى العوثر
العماسية منذ أيام جويج ستيلج وكاترين كرو هو أن الكائنات الشرية تتكون من
أجسام تسكنها أرواح، هي بالمعنى المقصود شخصيات تكون بالفعل، وأب الأرواح
تبقى بعد الموت ولقد مررنا في الفصل السادس ببعض حالات تحركت فيها الأرواح
بشكل واضح من جسم لآخر هكذا تحولت لورانس فيوم إلى ماري روف، ونحو
ميخارم جاسيرلال جان. ربما نقرر أن مثل هذه الحالات لا تعتبر براهين على انتساح
أو الاستحواد ولكن لا بد لنا على الأقل من أن نعترف باستمرارية الخط الموصوعي
الذي لا يعتبر الشخصية انعكاساً للبدن فحب بل هي نجميع في السوك
لإسهامات مختلفة من وحدات تحكم متنوعة موحودة بالعقل لكن هناك كياناً
مستقلاً يتحكم في الجسم وقد يكون قادراً على أن يمارس التحكم بصورة أبعاد أثراً،
إذا ما أدرك هذا الكيان وضعه.

إن هذا الاعتراف هو الذي يعلف هذا الكتاب الذي بين أيدي وليس الهدف
الذي أرمي إليه هو أن أحاول إقناع أي شخص بحقيقة الحياة بعد الموت، ولكن
عرصي أن ألفت الأنظار إلى التواصل الداخلي العجيب للأدلة التي لا تستدعي أن
يشعر أي أحد بالخجل من قول فكرة أن شخصية الإنسان تبقى بعد الموت
الحدي.

٨ الذخيرة

دعت في عام ١٩٦٨ إلى كمبريدج لأجري حديثاً مع الفيلسوف برود C D Broad لأصعبه في ملحق صحفي خاص بالألوان كان برود المعروف بأنه إنسان عطوف رقيق الروح أسداك في شدة الصيق لأن كليته، كلية تربيته أو التثيث، قد حولته إلى خادم في المطبخ وهو في الثمانين من عمره، وكان يتطلع بصر وأساءة لإساءة عمله الخالي والعودة إلى وطنه الحميل في اسكندنافيا.

وبعد أن تحدثنا عن أفكاره الفلسفية وآرائه عن الأحيال المقبلة تحولنا إلى الحديث عن البحوث النفسية وكان برود قد انضم إلى جمعية البحوث النفسية عام ١٩٢٠ وانتخب رئيساً لها مرتين. علق تعليقاً مهماً إذ قال «لو كانت البحوث النفسية صادقة حقاً لاتصحت أهميتها الكبيرة، فهي من الناحية الفعلية تدل كل شيء». أعدت إلى ذاكرته ما سبق أن أوردته في سيرته الشخصية: «أقول بكل قوة أن ليست لي رغبة حقيقية في أن أبقى بعد موت جسدي الخالي، وسوف أكون مرتاحاً بعدية إذا استطعت أن أحس بصورة أكثر تأكيداً بما أحبه الآن بأن أي نوع من النقاء مستحيل».

ولكن برود يصر على عدم وجود أي تعارض بين ذلك القول وبين قوله الذي كتبت مخطوطةً دعابة في هذه الحياة فكل شيء سار على ما يرام، وأنجرت كل نجاح أردته، ووجدت حصص على أكثر مما أستحق، لذلك فلا شيء أحب فكرة أحد فرصة في عالم آخر، والأفضل أن أصل إلى النهاية. أراد برود بذلك أن يظهر نقطة معينة سبق أن عرضها لها مرات عديدة في هذا الكتاب. علمنا بأن وجود حياة بعد الموت قد يغير كل شيء، ومع ذلك لا يعبر شيئاً

(١) فلسفة س. د. برود ١٩٥٩

والطفل يفتح عينيه على عالم معقد ومخرب بل ومحف، ولكنه سرعان ما سمو حيسا يفتح
بأن الكبار يعلمون كل الإجابات عن الأسئلة المحيرة وكان الأخرى به ألا سواصل
حياته إلى الصبح ليكتشف أن ذلك غير صحيح، وحول ذلك كتب كيركجارد Kirk
Gaard يقول

أين أنا؟ من أنا؟ كيف حث إلى هذا؟ ما هذا الشيء الذي يسمى عالما؟ كيف حث إلى
العالم؟ لماذا لم يؤخذ رأيي؟ وأنا مضطر لأن أشرك مع، أين مديرة؟ أريد أن أراه

إذا قلب لا يملك شيء، فهناك حياة بعد الموت ليست هذه هي الإجابات
المطلوبة، حقا لو أن الموت كان نهاية الفرد فإن ذلك سوف يعمق الشعور بعدم
الجدوى والإحساس بالتفاهة ولكن إذا ما أحرونا بأننا سواصل حياتنا في عالم آخر
فسوف يوسع نفس التساؤل الذي عرعه وليام جيمس بقوله ما سبب الوجود أو
بالأخرى لماذا لم يكن عدم وجود؟ للإجابة على هذا التساؤل قد يبدو أننا بحاجة إلى
خروج عن نطاق الوجود، ومن الواضح أن ذلك أمر مستحيل

هذا يفسر السبب في أن الروحانية لم يكن لها تأثير أكبر على العالم الحديث، فحينما
نشأت الحركة الروحانية في روشستر عام ١٨٥٠ كان أتباعها لا يشكون في أنهم
يساعدون في تأسيس دين جديد، ولكن الدين محاولة لتفسير مكانة الإنسان من
الكون، ولم تكن الروحانية مبنية على بصيرة عينية نافذة عن علاقة الإنسان بالله، بل
كانت فتية على تأكيد أن الموت من الشر في واقع الأمر لا يموتون إطلاقاً ولكنهم
يواصلون الحياة في عالم مختلف عن عالمنا الحاضر ويظل السؤال عن مكانة الإنسان في
العالم أو عن أين كان من قبل سؤالاً مطروحاً ولا عجب أن رحل اللاهوت
لكنثوليك انضموا إلى العلماء اللإراديين في الدفع بأن ذلك على أنه شيء محض
واسطعي وغير صحيح

ف اضطرت إلى إعادة هذه الاقتراحات إلى الدهر قبل كتابة هذا الكتاب بصعة
أشهر، فجاءتني رسالة تحريي بأنني علمت آنذاك عن وجود أحد مشاهير الوسطاء في
كل عصر وأشير بها إلى مارتا التي قالت وقيل إن واسطني هذه واسطه محسدة،
وأنها في أثناء جلساتها يظهر من الهواء الخفيف أناس محسدون يمشون في الخفرة، وقد
تصرفون مثلما تصرف الناس العاديون، ويمشون على الأسئلة ويسمحون بلمسهم

ويجلسون بجوار أفراد من المشاهدين، واحتصار لم تكن هناك عييات بل كان الأمر
تماماً مثل حفل شاي».

كنت عن قوري إلى مارتا وشرحت لها أنني على وشك كتابة كتاب عن الحياة
بعد الموت وسأدعها علي إذا كان باستطاعتي الحصول إلى إحدى جلساتها فتقبلت رداً
أخوياً تقول فيه إنها ترحب بي في أي وقت

ولم يمض وقت طويل إلا وكنت في المدينة التي كانت تقيم فيها مارتا، وحاطتها
بهاتف لأسأها علي إذا كان حصوري ممكناً، وشرحت لي أن ذلك غير ممكن بذلك لأن
أحد أصدقائها الذين تقيم جلساتها في منزله متعيب في إجازة، ولكنها دعيتي لنشاي
بمنزلها.

كانت مارتا سيدة جميلة في الثلاثينات من عمرها قدمت لزوجها بيل واسمها
وصديقتها وأحروني بأشياء بدت كلها رائعة كانت مارتا مثقلة ولكنها منذ أن تزوجت
بيل المهندس اعترلت المسرح (ما زال ابنتها يعمل في المسرح كمهندس إضاءة)،
واكتشف ما لها من قوى بالصدفة ذات يوم حينما كانوا يتناقشون فدمست منصدة
صغيرة فانطلقت المصدة طائرة عبر الحجرة: وسحبنا وضعت يدها عليها أختنا
المصدة تهتز من جانب إلى جانب ثم أحيات المصدة على أمثلتها بواسطة الرموز
العادية. ودهش الجميع لذلك وظلوا يقضون لياليهم يسألون المصدة (أكدت مارتا
أنها لم تكن قبل ذلك تهتم بمثل هذه الأمور لأنها كاثوليكية حقاً) وفي يوم من الأيام
راحت في غشية وتكلمت الأرواح من خلال مهننا، وسحبنا استيقظت أو أفاقنا
اعتدريت بسبب دهانها في النوم ولم تكن تذكر شيئاً مما حدث. وفي جلسات أخرى
تحدثت لها الأرواح

وسرعان ما ظهرت سيدة تتكلم بلهجة اسكتلندية اسمها اليواسطة هيلين
داكان. وأصبحت مارتا مسيطرة على هيلين. وذات يوم ظهر من جلاها صبي صغير
اسمه جيرمي. وصفت كيف مات منذ بضعة سنوات في حادث، وأعطى اسمه وعنوانه
وأحضرهم بأن أباه في تلك اللحظة جالس وحيد بالمرل لأن أمه ذهبت لقضاء الليلة
خارج المنزل. وكان جيرمي الذي فوق أبيه مراهقة حمراء كبير في السفين.

كان الوقت متأخراً في الليل، ولكنهم قرروا التأكد من صحة حكاية جيرمي،
وبحثوا عن رقم الهاتف ورد عليهم الرجل فقال له بيل: «سأسألك عزلاً قد يكون

سحفاً، هل توجد فراشة حمراء كبيرة على السقف في حجرتك؟ فأجاب الرجل دهشة شديدة «يا إلهي أجل توجد فراشة، ولكن كيف عرفت ذلك؟ فقال بيل «لأن أمك أحرق بذلك من هوره. وأكد الأب أن كان له ابن اسمه حرمي وأحرقهم بحكاية موته وفي اليوم التالي وصل الوالدان وفي عيوسهما دموع المرح فاحتصا ولدهما وقتلاه.

حكاية مؤثرة حقاً جعلت مارتا وبيل يقنعان تماماً. كانا روحين رقيقين يتصرفان بطبيعتهما في نواصع، وإذا ما أمكر التأكد من حكايتها فلن يتطرق شك في أن مارتا أقدر وسيط مد عهد دانييل دونجلانس هوم. وإي أشك كثيراً في إمكانية تأكيد القصة خاصة واسمها أكداً لي أن بإمكانك التحدث إلى حرمي وداكان بل ولمسها أيضاً.

سارعت في أول فرصة أتت بعد ذلك إلى الصاحبة التي يسكنها بيل ومارتا، ولست ما لم تعد الجلسة في منزل الأسرة الصديقة، ولكنها عرصت تنظيم الجلسة في حجرة الاستقبال بممرهما ودعيت للحضور مكرراً لتناول الشاي، ولكنها كانت في الحقيقة وليمة كبيرة فيها الفائق الساحة وأنواع عديدة من العطائر والكعك وفي أثناء الطعام أحتراني عن اتصالاتهما بالعالم الآخر. ويسدوان مارتا كانت تواجه بعض المشكلات مع العديد من المشككين من ذوي العقول الحامدة حتى أن أحدهم اتهمها بالخداع على صفحات إحدى صحف الروحانيين الشهيرة. وتعجبت لكل ذلك، فلو أن مارتا كانت نصف مقنعة بما ظهر في كلامهم لكان من الصعب أن تتهم السبب في أن البعض يريدون اتهامها.

بدأت الجلسة بعد ساعتين تقريباً، ولشدة دهشتي وجدت بيل وولدها دواند أحداً يعطيان الوافدين ملائمة بلاستيكية سميكة، وهما ذلك بأن أقل شعاع من ضوء قد يسبب الأذى للوسيط. وجلست مارتا على مقعد وثير، وجلست أنا على الأريكة مع دواند وصديفته وجلس بيل في مواجهة مارتا ثم أدير جهاز تسجيل لإداعة موسيقى كلاسيكية عادية، وأطفئت الأنوار وأصبحنا في ظلام كامل. قالوا لي إن الموسيقى تساعد على خلق الجو المناسب. وما لبثنا أن سمعنا دقات عالية على المائدة، شرح لي بيل أنها تعني حضور ثلاثة عشر روحاً، ثم سمعنا صوت صبي صغير، وحضر حرمي فقدموا له وسألت عن إمكانية تسجيل الصوت فأدسوا لي بذلك، فأدبرت جهاز تسجيل أحضرته معي، ثم بدأنا شكلم جميعاً كما لو كان الأمر عادياً كجلسة بحوار.

المدفأة بثرثر كان بصوت حيرمي بحة عالية كأن معه ملفوف شيء حوله، وبعد دقائق قليلة سأل حيرمي «هل تسمعون لورا؟» وكانت الموسيقى قد أديرت مرة ثانية على شريط يعني فيه بلاسد دومسحو إحدى أعباته وهي أعية «لن أكون معك» لذلك لم أستطع أن أدير صوت الشخصبة التي حصرت ولكن بيل حياها وقدمي مرة أخرى فأحدث لورا يدي بين يديها فأحسست كأنها إنسان عادي، وأحدث نعي مع الموسيقى بصوت جميل ولكن فيه شيء غريب، بمكني أن أصعبه بأنه «عرشة حميقة» وحيث ظهرت بطربه معطاء آخر اللون ولدا لم يكن صؤوها يظهر شيئاً حتى في هذا الظلام تكامل، ولكنها وصعت بجوار قدمي لورا العاريتين، فرأيتهم من خلال نظام فوق السجادة.

وجاء سمعاً صوتاً له نبرة اسكتلندية يقول: «هالو» جميل أن أراكم جميعاً ليلة «ورد عليها بيل التحية هالو يا هيلين..» فقالت: «كنت أتوقع يا كولين، هل فاجأتك؟» وطلت من بيل أن يوقف الموسيقى وقالت: «نحن نريد الموسيقى لأن مارتا تحب الظلام، ولكن للحد الذي يكفي ليسمع عقلها الباطن» وواصلت تقديم نفسها لي، ورحبت بي من كل أعماقها وذكرت أنها سمعت بأني صاحب كلام كثير وأنها هي أيضاً صاحبة كلام كثير.

وبعد دقائق قليلة أخرى جاء وقت الاستراحة، وأديرت الموسيقى مرة أخرى وأصبحت الأنوار، وكانت مارتا حالسة على مقعدها في حلتها الرياضية تستطبق تدريجياً وتساأل: «هل حدث شيء؟» فأكدتا لها ما حدث.

وانصت استراحة تتراوح بين خمس وعشر دقائق بدأت بعدها الجلسة مرة أخرى، وثرثر حيري أكثر بكثير، ثم عرضت هيلين أن تقدم تجربة أحدث الطرية لتربي قدميها وركبتيها، ومرة أخرى كان من المستحيل في الواقع رؤية أي شيء سوى وميض حافت من اللحم في الضوء الأحمر المعتم.

كانت هيلين كما قالت امرأة صاحبة كلام كثير، تثرثر كثيراً، وقاطعتها عند نقطة لاسألهما عما إذا كانت تذكر أحداً من أصدقائي واسمه ليوبارد بونشر الذي كان يحضر جلساتها أثناء حياتها، فأجاستني بالإيجاب، ثم سألتني عن «لين» وما حدث له فعص ه إليه في ريماسوا، فسألت بدهشة هل هو في ريماسوا، طمأن كان علب أن يذكر ه -

وعما كانوا كانت فيما مضى روديوسا، وظلت مي أن أتحدث مع ليومرد لأذكره أيام
بورتشماوث

بعد حديث طويل سألتها عما إذا كان ماسنطاعتها أن تحب أي شيء عن
طبيعة الأشباح المرعبة، فأجابته هليين شيء من الكبرياء «سأشرح لك» ونكبت لم
تشرح شيئاً، وبدلاً من ذلك أخبرتنا بأن «الأشباح المرعبة لم تؤذ أي إنسان أبداً
ولا يوجد ما يدعو إلى الخوف منها» وظلت لمدة ربع ساعة تقريباً تهدي ولا تقول
شيئاً محمداً عن طبيعة الأشباح المرعبة، فأصبح واضحاً أنها لا تعلم شيئاً عما أو أنها
تستقي المعلومات لنفسها ولم يؤمسي أن يبل أعلى الاستراحة الثانية، وكان شريط
التسجيل قد انتهى.

أخبرني بيل أن راييموند ابن السير أوليهر لودج يظهر عادة في جلساتهم، ولد
سألته عما إذا كان بإمكانه مقابلته. وفي الواقع أبي كنت قد استمعت إلى تسجيل
قديم له. وبالفعل بعد طول مناقشة وصل راييموند وقدم نفسه لي، وعند هذه النقطة
بدأت شكوكي العاصفة تصبح ملحّة، فإن صوت راييموند هذا لا يمت إلى صوته
الأصلي الذي سبق أن سمعته في التسجيل بأي صلة. كان يتكلم بصوت يعلى فيه
البطء سرّة العنقة الراقية وبسعة تميل إلى الأثوثة مثل صوت أبلاتشيدر في شخصية
برليجرتون برقي.

سألته عما إذا كانت الأرواح حقاً ترى في الظلام، فأكد لي صحة ذلك،
والحقيقة أنه أخبرني بأن أحد الأصدقاء من جمعية البحوث النفسية حضر جلسات
مارتا وأنه دهش عندما تعرف على عدد الأصابع التي يظهرها من يده، وذكر أيضاً أن
الحجرة كانت مليئة بالأسلاك وأن الأرواح أثبتت أنها قادرة على تحب تلك الأسلاك

بدأ ذلك كدعوة من راييموند لأحتره، ولذا سألتها عما إذا كان ممكناً أن يعرف
التعبير الذي على وجهي، وقد جعلت وجهي يعبر تعبير الرعب بتعطيت جبني ومط
شفني إلى الأمام وإذا براييموند يسأل وهو متردد «أأعني أنك تفتح فمك أو شيئاً من
هذا الصيل؟» وجهاً علمت بما لا يدع مجالاً للشك أن راييموند لم يستطع الرؤية في
الظلام، فقلت له «أجل هذا بالصمت ما قصصته»، فأجاب راييموند بسرعة «أما لا
أفعل ذلك الآن؟»، فسألته «ولم لا؟»، فذكر لي أن ذلك لا يقع أحداً، فقلت له
«ولكنه ربما يقضي أساء، وإذا ما استطعت إخباري بعدد الأصابع التي أرىها من يدي

الآن فأخبرني، ورفعت إصبعين فرد عليّ راييموند متصايماً «لم أعد أفعل ذلك»، سأله «لماد؟ ألا تريد أن نقعني؟»، هصر راييموند موقعه بأنني لو تركت المسول وشرت أن راييموند استطاع أن يعرف عدد الأصابع التي أرفعها فلم يفعل أحد بذلك وسوف يتهمون مارتا بأنها تستخدم الأشعة تحت الحمراء، أو أي شيء من هذا القبيل فشرحت له أن المسألة ليست مسألة إضاع الأحرار بل إقاعي أنا شخصياً، ولو استطاع أن يجبرني بعدد الأصابع التي أرفعها فربما أفله كمروح، وإذا لم يفعل من أصدق أنه روح

عند هذا الحد رغر راييموند بعصب وقال إهم قدموا لي بالفعل كل الأدلة التي طلبتها، وسمحوا لي أن ألمس الأرواح وأن أراهم في صوة البطارية، فذكرت له أن صوة البطارية لم يظهر شيئاً يمكن اعتباره دليلاً، حتى لو كانت مارتا حاضرة على مقعدها أم لا حقاً لقد أمسكت بيدي وسمحت لي أن ألمس ذراعها، ولكني لا أستطيع أن أجزم بأنها لم تكن مارتا نفسها.

أصبح واضحاً أن سبعين سنة في عالم الأرواح لم تغير أبداً من الصفات البشرية لرايموند، بحيث أنك لا تستطيع صط اعمالاته وأصر على إهم قدموا لي الدليل، وأن في ذلك ما يكفي وتمسكت بأنه لو ذكر لي عدد الأصابع التي أرفعها لزل هي الشك وبينما يقول لي وهو عاصب «لم بعد فعل ذلك الآن» لاحظت أن الصوت انعاصب أصبح صوتاً أنشوباً.

وأصبح لا محل للاستمرار، قلت ذلك، وأديرت الموسيقى وأصبحت الأساور وكنت حطة حرة كنت متأكداً ومع الحق أن راييموند خدعة، وتبعاً لذلك بدت لي جلسة كلها خداعاً واستفاقت مارتا مكاسلة وسألت «ما الذي حدث؟» فشرح لها بيل أن خلافاً حدث بيني وبين راييموند، وشكرتهم وعادرت مصرعاً كي أنجس المريد من الإحباطات

وبمجرد أن وصلت إلى مرلي كنت إلى ليونارد بونشر في ويمبانوا أسأله عني، د كانت هلين دانكان تبادلته باسم «لين» وعما إذا كان يراها في بورتشاوث جاء رده كم بوقع غامضاً، كانت علاقتها رسميه لا يستخدمان الاسم الأول (وعلى أي حال لم أسمع أي أحد يناديه باسم لين) وكذلك لم يقاتلها في بورتشاوث ولكن في اسكنند

عصب المراسل الذي أحبرني عن مارتا عصياً شديداً حينما أرسلت له تقريراً
عن الجلسة، لم يكن يشك في أصالتها، وإن كنت لم أوافق على ذلك حين ذلك لأني
ممن يعمدون إلى إغماص العين وشرحت له أنني لست متأكداً أن مارتا عذبة،
ولكني متأكد مائة في المائة أن راييموند كان خدعه، ولم يحفف هذا من حدة عصبه، ولم
يقتنع أبداً بأنني أنصم إلى الأعداء.

عندما كل هذه الأحداث المترابطة فقط في إبرار ما قد عرفناه من أن الاتصال
بالأرواح المزعومة ربما لا يصيب إلى علماً شيئاً عن طبيعة الواقع، وأن المهمة الرئيسية
للإنسان هي أن يعلم عن الطبيعة الحقيقية للأرواح وحتى لو أن راييموند استطاع أن
يذكر عدد أصابع المزعومة ويقرأ تعبيرات وجهي أو حتى يتعرف على ما في ذهني فربما
لم يختلف الأمر كثيراً. قد يؤكد ذلك فقط ما اعتقد أنه صحيح فعلاً وهو أن تلك
الأمور كلها ممكنة الحدوث، ولكن حينما استمع إلى شريط الدفات أثناء الجلسة فإني
أصبح فريسة لرغبة ملحة أن أصرح وأقول مقتنعاً بأن الأرواح حتى الأصلية منها ليس
لديها ما تقدمه للعقل البشري أكثر من ذلك.

فما هو الذي أعتقد فيه إذن مما يمكن تعلمه من براهين البحوث النفسية؟
في رأيي أن أحد أهم عناصر مفاد البصيرة هو ما يتعلق بالشخصية، فكلنا يأخذ
الشخصية على علاقتها، فأنا هو أنا وهذا كل ما يتعلق بها، ونكشف لنا حالات تعدد
الشخصية بأن الحقيقة في الأمر أعقد من ذلك بكثير، فلو أنني سمحت بأن تهرمني
الحياة فإني أقيم شخصية ثانوية أو بديلة تستطيع أن تجابه مشاكلها

كانت كريستين بوشامب (كلارا هولر) متجهمه ومحببة، ولدا كانت سالي لمرحة
الخليلة تحمل محلها، وكان لويس فيمي سلباً مثلد الشعور، ولدا تلبسته شخصية بيلي
مليحان العدواني الذي يؤكد ذاته بالقوة، وكان ميلي مليحان على وشك الانحجار بالقمر
فوق سقف المدرسة حينما أراحته شخصية أخرى فرعية وحلت محله الاستئح
ابواصح من هذا هو أنا يحتوي في داخلنا كثيراً من الشخصيات المتاحة، أو بمعنى آخر
نتظر بأحجة ممثلة نحن مستعدون لتحركها إلى داخلنا لكن في حالة الإنسان العادي
الصحيح السوي نتمتع بكليتنا مع الشخصية الأساسية دون أن نحل بها. قد يقابل
شخصاً لم نره منذ سنين فنتبين أنه قد أصبح شخصاً آخر أكثر ثقة في نفسه وأكثر
كفاءة فلا نشعر بأن شخصية أخرى قد تلبسته أو حلت فيه ولكنه أصبح ذاته إما

بصوره أخرى أفضل وقد ذكرت في مكان آخر^(١) أن كل إنسان يحوي هيكلاً كاملاً مكوناً من أنفص متدرجة، فهي قاعدة الهيكل يوجد الوليد الذي يفتح عييه على عه عريب، ثم الطفل الذي يبدأ في تكوين عمله وهو في سن الثالثة تقريباً، ثم تأتي أول شخصية متكاملة في سن السابعة ثم المراهمة واللوع الذي تتكون فيه لقدرات العاطفيه واخسبة، ثم الشاب الناصح الذي تتكامل فيه كل المستويات السابقة ولكن ذلك ليس هاية التطور، فإمكاناً أن يناع الرجل العظيم تطوّر نفسه في مستويات جديدة ولذلك نتكلم مثلاً عن المراحل المختلفة لحياة شكسير أو تهوم، ولكننا نرى أيضاً بوصوح أن شكسير وتهوم لم يكونا أساسين متكاملين، فإد ما عاشا عمراً أطول وظلا يكافحان فربما طلا يطوران ويصيفان إلى المستويات العليا من الشخصية.

يسر لنا هذا سبب رفضنا للرأي العائل بأن الشخصية تبقى بعد موت الحسد، وإمكاناً أن نرى الشخصية نمو وتطور مثل الجسم مما يدفعنا إلى القول بأنها تموت أيضاً كما يموت الحسد ومع ذلك فهي حالات تعدد الشخصية يستطيع أيضاً أن يلمس وجود نفس أساسية هي التي تكون أساس الشخصية ويسدو أن لوحد الباطني بذيب الشخصية حتى أن بعض الباطنية قاربوا بين هذه الحاسة وهي حاسة اهروب من فرديتهم وبين روح ترتفع من الحسد العالي، ومع ذلك ما زالوا أحياء يعون ما حولهم، فإذا كان هاك ما يبقى بعد الموت فهي الطبقة التحتية الأساسية من الشخصية. وإذا كان الناسح حقيقة واقعة فإن هذه الطبقة التحتية من الشخصية هي التي تحل في الوليد الجديد.

ربما كان في استخدام لفظ الطبقة التحتية شيء من الخطأ ففي كتاب وحماني الحياة، افترضت أن هيكل الأنفص أو درج الأنفص ليس درجاً عادياً ذا جواب متوالية ولكنه يشبه حرف «٧» المقلوبة فكلمنا صعودنا إلى أعلى كلما صمرت العتسات، وكما احتجنا إلى مرسد من الجهد إذا أردنا التحرك من المستوى الأدنى إلى المستوى لأعلى (من حهه أخرى من الأسهل المبوط على الدرج كما يحدث في حالة الاسير العصي)، وربما كان موقع ذروة النفس في قمة الدرج.

(١) مقدمة كتاب «خمايا الحياة»

بدأت في هذا الكتاب شرح عن آدم كاردنري لأن بعض حالاته تصور لب أن ميكانيكيه هذا التطور تبدو أيضاً وكأنها تترك مكاناً لما تعارفنا على تسميته الاستحود وطبقاً لما ذكره كاردنيك تستطيع الأرواح أن تتحول إلى الداخل والخارج حسبما تريد (ربما يقدم حالة ديس التي أوردتها رالف أليسون كمثال يؤيد هذه الفكرة) فهم قادرون إلى حد معين أن يؤثروا في أفكارنا، ولكنهم لا يستطيعون في الظروف الطبيعية أن يبدروا بالسيطرة أو حتى ممارسة أي تأثير فعلي على تصرفاتنا يبدو أن ذلك أشبه ما يكون بأكثر أنواع خرافات العصور الوسطى، ولكن براهين السحوت العسانية تقول بأن من واجبنا على الأقل أن نقبلها كنظرية قائمة.

وبل أكثر العوامل أهمية في السحوت العسانية هو الاعتراف بأنها تمتلك كل أنواع القوى التي لا ندركها بوعينا بدءاً من التحاطر والتسلط الروحي وانتهاء بانظهور السور والمعرفة المسبقة المستغل ومع ذلك فإنني اعتقد أن هذه القوى أقل أهمية مما يمكن أن نرعم ولقد اعترفت كل الأديان بأنها من نتائج التطور الروحي، ويقول الهندوس إن اليوحي الذي يعامر بالشي على الماء ما زال يعيش في المراحل الأولى من التطور.

أما البديل، وهو التنافي في سبيل الله أو في سبيل الحقيقة العليا، وإنما هو ببساطة اسبب في أسا يعطي للكلمة معناها الخطأ، فيصر عالم البسي الفرنسي بير جابيت على أن معايير الصحة العقلية هي خاصة يسميها «حقيقة الوطيفة» ولم يكن يتحدث في ذلك عن بعض الواقع العيبي فقط بل عن الواقع اليومي الذي يحيط بنا. فالكس والنؤس والخطايا، وقلها جميعاً المحاور والشكوك فيما هو ماف للعقل كلها تمنعنا من التجاوب المباشر الصحيح مع هذا الواقع

وتعتبر الكائنات الشريه هي المخلوقات الوحيدة التي نقضي ٩٠٪ من وقتها في أحلام عن عالمنا تراودها داخل رؤوسها. نحن دانيون للعاية ومشكلتنا الرئيسية هي أن نتعلم بطريقة موضوعية كيف نحقق ما قد يسمى «الوعي الموضوعي»

وفي الحقيقة أن الوعي الموضوعي أقل قدرة مما قد يبدو لنا، فما علينا إلا أن نمشي في اهواء الطلق خارج الحدران صباح يوم مشمس لنحرب الشعور المفاحي بأن الحياة سريحة وممتعة بلا حدود. وإذا ما استطعنا أن نحافظ على هذه الشعور طوول

الوقت فيصبح العالم نوعاً من الجنة، يخلو من الحروب ويخلو من الجريمة، ويخلو من
 الحفارات والدبابات والأشياء الممجوجة. وتصبح مشكلتنا هي أن نتمد بصيرتنا إلى
 بعيد سهولة الإلهاء بصعب من حدة الإدراك وترداد المحاول من الأشياء
 الصغيرة والملتق بما يأتي متدافعاً من جديد إلى عقولنا مثل الفئران في مواسر انصرف
 الصحي ولا بد أن كلاً ما قد لاحظ أنه إذا أسلم نفسه للصعوبات الطبيعية سيصل
 إلى نقطة ترداد فيها حدة التوس والملتق (هاك طريقة سهلة لاختار هذه الظاهرة هي
 أن نهول في مشبك وتحفر في الخديفة بجهد أكثر من العادي) إن كل ما هو مكتوت
 كنتاً حقيقياً من عدم الثقة في الحياة سرعان ما يظهر بصورة صارخة من هامش الوعي
 (لا من اللاوعي وهامش الوعي هذا هو ذلك المجال الذي يقع في طرق الوعي
 العادي) والطريقة الوحيدة لتعبير ذلك هو العمل فقط على طرد الفئران من المواسر،
 أو بمعنى آخر إحصاع المحاول والقلق لرقابة العقل الواعي وللسية، فستطيع بذلك
 أن تعيد برجة هامش الوعي بحيث لا يصبح خطراً يهدد الصحة

نحن في الحقيقة نقرب من مشكلة مذهب الحياتية الذي ناقشناه في الفصل
 السابق من رواية أخرى، فالحياتية كما رأينا اعتقاد في أن الحياة تدحل في صراع لتعزو
 المادة بأن تدحل إليها مريداً من الحرية، ولذا فكما ذكر هولم T E Hulm يمكن
 اعتبار الأميا ارتشاحاً صئلاً من الحرية والأسماك ارتشاحاً أكبر أيضاً، أما الإنسان فهو
 الارتشاح الأكبر (على الأقل على هذا الكوكب) ومهمتنا بناء على مذهب الحياتية هو
 أن نسد جهداً مدروساً واعياً لزيادة حجم هذا الارتشاح

وسواء كنا مؤمنين بمذهب الحياتية أو غير مؤمنين به، فكلنا نعترف بأن جوهر
 الحقيقة يكمن في هذا الرأي فحيثما يقود الإنسان سيارة بسرعة تسعين ميلاً في الساعة
 يشعر بأنه أكثر حيوية، وحيثما يعمل وهو يشاهد مباراة كرة القدم يشعر بأنه أكثر
 حيوية ولكن هذه طرق بدائية للشعور بحيوية أكثر وحيثما يصح القاري، مدع
 تماماً في عالم الخيال وهو يقرأ رواية، وحيثما يستغرق بحب الموسيقى وهو يسمع
 سمفونية، فإنهم يشعرون بتحررة اتساع داخلي معين في الوعي يبدو مختلفاً تماماً عن
 الإثارة الطبيعية فمشجع الكرة يعلم تماماً أن استشارته تعتمد على المراه دائب، ولكن
 الشخص الذي تستهويه الإثارات الخيالية فيشعر بأن هذه التحررة خاصة به وحده
 لتحكم الشخص فيها، بمعنى أنه يستطيع أن يستحضرها مرة أخرى بعد حين.

ويبدو واضحاً للذين لديهم قابلية الاستثارة العقلية أو الخيالية أن هذا هو محتاج «تراند
الإرتشاح» المتروى للحرية

كان شوبنهاور أحد أوائل الفلاسفة الذين فكروا في إطار «قوة الحياة»، ونعنه في
ذلك إدوارد فون هانمان، ثم جاء بعدهما شو ورجسون ودريش، وجميعهم فكروا في
الحياة كشيء أعمى أو قوة غريزية تشق طريقها وهي متجمعة تجمعاً أقرب إلى التعبير
عن نفسه لكنا علما أن برحسون ودريش قد عبرا رأيهما فيما بعد لسبيين رئيسيين،
أولهما أنه إذا كانت قوى مثل التحاطر والاستشفاف موجودة فلا بد وأن لقوى الحياة
من السيطرة على المادة ما هو أكثر بكثير مما يعترض ويبدو أن هذه السيطرة تتحدد
بواسطة عدم قدرتنا على مسايرة نعم هذه القوى أو ميلنا إلى مقاومتها بالفعل (فعلى ما
كانت أوامر روراليد هابوود تصعها في الموقف الذي لا يستعمل عقله، ولذا كانت
طاعتها للأوامر تأتي بالنتائج المرحوة منها). ويبقى أن القوى غير المرئية تبدو أولاً كأنها
تسلك مسلك الذي له عرص معين أو كأنها فوق الوعي العادي وثانياً أن الحياة بعد
الموت حقيقة، ولذا يبدو العالم الآخر موجوداً في مستوى محسوس من المادة أقل تجمعاً
مما نحن فيه وربما كان المستوى الذي تتواجد فيه الحياة بعد الموت ذا دندبات أعلى
درجة، وهذا يوحي بأن الحياة قد عرت ذلك المستوى بالفعل وأنها تستخدمه كقاعدة
لنقيم بغرو أماكن أكثر صعوبة وعدوانية. ولقد قال جورديف Gurdjieff مرة إن
الأرض هي النظر الكوي لسييريا الخارجية، وربما كانت المقارنة الأفضل أن تكون
الأرض بمثابة «العرب الموحش» أو مجاهل إفريقيا وهي في انتظار الاستعمار والعرو

لكن كما سبق أن عرفنا تمثل المشكلة الكبرى في أن الحياة تفقد ذاكرتها حينما
تترك إلى العادة، ويمكن مقارنة ذلك بالطفل الذي يرسل في مهمة معينة، ولكنه يسي
التعليمات التي أعطيت له وهو في منتصف الطريق فيؤدي هذا السيان بالنسبة للإنسان
إلى الشعور بأنه قد وقع في أسر عالم يشع من المادة. وبالنسبة لهم سارتر للموضوع
«لا معنى لأن نعيش ولا معنى لأن نموت»

وفي ظل الظروف يبدو واضحاً أن أساس مشكلة قوة الحياة هي كيف نجمع
أنفسنا من سيان التعليمات والاضطرار إلى العودة للمتلز دون إيجار المطلوب، أو
كحالة هتتر أو حاك أو رير Ripper الذين تركوا العالم أسوأ بكثير مما وجدناه عليه
ولسفر إلى هذه المشكلة كما لو أننا نتعمي إلى دكاء الكائنات العليا أو الملائكة

سدين يجلسون في السموات ينظرون إلى أسفل إلى الشر ويخارون في إيجاد علاج الدائم لهذه المشكلة، مشكلة السان

والشيء الذي نجمع عليه جميعاً عن العرص من الحياة هو ريادة سيطرتها على المادة لتحسين بر يد إرشاح الحرية، وبذلك يكون آخر ما سرنده هو حسن من المخلوقات يشعر بأن الحياة نافهه لا معنى لها وأن ريادة سرعة الهروب من هذا الظلام ومن ذلك لعباء هو الافضل مثالي نحن نريد مخلوقات لها شهية بالغة للو فعة

والمشكلة مع هؤلاء الشر أنهم جميعاً يبدأون بشعور بملاهم بأن الحياة ستكون بهيجة رائعة وأن للعالم نظيراً موارياً له في السور السايوي، وسيهرم السام والمثلل ويستهي عموص العالم وما يجعل الأمر أكثر مصايقة هو أنهم الآن أقرب ما يكونون لتحقيق أهدافهم. فعل مدى مئات الآلاف من السيئ باصلوا بسالة ومثارة صد البرد وصد الخوع وصد الصواري، ومرة تلو المرة يحوا من العباء معصات أسامهم ثم بدأوا أبعد من ذلك يستخدمون دكاءهم في صنع أسلحة ليضطادوا بها طعامهم، وسوا مساوهم الذي يحميهم من الخو وصد ذلك الوقت بدأت الحياة تتحسن تدريجياً نتي رعم محصلاتها السيئة من حرب وجريمة رفضوا أن يعوقهم شيء في إقامتها، وبدأوا تدريجياً يتعلمون جعل الحياة أحق بالحياة. بعد ذلك خطوا أهم خطوة نحو الأمام وأبدعوا الفن والأدب، وكانت هي الخطوة الأولى نحو غزو عالم العقل، وأخيراً أهدوا ينظرون إلى تحقيق عرصهم الأساسي وهم يقتربون من احتراق رأس الخسر المبيع لعالم المادة

ثم استفت بعد ذلك مشكلة جديدة غير متوقعة، إذ بدأوا يصيغون إلى الحاصرة التي أشاها أسلافهم بجهد وعمل شاق وكانت المشكلة طعماً هي أن كل ذلك حدث بسرعة كبيرة، إذ أنهم قصوا ملايين السنين يصارعون من أجل البقاء ثم بعد ذلك حققوا أمن الحاصرة مباشرة مما تركهم حائرين مرتكبين، وبدلاً من الصراع من أجل مزيد من الوعي أهدوا بخارون الطريق الأقل مقاومة ويصيعون حياتهم بحثاً عن الكفاية المباشرة.

في ذلك الماضي السحيق كان الدكاء العلوي على اتصال مستمر بحسن الشرقي من خلال أفراد معينين ممن لديهم حساسية شديدة لتلمي الرسائل. وهم الذين سمعوا الأسياء والرسائل الذين استطاعوا أن يطلعوا على العرص من خيبة من

حلال وحي عيبي، ثم استخدموا قواهم الفائقة لمحاولة إقناع كل شخص أن يعيش كما لو أن هدف الحياة هو الحصول على جواز سفر إلى السماوات. طُلِ مهج مع الشرسيان المهمة المعوثين من أخلها ناجحاً بجاحاً ناهراً لآلاف السنين، وحافظت الأديان على الإبقاء على الإنسان عاملاً في سبيل ذلك العرض الرئيسي وهو ريادة تهاؤل الإنسان وعموذكائه، (هذا هو ما نتوصل إليه أسط التحليلات)، ولكن نسب عن عمو الذكاء أن الإنسان أصبح متجاوزاً سموه بطلاق ديه، وأدت تعقيدات الحضارة إلى خلق المرید والمرید من المشریین، وهم أناس سلموا بأن الحياة لا معنى لها إطلاقاً وأنها فترة سحر بعضها العمور. وفي واقع الأمر وصلنا في القرن التاسع عشر إلى المرحلة التي اردادات فيها معارف الإنسان بشكل واضح وأدت إلى أن يصل الإنسان إلى استخلاص فكرة أن المادة هي الحقيقة الوحيدة.

عد هذه المرحلة قررت اللحنة الفرعية للملائكة أن تحاول تجربة فكرة أخرى للاتصال بطريقة أكثر استهدافاً لإقناع الناس بأن هناك حياة بعد الموت. وبدأت تلك التجربة في العقد الخامس من القرن الماضي في شكل حركة دينية تسمى الروحانية انتشرت في كل أنحاء العالم، ومع الأسف اتجهت إلى اجتذاب السوع الخاطيء من الأشخاص وهم ذوو الرعة العاطفية والعقول السطحية. وظل العلماء والفلاسفة بمعزل عنها. بعد ذلك اقترحت لجنة أخرى من الملائكة ريادة استخدامهم تجارب حافة الموت كمنهاج للتعليم، وبجحت هذه التجربة أيضاً، ولكنه كان نجاحاً محدوداً لدرجة أنه لم يؤت بشارة جيدة. وبالإضافة إلى ذلك تعرض كل مشروع الروحانية لمؤامرات من جانب الدين اتخذوا يتدخلون تدخلاً مستمراً من أرواح عبادة مرتبطة بالأرض. أرواح المجرمين والمشاعين والمحرفين من العالم الآخر فجعلوا في خلق بلبلة انتشرت في كل الأنحاء. وعلى العموم فإن تجربة الروحانية لم يسطر إليها من جانب أصحاب الذكاء العلوي على أنها إحدى مظاهر نجاحهم الكبير.

يتركنا هذا بالطبع مع التساؤل الأصلي كيف يمكن للكائنات الشرية أن تسمع سيان التعليمات التي صدرت إليها وتصنع بذلك حياتها؟ نحن نعترف بعريزنا بأن هذا هو السؤال المحوري عن الوجود الشرقي، هو سؤال عن الحياة، وهذا هو الاعتراف العربي الذي يشرح لنا السبب في أن براهين الروحانية قد أدت إلى مثل ذلك التأثير السيط على الجنس الشرقي، وقد توقع أن تستثير المسألة اهتمام كل فرد

من أساء الشربة وحول ذلك كتب دوستوفسكي في يوميات كاتب ههنا فكرة رقيقة واحدة على الأرض هي مفهوم حلول روح الإنسان، وكل ما عدها من أفكار عميقة يعيش بها الإنسان مجرد امتداد لهذا المفهوم. غير أن الروحانية لم تحقق تقدماً ملحوظاً خلال القرن والصف الذي توأمت فيه واقتصر أمرها على أنها من مجمرات نعصر فقط، وبعتبر هذا السؤال أقل أهمية من السؤال عن الحياة.

هناك شيء واضح هو أن موضوع السؤال عن الحياة لم يعد من المسائل التي تهتم فقط الدكاء العلوي وحده، فبعد أكثر من قرن كان الشر يستخدمون ذكاءهم لمحاولة حل لغزها (كما رأينا بدأت جمعية البحوث الفسافية حينها طرح انشاد من الفلسفة سؤالاً عما إذا أمكن لرايين حوارق العادات أن تحل لغز الكون)، وقد طرح الكثيرون مثل كيركجارد وتولستوي وديستوفسكي وبيتشه وشوجاسرر وكامو وغيرهم سؤال الحياة الذي كان محور التساؤلات (حتى أبا أيضاً قد أصغت شيئاً صغيراً للموضوع).

وبالتدريج بدأ إطار الإجابة على السؤال يظهر، وهو أن البشر لديهم مشكلة في الاحتفاظ على الفرص لحد كبير حينها يواجهون المفاجآت والصعوبات التي تهدد وجودهم. وإذا ما حدث ذلك فلما يصح واعين بميكانيكية زيادة ارتشاح الحربة، وحينها أوجه بعض التحديات المفاجئة والأخطار فإن أثرها الأول هو تقويض حيويي، حيث يندفع الأدرينالين إلى مجاري الدم ونحفض ثقتي عدة درجات، ثم أسرق نفسي لأواجه المشكلة، ويصبح عدي في الحقيقة ارتشاح رائد وإذا ما استطعت أن أقصي حياتي كلها في مواجهة التحديات الهامة فإن صبط النفس والحربة سيردد على طول الخط، وبالسنة للدكاء العلوي فقد أقوم بعملية مرصية لدرجة تكفي لتوسيع رأس الحمر إليه.

وفي كتابي «تاريخ الجريمة البشرية» تحدثت عن الاستجابة الأساسية للتحديات وهي تدفق الأدرينالين باعتباره قوة تبعث التوتر ويرمز لها بحرف «ت»، وسأني لاستجابة للتحدي وهي التحكم ويرمز لها بالحرف «ك»، ويمثل هذان القصبة المحورية للوجود الشري، ويصح جوهر سؤال الحياة هو زيادة ك للتعب عن «ت» (أي زيادة التحكم للتعب على التوتر). وهذه هي الطريقة التي يريد بها الارتشاح، وهو ما يفسر بالطبع السبب في أن معظم دوافعنا الشربة الأساسية هي أن نبحث عن التحديات. فحينما كنا سكن الكهوف أو في أفعال إفريقيا لم تظهر مشكله لأب ك

بواحه ما يكفي من تحديات تنفيها في الوضع الطبيعي، وهذا هو السبب في أن الإنسان أصبح أكثر الكائنات نجاحاً على الأرض ولكن حينها بدأ الإنسان يفهم المدن بدأ بواحه المشكلة التي أصبحت عفة كبرى أمام تقدمه وتحدي المجاعة، واستجاب لها باستكار الحرب التي تجعل قلبه يندف بصورة أسرع. وخلال الستة آلاف والسعة آلاف سنة التالية أصبح الإنسان أكثر المحلوقات عدوانية وقتالاً، حتى بمقدارته بالديناميكا صورته آكلات اللحوم، والصور ذات الأنياب وطور الإنسان أيضاً الكثير من الوسائل الأقل إيذاء لمواجهته تحدي المجاعة، مثل تسليق الحيات ورحلات الاستكشاف وارتياح المحلول وعرو الطبيعة لكن كان لهذا الاستثمار أثره الذي حاول الإنسان تجنبه وهو أن يجعل الحياة أقل تحدياً له. وحينها فقدت الحياة تحدياتها فقدت أيضاً طعامها وبدأنا نشعر بالصقي والاحتناق. وكان رد الفعل الغريزي في الأطفال والكبار على حد سواء هو أن نطرح إلى ما حولنا لنبعث عن أحزاننا بمنسب في الصقي يدعوا إلى انطلاق الدواعي الهدامة، وذلك هو السبب في أن إحدى المشاكل الرئيسية للحضارة الغربية في الربع الأخير من القرن العشرين هو الحرية التي لا دافع لها بدءاً من سباق التسلح إلى فرق كرة القدم إلى القتل الجماعي

على ذلك حينما سنستخدم الدكاء في حل المشاكل فإن الإجابة تكون كافية تماماً إنها قوة العادة التي تجعلنا نكتسب دافعا طبيعيا، فإنا أكره وأبدا في إثارة القوى الكامنة ثم أبدا في تنظيم تلك القوى، ولكن لا يوجد في الحقيقة ما يوقفي عن إثارة القوة وتـ نفس جهد التركيز والإرادة، ثم بعد ذلك أبدا في السيطرة عليها. وفي الحقيقة أن النساك والرهاد كانوا دائماً على علم بهذه الخدعة، فأوجدوا تحدياتهم الخاصة مثل الصيام والتأمل وتعذيب الجسد من أجل تقوية الإرادة ويبدو أن مثل هذه التدريبات تقوى إراديتهم حتى نعترف القرض منها وهو إثارة القوة وتـ ثم إخضاعها للقوة وتـ (أي إثارة التوتر ثم إخضاعه لضغط النفس وكنه أو التحكم فيه) وبذلك يزداد الإحساس بالحرية ويتوسع نطاق الوعي.

يقابل معظمنا مناهج التساؤل على أنها كريمة وسدائية ومؤلمة، ويرجع ذلك في جانب منه إلى أننا نحس بأنها بالضرورة غير عيفة وفي خلال القرنين أو الثلاثة الأخيرة تطورت القوة التي اعتادها أسلافنا وألهموها إلهة سطحية وهي الخيال أما الإنسان الحديث فإنه يعتبرها أمراً مسلماً به لأنه يمارسها منذ طفولته بقراءة الكتب

المكاهية والذهاب إلى السيميا ومشاهدة التليفزيون. ولئن كان من الصعب عبثاً أن نعرف صورة الحياة التي كان عليها إنسان القرن الخامس عشر، فإنّه من اللحظة الذي يفتح فيها عييه في الصباح كان عقله كله يركز على العالم الواقعي، وبالمقارنة بينه وبين الإنسان الحديث كانت قوة الخيال عنده ضعيفة مثل يد الطفل. يد فورست بيد الرجل الكبير، لم يكن لديه عالماً حياة عقلية. وفي صوء هذا يكون الإنسان قد راد من حريته لدرجه كبيرة خلال قرون معدودة (كان ابتكار الرواية في القرن الثامن عشر أكثر لأحداث أثراً في تاريخ البشرية) والآن أصبح أغلب الأطفال بالأمم تجربة الاندماج الكامل في القصة لحدّ أن الطفل قد يحس وكأنه يعيش في أمريكا وهو يقرأ كتاباً مثل كنوز الملك سليمان، أو في فرنسا حينما يقرأ الفرسان الثلاثة. وحينما يحرب بعض النوع من الاندماج فإننا نعلم أن ذلك هو اخل الأساسي لسؤال لعراحيّة. فاحيل الذي يوجه توجيهاً سليماً ويحصر للنحكم يعتبر وسيلة لاستثارة لقوة «ت» و لقوة «ك» بصورة أفضل كثيراً من حرمان النفس لدى القديس أو احتير المتاعب مثل السحار الذي يدور حول العالم.

سوف يشعر معظم الناس بالشك إزاء هذا القول. وذلك لأسباب غير إلى التفكير في الخيال على أنه مرادف لأحلام البقطة أو الخيال غير الواقعي. أو بمعنى آخر الكذب على النفس، وهذا خطأ، فالخيال في واقع الأمر أساساً هو قوة الهروب من اللحظة الحاضرة. ربما يبدو كأنه نشاط مريب حتى تصيب إليه بعض التفكير، فالمشكلة المحورية للحسن الشرقي هي أنهم أسارى اللحظة الحاضرة، أفقهم محدود بالانلاقات. فحينما يصل الطفل إلى درجة الصجر الشديد فإنه يشعر بأن اللحظة الحاضرة ثابتة لا تتغير إلى حد كبير، وأنها سوف تستمر إلى الأبد. ورغم أن المعروف أن يكون الكبار على علم أفضل مما هم يقومون في نفس الوهم العريب. فالمعروف أنهم تعلموا من التجارب أنهم أقوى من المادة التي تحيط بهم كما ذكر ديكس. وإذا لم تحب حياتك فيمكنك أن تغيرها، ومع ذلك فهي اللحظة التي بصيهم فيها لصحر يصحون عرصة للإحساس المألوف بالأسرة كالدانة التي تلتصق بورقة صيد لنداب هم يعلمون أن ذلك غير مقبول عملاً، وأن المستقبل سوف يأتي بكر أنواع تنعيرات، ومع ذلك يستمرون في السماح لأنفسهم بأن يكونوا محدودين ومعوقين وفي حالة من السلبية بواسطة فورية اللحظة الخالية، مثل المراهق الذي يبلغ ضوّه ستة أقدام ويستسلم لمن هو في نصف حجمه لأنه اعتاد ذلك.

الحقيقة أننا دائماً نلمح قواها الخفية المسيطرة على الحاضر، فقد أكون متورطاً في عمل مسند للصحر، بينما ترحف نغمات موسيقية متفرقة إلى رأسي فيسعث فيها شعور غريب بأشياء سارة، وربما تؤدي رائحة رقيق يخرج من الفرن أو رائحة من يحمص على النار إلى استشارة طموحي وإحياء شعوري بالسرور البالغ إن مثل تلك اللحظات هي التي حصص لها بروسـت Proust رواية مكونة من اثني عشر جزءاً، وهي لحظات يصعب تفسيرها حتى يستطيع أن يلمس مدى استعراقنا في أسر اللحظة الخالية. إنها تعنصرنا ونحفنا، ولا بد أن نعتاد تماماً الشعور بأننا سوف نعتبرها شيئاً عادياً كجزء من حالة إنسانية إن ما فعله فيها المقطوعة الموسيقية أو الرائحة الباردة هو أنها تذكرنا بأن الماضي رغم انقضاءه مسدود من طويل، واقع مسند به كالحاضر تماماً، وما تجربنا به هذه اللحظات هو «أكثر حرية وأقوى مما نظن، وبذلك يعمرن إحساس عامر بالارتياح الخالص».

وحينما نذكر فيه يمكننا أن نرى أن ما نسميه السعادة لا يخرج عن هذا الشعور بأننا أسرى اللحظة الخالية. وذلك هو السبب في أننا نستمتع بالإجازات وبالمفاحات وبالروايات الرومانسية تماماً كما استمتع ركاب الباليونات الأوائل بتواحدتهم بعيداً عن سطح الأرض يرون العالم كروية الطير له. إن المفاجآت تعطيان نظرة شمولية على الحياة نفسها ويبدو أن فيها تحييد القوة الحادة العرية التي تحكم التصاقنا بالحاضر.

حقاً إن هذا هو العرص الواقعي من التحيل، فهو ليس الخلق انصور الخيالية الجامحة بل لعمري ندرك أرملة أخرى وأماكن أخرى. وحينما يحدث ذلك بالفعل ندرك أنه كله خيال في خيال لا يأس إطلاقاً هذه القدرة التي تستطيع أن ترفعنا أو تسمو بنا عن اللحظة المحاصرة مثلما يرفع الصاروخ القمر الصناعي، ويجعل ذلك مدركين بصورة من الصور أننا مواطنون خالدون. إن هذا هو السبب الذي جعلني في مكان آخر استخدم مصطلح الخاصية «س» لتدل على القدرة على رؤية الحقيقة عن أماكن وأرملة أخرى».

والآن نجد أن هذه الخاصية لا تعمل بانظام، فإنها تعمل بكفاءة إذا شعرت بالرغبة ومع ذلك فحينئذ تعمل بسهولة وفورية مثل إصاءه السور، وفي لحظة

(١) أنظر كتاب «خفايا الحياة» الفصل الثاني

من اسطوانات مصحح لماضي واهماً كاملاً، تماماً مثل واقع الحاضر وتؤكد من انه واقع كالحاضر، بل لعل الحاضر يصغر إلى معصر المميزات الخاصة بالواقع السامي لأنه بساطة يحدث الآن وهنا، ومقصدا هو أن يصح سادة الرمز لا عيدا له.

إن سهولة التي تعمل بها هذه الخاصية توحى بأنها مناصلة في حلايا الوراثة (الحيت) فيها تماماً مثل سبنا نقامة معتدلة أو مثل قدرة الطير على الطيران ولهذا السب فإن الخاصية «س» ترودنا بالشعور بالأساء السارة العريية، وهي التي نجعلنا نتحقق من أبا نملكها بالفعل.

عد هذه النقطة ربما ستعيد في الدهر المبحث الرئيسي عن الشخصية الإنسانية ويقنئنا بعد الموت الخسدي، ويذكر أن هناك دلائل قوية للعناية على أن البشر يملكون كل أنواع الخصائص غير العادية التي لا يدرك أغلبا كمها من قوى حارقة كقوى العمليات الحسية الصحيحة، وأصحاب الذاكرة المصورة (الذين يحفظون الصفحة من مجرد نظرة واحدة ويعيدونها عن ظهر قلب) والتخاطر والاستشفاء، والانعكاسات السورانية وربما تكون هذه القوى قريبة الصلة بالخاصية «س» مثال ذلك القوة العريية لعكس صورة نظير الشخص بحيث يراه الآخرون من مسافة بعيدة (كما في حالة انفس مونفورد الذي رأينا قدرته على عكس صورة حصان وعربة) ويعتبر كتاب مايرر دعوة إلى شكل جديد من علم النفس يبحث في تلك القوى المجهولة، فحيث رأى البروفسور هايم كل حياته تمر وامضة أمام عييه حبيسا سقظ من شق الصحري اكتشف شيئا عن عقله لم يطر في وجوده أبداً. ويسطق نفس القول على النفس برتراند حيثما استلقى وهو متجمد من الصقيع على حافة الحرف وتابع تقدم تلاميذه في صعودهم نحو القمة، وحيثما رأت سارة هول نظيرتها واقفة على حافة شدة، وحيثما انقسمت روراليد هايوود إلى الأنا القمرية والأنا البيضاء. فكل هذه حالات كانت توأجه عصراً من عناصر الشخصية الإنسانية التي ما رالت حتى وف حاصر غير معروفة بلعلم وحيثما اكتشف جوزيف رودس سيوكاسان أن هناك «دما» معين يستطيعون قراءة تاريخ الشيء بمجرد إمساكهم به بأيديهم، كان يستعرض أن بعض الباطل له مهاد توصله إلى المعلومات الخفية، وحيثما وصع الفريد رسيو ولاس حمة تلاميذه بحث تأثير النوم ثم جعله يتدوق الأشياء بوضعها في فمه هو ليست بحث اللاوعي له منفذ أو مدخل إلى عقول الآخرين

وربما كان الأكثر أهمية من ذلك اكتشاف البحوث النفسانية بأننا قادرون على تطوير وتنمية تلك القوى ببساطة عن طريق الرغبة في ذلك. ولقد توصل عالم النفس ابراهام ماسلو إلى اكتشاف يشبه ذلك وهو تجربة القمة، أو لحظة مفاجأة السعادة الغامرة، فكتشف أنه حينما كان يتكلم مع تلاميذه عن تجربة القمة لم يقتصر أمرهم على تذكر الكثير من تجارب القمة النصف منسية بل بدأوا أيضاً بمرون بتجربة القمة بصورة متكررة أكثر مما مضى، وأدى التفكير الحديث عن تجربة القمة إلى إعادة برمجة العقل دون الوعي ليقوم العقل الواعي ببقية المهمة. ولعل مما يوحى بأن المشكلة الرئيسية التي يواجهها الجنس البشري ليست هي المخاوف من الخطيئة الأولى، ولا بعض الإزعاجات العميقة والمبررة عن مكاننا في الكون، ولا إدراك أوجه الضعف والعجز الأساسية فينا، بل إنها ببساطة مشكلة البرمجة السيئة لما دون الوعي. فمعظمنا قد سمح للعقل الباطن أن يصبح حائراً وغير مرتب مثل حجرة لعب غير مستعملة تحولت إلى مستودع للمهملات القديمة قد تظهر رائحتها كريهة لوجود بقايا مأكولات قديمة سكبت فوقها بقايا المشروبات، في كل مرة ننظر إليها نرى تلك النفايات من خلال الباب نصف المفتوح فنسرع لنبتعد عنها. ومع ذلك ربما قد لا نحتاج الأمر لأكثر من نصف ساعة لتنظيفها بالمقشة والمسححة فتتحول إلى واحدة من أجمل الحجرات في المنزل.

كان كل تاريخ البحوث النفسانية عبارة عن استعراضات لقوى تبدو غريبة يتميز بها العقل البشري. كانت دائماً في نظر العلماء وفي أحسن الحالات موضوعات معقدة وفي أسوأ الحالات فضائح. ومنذ أكثر من ثلاثة قرون مضت كان ديكارت قد وضع المنهج للعلوم الحديثة وسماه «الشك الجذري أو الشك الثوري» فيقول ديكارت إن عل الفيلسوف أن يجلس في مقعده الوثير ويتأمل الكون كله من حوله، ثم عليه بعد ذلك أن يتجه إلى الشك في كل شيء بشك الشك، هل الشمس تدور فعلاً حول الأرض كما تبدو لنا؟ إذا سألنا هذا السؤال قد نصل إلى الحقيقة. وبالنسبة لسؤال عن كيف تثبت وجودك؟ أجاب ديكارت: «أنا أفكر إذن أنا موجود»، وبإقامة هذا الأساس الذي لا يهتز كما يبدو لنا استطاع أن يشعر بالاسترخاء في مقعده ويوجه منظاره المقرب لينظر إلى الكون من خلال نافذته.

لم يكن لدى الباحث في خوارق العادات أي شك في مبدأ «أنا أفكر إذن أنا موجود». ولكنه كان يميل إلى أن يضيف إليه سؤالاً مريباً: «ماذا أنت؟» الواقع إن

ديكارت تغاضى عن طرح سؤال: «من أنا بالتحديد؟». وبالطبع كان يزعم أن ذكر رينيه
ديكارت فيه الكفاية، وهو ما جاء في شهادة ميلاده، ولكن في كل غموض تجربة
طموحة للتحقق من أنه ليس الشخص الذي يعتقد أنه هو. وفي لحظات الرؤية
المكثفة تلدوب هويته ويصبح مدركاً أنه لا يخرج عن كونه قناعاً، وينظر بدلاً من ذلك
إلى أعماق عالم داخلي يتميز بتشابه كبير مع العالم الخارجي، ويصبح بالإمكان الإجابة
على السؤال: «من أنا؟» بأن يوجه المنظار المعظم نحو ذاته.

في تلك اللحظة سوف يتحقق من أن الحدود الظاهرية لقواه ترجع إلى الحدود
التي تحيط بصورة نفسه، ويصبح عليه أن يوسع أفق معلوماته عن نفسه، وما عليه إلا
أن يغير اتجاه المنظار المعظم والتلسكوب إلى الجهة الأخرى.

الفهرس

٥	١ - أصوات في الرأس
٣٧	٢ - عالم المستشف
٧١	٣ - غزو الروحانيين
١١١	٤ - البحث النفسي يبلغ الرشد
١٣٥	٥ - إعادة اكتشاف تحفة فريدة
١٧٣	٦ - دكتور شتاينر ومسألة التناسخ
٢١٥	٧ - الأفول والبحث الجديد
٢٥١	٨ - الخفاقة
٢٧٢	الفهرس

من مؤلفات كولن ولسون

- اللامتنى
- ترجمة آيس زكري حسن
- ما بعد اللامتنى
- ترجمة يوسف شورو وسير كتاب
- القمص الزجاجي
- ترجمة سامي حشبة
- طقوس في الظلام
- ترجمة فاروق محمد يوسف
- سقوط الحضارة
- ترجمة آيس زكري حسن
- رحلة نحو البداية
- ترجمة سامي حشبة
- ضياع في سوغو
- ترجمة يوسف شورو وعمر إسماعيل
- الحالم
- ترجمة سامي حشبة
- الإنسان وفناء الحقيقة
- ترجمة سامي حشبة
- الشك
- ترجمة يوسف شورو
- حقايا الحياة
- ترجمة سعاد عبد المنعم مبراهيم
- الهرج - عالم المذئاب
- ترجمة فكري بكر
- الهرج - الجزء الثاني
- ترجمة فكري بكر

تم تحميل الكتاب من المكتبة العربية :

www.TipsClub.com

قام بسحب الكتاب الأخ : محمد جلال

دار الآداب

مطبعة ٨٠٣٧٧٨ - ٨١١٩٣٣

ص ١١ - ١١٢٣ بيروت

٧١٢